أقليات إسلامية منسية

المسلمون في
تتارستان (روسيا) – القرم (أوكرانيا)
مقدونيا - اليونان

إعداد

سعيد إبراهيم كريديه

الطبعة الأولى

© 2008

دار الرشاد
هاتف: 01-791271

ص. ب.: 14-6382

تلة الخياط، بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تنتشر الأقليات الإسلامية في القارات الخمس ويختلف وضعها من دولة إلى أخرى. وتعتبر هذه القضية من أكثر القضايا الخطرة والمعقدة التي يواجهها المسلمون. وبالرغم من ذلك لم نعط هذا الموضوع حقه ولم يكتب عنه إلا النذر القليل، ومن هنا كان الدافع لكتابة هذا العمل وهو إعطاء فكرة ولو متواضعة عن بعض الأقليات الإسلامية المنتشرة في أوروبا كبداية لمؤلفات لاحقة إنشاء الله تعالج وضع المسلمين فيها وفي مناطق أخرى.

يتناول هذا البحث وضع الأقلية المسلمة في كل من تتارستان في روسيا وفي شبه جزيرة القرم (التابعة اليوم لأوكرانيا) وفي جمهورية مقدونيا (وهي إحدى الجمهوريات اليوغسلافية السابقة) وفي اليونان. وتقع هذه المناطق في أوروبا الشرقية حيث يكوّن المسلمون جزءاً من النسيج الاجتماعي منذ قرون خلت بعكس الأقليات الإسلامية في أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية وأوستراليا حيث بدأ الوجود الإسلامي المكثف فيها منذ منتصف القرن العشرين.

قسم هذا البحث إلى أربعة أقسام:

يبدأ القسم الأول بعرض انتشار الاسلام في حوض نهر الفولغا و ما رافقه من حضارة، ثم ينتقل هذا القسم الى الغزو التتري لهذه المنطقة وما رافقه من تغييرات سياسية وحضارية وديمغرافية. يتناول بعد ذلك هذا القسم الغزو الروسي القيصري لهذه المنطقة و ما تلاها من تأثرات روسية على الحركة الاسلامية وعلى سكانها وصولا حتى سقوط الشيوعية.

يستهل القسم الثاني من هذا الكتاب بلمحة عن الوضع الحالي لتتار شبه جزيرة القرم التي هي اليوم جزء من دولة أوكرانيا ثم نعود إلى التاريخ حيث يُعرض تاريخ وصول الإسلام إلى شبه الجزيرة واعتناق التتار له والدور الذي لعبوه في الدفاع وانتشار الإسلام. بعد ذلك يتطرق هذا القسم إلى علاقة تتار القرم مع الدولة العثمانية والقوى الأوروبية الأخرى المجاورة بما فيها روسيا التي جلبت الشيوعية و مآسيها على هذا الشعب وصولاً إلى استبداد ستالين وترحيله لأعداد كبيرة من تتار القرم إلى سيبريا واوزركستان و ينتهي هذا القسم بسقوط الشيوعية وإنشاء دولة أوكرانيا الحديثة.

القسم الثالث من هذا البحث يعالج وضع المسلمين في الجمهورية اليوغسلافية السابقة مقدونيا، وقد تناول هذا القسم وضع المسلمين هناك منذ دخول الإسلام على أيدي العثمانيين وحتى وقتنا الحاضر. كُتِب هذا القسم بالتعاون مع الشيخ "شبيتيم كالم شوشكو" وهو من ألبانيا وخريج جامعة بيروت الإسلامية.

يدرس القسم الرابع من هذا البحث العلاقات الاسلامية اليونانية من فجر الاسلام و حتى اليوم ثم يتطرق إلى أحوال المسلمين في اليونان وانعكاس العلاقات التركية-اليونانية عليهم، كما سيلقي هذا القسم الضوء على أوضاع المسلمين الوافدين حديثاً إلى اليونان.

وفي الختام نأمل أن يساهم هذا العمل في التعرف على أوضاع إخواننا المسلمين القاطنين في تلك الدول فنؤيدهم عندما يحتاجون التأييد وننصحهم إذا كانوا بحاجة للنصيحة، كما نتمنى أن يفسح هذا البحث للكثير من المسلمين في تعلم العبر وأخذ الدروس من التاريخ لبناء حاضر و مستقبل مشرقيين.

والله ولي التوفيق

سعيد كريديه

بيروت - لبنان

القسم الأول

تتار الفولغا : تاريخ و حضارة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

دخل الإسلام قلوب أعداد كثيرة من الشعوب والأقوام فأزال عنها الغمة و فتح أمامها طريق الهدى والصراط المستقيم. و كم من أممٍ إزدهرت حضارتها بعد حملها مشعل الإسلام الذي أنار لها منابع الخير و المعرفة الصحيحة. ومن هذه الأمم تتار الفولغا[1] الذين بنوا حضارة في مدينة قازان والتي هي الآن عاصمة جمهورية تتارستان الفدرالية التابعة للإتحاد الروسي.

سألقي الضوء في هذا الكتاب على التاريخ الإسلامي لتتار الفولغا من خلال استعراض المراحل التي مر بها. سأبدأ أولاً بالحديث عن اعتناق هذا الشعب للإسلام في القرن العاشر الميلادي و عن حضارته الإسلامية حين كان شعباً بلغارياً نزح من شمال البحر

[1] نسبة إلى نهر الفولغا

الأسود واستوطن حوض نهر الفولغا بين القرنين الثامن والعاشر الميلاديين. ثم سأنتقل لتعرض هذا الشعب لغزوات جحافل جنكيز خان وخلفائه في القرن الثالث عشر الميلادي ثم سأشير إلى اختلاط العناصر التتارية في تلك الجحافل بالشعب البلغاري المسلم حيث أصبح هذا المزيج يعرف بإسم "تتار الفولغا". بعد ذلك سوف أتناول انشاء خانية قازان واستعرض تاريخها منذ سيطرة القياصرة الروس عليها ومن ثم انتقال هذه السيطرة الى الشيوعيين وانتهاءاً بانهيار الإتحاد السوفياتي واستعادة تلك الديار وجهها الإسلامي.

اعتمدت في هذا البحث على عدة مراجع باللغات العربية والإنكليزية والفرنسية وكان بعضها إلكتروني و الآخر ورقي، وأود أن أذكر هنا أن المراجع العربية المتعلقة بتتار الفولغا وبمدينة "قازان" والدور التي لعبته في حوض الفولغا هي خجولة جداً بالمقارنة عن ما كتبه المؤلفون الغربيون سواء في الكتب أم في الدوريات أو على الإنترنت، وكم من مراكز أبحاث و دراسات روسية و غربية و استشراقية تقوم برصد وتوثيق كل شاردة و واردة عن تاريخ تتار الفولغا وخاصة المرحلة البلغارية وعن تاريخ وتراث مدينة قازان في شتى العصور، في المقابل ماذا في جعبة المسلمين؟ بكل أسف لا شيء، وهذا التقصير الإسلامي عامةً والعربي خاصةً دفعني واعطاني حافزاً قوياً للكتابة ولو بشكل

متواضع عن هذه المنطقة الإسلامية من العالم آملاً أن تكون هذه أول خطوة في رحلة المئة الميل.

وفي الختام، آمل من الله سبحانه و تعالى أن تفي هذه الدراسة بغرضها وهو التعريف بماضي تتار الفولغا الإسلامي مع التركيز على مدينة قازان و إظهار كل النواحي الحضارية فيه، و أرجو أن تساهم هذه الدراسة أيضاً في توثيق عرى التواصل والمعرفة بين المسلمين فيهتمون أكثر باخوتهم الذين ما زالوا تحت حكم دول غير إسلامية، كما أدعو الله عز و جل أن يساعد المسلمين في التعلم من أخطاء الماضي و عدم تكرارها و أخذها عبرة للأجيال القادمة، وأعتقد أن هذا هو أحد أهداف دراسة التاريخ.

والله ولي التوفيق

سعيد إبراهيم كريديه

بيروت – لبنان

1. التعريف بجمهورية تتارستان

1.1 الموقع:

تتارستان اليوم جمهورية فدرالية تقع في غرب الإتحاد الروسي وبالتحديد في شرق القسم الأوروبي من هذا الإتحاد عند إلتقاء نهري "فولغا Volga" و "كاما Kama" ويحدها

أربع جمهوريات اتحادية روسية هي "باشكيريا" من الشرق و "أودمورتيا" من الشمال و "ماري إيل" من الشمال الغربي و "شوفاشيا" من الغرب وأربع مناطق تخضع للحكم الروسي مباشرة وهي "أليانوفسك" و "سمارا" و "أورنغبورغ" في الجنوب و "كيورف" في الشمال. (أنظر الخريطة في الأعلى)

1.2 المساحة و السكان:

تبلغ مساحة جمهورية تتارستان حوالي 67836كلم مربع، أما عدد سكانها فيقارب 3,779,000 نسمة حسب تقديرات عام 2002، منهم 52.9% تتار و 39.5% روس و 3.3 % من قومية "تشوفاش"،[1] السواد الأعظم من التتار يدينون بالاسلام أما الروس و تشوفاس فكليهما أورثوذكس.[2] اللغة الرسمية في تتارستان هي التترية (غير لغة تتار القرم) والروسية، وكلتاهما تُكتبان بالأحرف السيريلية[3] مع العلم ان التترية كانت تكتب بالحروف العربية حتى عام 1929 و بالأحرف اللاتينية من عام 1929 حتى 1939، ومنذ ذلك الحين حتى الآن بالسيريلية.[4] واللغة التترية تحوي على كلمات عربية

---

1 - **Eastern Europe, Russia and Central Asia, 2006,** 6rd ed. London: Europa , 2006, p.424.

2 - الخوند، مسعود، **الموسوعة التاريخية الجغرافية**، بيروت: دار رواد النهضة، 1994، مج 6، ص 172.

3 - و هي الأحرف التي تُكتب بها اللغة الروسية.

4 - Akiner, Shirin, **Islamic Peoples of the Soviet Union,** 2nd ed, London: KPI, 1986, p. 67.

وفارسية وتركية كثيرة، أما التأثير الروسي فيها فينحصر في مجالي التكنولوجيا و الإدارة.(1)

عاصمة تتارستان هي مدينة قازان وتقع على نهر الفولغا ويبلغ تعداد سكانها حوالي 1,105,300 نسمة حسب تقديرات عام 2002.(2)

منظر لقسم من مدينة قازان عاصمة تتارستان و يبدو فيه مسجد غل شريف

أهم المدن: "نابريجني تشلني Naberezhnye Chelny" و "نيجنكامسك Nizhnekamsk" و " ألمتيفسك Almetyevsk" و "زلنودولسك Zelenodolsk" و "تشتوبول Chistopol" .

1.3 المناخ:

---

[1] - المصدر السابق، ص 65.

[2] - **Eastern Europe, Russia and Central Asia, 2006**, p.424.

الطقس في جمهورية تتارستان معتدل نسبياً حيث تتراوح درجة الحرارة في الصيف من 20 إلى 30 درجة مئوية، وفي الشتاء تنخفض درجة الحرارة فيها إلى 35 درجة مئوية تحت الصفر أحياناً. تتساقط الأمطار في الربيع والصيف والخريف وأغلب الأمطار تسقط في فصل الخريف، أما في الشتاء فتكسو أرضها الثلوج.

1.4 الإقتصاد:

تعبتر تتارستان من أكثر مناطق الإتحاد الروسي تطوراً من الناحية الإقتصادية، فبالإضافة لإنتاجها للنفط والغاز تحوي تتارستان على امكانيات صناعية وزراعية هائلة. وقد تحسن الوضع الإقتصادي لصالح التتار بعد انهيار الشيوعية، فتترستان تنتج في العام 25 مليون طن من النفط ولم تكن تستفيد منه إلا بحوالي 10% و الباقي يذهب لموسكو، أما بعد سقوط الشيوعية أصبحت تتارستان تستفيد بحوالي 50% من النفط كما أصبحت تستفيد أيضاً من الثروة الزراعية و من دخل صناعة الشاحنات.[1] أهم المنتوجات الزراعية هي الحبوب كم تشتهر تتارستان أيضاً بتربيه الماشية والنحل. وأهم الصناعات هي المنتوجات البترولية والبتروكيماويات ومواد البناء والصناعات التي تتعلق بالهندسة الميكانكية بالإضافة إلى صناعة السيارات. وأبرز المراكز الصناعية هي "قازان" العاصمة و مدن "نابريجني تشلني" و "نيجنكامسك" و "زلنودولسك" ، كما تعتبر

[1]- حوار مع المفتي عثمان اسحاق رئيس الإدارة الدينية في تترستان، مجلة **المجتمع** عدد 1398 ، 2000/5/2 ، ص 36-37.

قازان نقطة إلتقاء للطرق المعبدة والحديدية والجوية كما أنها مرفأ رئيسي على نهر الفولغا.

2. بداية التاريخ الإسلامي لتتار الفولغا

2.1 فترة بلغار الفولغا

2.1.1 وصول الإسلام إلى ضفاف نهر الفولغا

انتشر الإسلام على ضفاف نهر الفولغا[1] بشكل سلمي عن طريق التجارة، و يؤرخ البعض بدء هذا الإنتشار إلى عهد الخليفة الأموي "عبد الملك بن مروان" (646م–715م)، بينما يربطه البعض الآخر بفترة الخليفة العباسي المأمون (786م–833م).[2]

وبين القرنين الثامن والتاسع الميلاديين هاجرت قبائل بلغارية [3] من منطقة *آزوف*[4] شمال البحر الأسود واستوطنت في منطقة حوض نهر الفولغا فاحتكت بالتجار المسلمين

[1] - و يُعرف أيضاً باسم "إتل" أو "إيدل" و هو أطول أنهار أوروبا إذ يبلغ طوله 3688كلم و يقع في غرب روسيا (أو شرق روسيا الأوروبية) و ينبع من شمال غربها و يمر بعدة مدن منها "نيجني نوفوغرود Nizhny Novgorod" (غوركي Gorki سابقاً) و "قازان" و "فولغوغراد" (ستالينغراد سابقاً) و "أستراخان" ليصب بعدها في شمال بحر قزوين.

[2] - Islam in Tatarstan**.** **www.tatar.ru.** 17/4/2003.

[3] - Tatarstan: History. **www.tatar.ru.** 17/4/2003.

[4] - History of Tatarstan: Volga Bulgaria. **www.kcn.ru/tat_en/history/h_bulge.html.** 17/5/2004.

واعتنق كثير منها الإسلام. وجدير بالذكر أنه ابتداءاً من بداية القرن السادس الميلادي انتشرت قبائل شعب البلغار في المنطقة الممتدة من شمال القوقاز صعوداً حتى ضفاف نهري الدون و الفولغا وصولاً حتى منطقة نهر الدانوب في شرق أوروبا[1]. وتذكر بعض المراجع التاريخية أن للبغار عدة فروع منهم:

1- بلغار منطقة حوض نهر الفولغا: و يحكمها مسلمون بالرغم من بقاء عدد منهم على الديانة الوثنية،[2]

2- بلغار منطقة الخزر (أي بحر قزوين): و يحكمها اليهود ويعيش بينهم مسلمون ونصارى و وثنيون، و كل فرقة أكثر عدداً من اليهود ولكنهم جميعاً كانوا يدينون لليهود الخزر بالطاعة[3] وكانت عاصمتهم مدينة "إيتل Itil" وهو الإسم القديم لنهر الفولغا و موضع هذه المدينة هو نفس موضع مدينة "أستراخان" الحالية،[4]

3- بلغار منطقة نهر الدانوب في شرق أوروبا الذين أسسوا دولة لهم عام 681م، ومع الزمن اندمج هؤلاء مع الشعب السلافي المجاور لهم واعتنقوا المسيحية على المذهب الأورثوذكسي عام864م،[5] ودولة بلغاريا الحديثة هي ما تبقى من دولة بلغار الدانوب

---

[1] - Ziyatdinova, Flura, "Historical Memory of the Tatar Ethnic Group", *International Affairs*, (Jan 1995), **www.tatar.ru**. 18/4/2004.

[2] - شاكر، محمود، **التاريخ الإسلامي المعاصر**، مج 21: المسلمون في الإمبراطورية الروسية، ط2، بيروت: المكتب الإسلامي، 1994، ص32.

[3] - المصدر السابق، مج 21، ص 32.

[4] - الخوند، مج 6، ص 173.

[5] - Öz Türkler, “Idyll (Volga) Bulgarian State: Origin of Bulgarians” **www.ozturkler.com**.27/5/2004

بعد أن قضى الروس على دولة بلغار الخزر عام 968م و التتار المغول على دولة بلغار الفولغا الإسلامية عام 1236م[1] والتي سنتكلم عنها في السطور التالية.

---

[1] - الخوند، مج 6، ص 173.

2.1.2 تأسيس دولة بلغار الفولغا الإسلامية

أسست القبائل البلغارية التي استوطنت حوض نهر الفولغا بين القرنين الثامن والتاسع الميلاديين –والتي تكلمنا عنها سابقاً– أول دولة إقطاعية في شمال شرق أوروبا،[(1)] وقد ظلت هذه الدولة تابعة لخان الخزر لغاية عام 965م حين استقلت تماماً عن الخان ولم تعد تابعة له بعد أن انتصر الأمير الروسي "سفياتوسلاف Sviatoslav" على الخزر.[(2)] تألف النسيج السكاني لهذه الدولة من خمس قبائل رئيسية هي: قبائل "البلغار" و قبائل "سوفار" (Suvar) و قبائل "أسكل" (Askl) و قبائل "برسولا" (Bersula) وقبائل "باراندجار" (Barandzhar)، إلا أن البلغار استطاعوا في القرن العاشر الميلادي أن يفرضوا سيطرتهم على باقي القبائل و استلام دفة الحكم في تلك الدولة.[(3)]

وابتداء من القرن العاشر الميلادي، استطاع الإسلام أن ينتشر في هذه الدولة نتيجةً لجهود بعض التجار المسلمين ولأخلاقهم الحسنة، وقد تم ذلك قبل الاستقلال الكلي لتلك

Tatarstan: History. **www.tatar.ru.** 17/4/2003. - [1]

"The Bulgar State". http**://groznijat.tripod.com/fadlan/rorlich2.html**. 9/6/2004 - [2]

[3] - المصدر السابق.

الدولة عن الخزر. وقد وصل الإسلام إلى دولة بلغار الفولغا عن طريق فارس و آسيا الوسطى.

وبغض النظر عن العادات و التقاليد الوثنية القديمة لشعب هذه الدولة فان الإسلام تغلغل فيها من خلال العلاقات التجارية و الثقافية أحياناً مما أعطاه أبعاداً كشفت عن قوتها في المراحل اللاحقة لصعود تلك الدولة و صراعها الحاد مع الروس.[1] و في ربيع عام 921م وصل إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية آنذك "عبد الله بن باشتو" مبعوث حاكم (أو "يلطوار Yltyvar" كما كان يدعى في لغتهم)[2] دولة البلغار و اسمه "ألموش Almush". وقد حمل هذا المبعوث معه ثلاث رسائل إلى الخليفة العباسي "المقتدر بالله" يعرب فيها اليلطوار "ألموش" عن رغبته في اعتناق الاسلام.[3] و قد حدد يلطوار البلغار هذه الرغبة في أن يرسل له الخليفة بعثة تفقه في الدين وتعرفه شرائع الإسلام و أن يبني له (أي للخليفة) مسجداً و ينصب له منبراً يقيم عليه الدعوة في جميع ممتلكاته، كما طلب الملك من الخليفة أيضاً ان يحميه من أعداء بلغار الفولغا، وكانوا آنذاك يهود الخزر.[4] استجاب الخليفة العباسي لطلب الملك وأرسل في نفس

---

[1]- الجنابي، هيثم، **الإسلام في أوراسيا**، بيروت: دار المدى، 2003، ص 124.

[2] - “The Bulgar State”. http://**groznijat.tripod.com/fadlan/rorlich2.html**. 9/6/2004

[3] - المصدر السابق.

[4] - إبن فضلان، أحمد، **رسالة إبن فضلان مبعوث الخليفة المقتدر إلى بلاد الصقالبة: عن رحلته إلى بلاد الترك و الخزر و الصقالبة الروس و اسكندينافيا في القرن العشر الميلادي، 921-924**، جمع و ترجمة و تقديم حيدر و محمد غيبة، بيروت: الشركة العالمية للكتاب، 1991، ص 33-34، 62. و انظر أيضاُ: ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله، **معجم البلدان**، بيروت : دار صادر، 1955، ص 486-487.

العام[1] مبعوثه إبن فضلان إلى مدينة بلغار[2] عاصمة تلك الدولة و التي تبعد الآن حوالي 140 كلم عن مدينة قازان و 30 كلم عن مكان التقاء نهري "كاما" و "الفولغا". وفي وثيقة مكتوبة تعود لإبن فضلان يذكر الأخير ما يلي: "إن سمعة بغداد في الخارج كانت جيدة بل عظيمة يتهافت الملوك و الأمراء عليها ليعقدوا معها أجمل الصلات و أوثق المحالفات حتى أن الصقالبة وهم من سكان الشمال في أوروبا على أطراف نهر الفولغا طلبوا عون الخلافة و مساعدتها"[3].

وفي 16 محرم عام 310 هجرية (16 أيار 922 ميلادية) أصبح الإسلام الدين الرسمي لهذه الدولة[4] واعتمدت الأبجدية العربية للكتابة بدلاً من الحروف التركية القديمة.[5]

---

1 - "The Bulgar State". **http://groznijat.tripod.com/fadlan/rorlich2.html**. 9/6/2004

2 - يقيم المسلمون احتفالاً سنوياً منذ سقوط الشيوعية في مدينة بلغار الأثرية حيث يجتمع عشرات آلاف المسلمين رجالاً و شباباً و نساءاً من جمع أنحاء روسيا الإتحادية ليقيموا الصلاة على أنقاض جامع أثري بُني قبل ألف عام في تلك المدينة والتي أعلنوا فيها إسلامهم. (أنظر: مقال تحت عنوان "العراقيون سبب في دخول الإسلام إلى روسيا" في مجلة **الفتوى** العراقية عدد تموز 2000، ص 1).

3 - إبن فضلان، ، ص 33-34.

4 - Devlet, N. "Present situation of the Soviet Muslims: The example of Kazan Tatars", originally published in 1986, summarized and developed by A. Zahoor. **www.cyberistan.org/islamic/tatar.htm.** 17/5/2004

5 - History of Tatarstan: Volga Bulgaria. **www.kcn.ru/tat_en/history/h_bulge.html.** 17/5/2004

2.1.3 حضارة دولة بلغار الفولغا الإسلامية

ومع دخول الإسلام إلى دولة البلغار واستقلالها عن الخزر طرأت تطورات كثيرة في ملامح حياة بلغار الفولغا، فقد غيّر الإسلام ملامح مجتمع هذه الأمة فأدخل القيم السامية ونشر العدل ودعا إلى المحبة والتسامح والمساواة كما شجب العنف والقسوة والمادية.

دخل الإسلام هذا المجتمع ودخلت معه الحضارة العربية الإسلامية فبرز العلماء والأدباء أمثال "يعقوب بن نعمان" الذي عاش في النصف الأول من القرن 12 الميلادي و ألف كتاب *تاريخ بلغاريا*، وفي مجال الطب عُرِف العلامة "برهان ابن بلغاري"، وفي الشعر اشتهر "كول غالي Kul-Gali" الذي كتب قصيدة "قصة يوسف Kyssai-Yusuf" في القرن 13 الميلادي وكان له أثر كبير في تطوير الأدبين البلغاري والتتري.[1]

ومن مظاهر حضارة بلغار الفولغا الإسلامية أيضاً صناعة المجوهرات من الذهب و الفضة و البرونز و النحاس، و كانت تلك المجوهرات ذات طابع مميز جداً حيث كانت

---

1 - History of Tatarstan: Volga Bulgaria. **www.kcn.ru/tat_en/history/h_bulge.html.** 17/5/2004

الطيور المائية طاغية على كل أشكال الحلي من خواتم و قراط و سوار و مرايا برونزية، و أهم تلك الطيور كان البط لأنها كانت رمزاً للحياه في التراث البلغاري.[1] كما اشتهر بلغار الفولغا في صناعة الأقمشة المرصعة بالخرز و الفضة،[2] و نجحوا في دباغة الجلود التي تألقوا بها فبرعوا في صناعة الأحذية والمعاطف والأحزمة، وقد ذاع صيت بلغار الفولغا في دباغة الجلود إلى ما وراء الأورال في أوروبا حتى دعي أحد أنواع الجلود باسم "بلغاري"،[3] و كان الروس خلال معاركهم مع بلغار الفولغا يتباهون بانتعالهم الأحذية البلغارية.[4] وقد تفوق بلغار الفولغا أيضاً في صناعة الأواني الفخارية حيث طور الخزافون البلغار تقنية وأسلوب خاصين بهما مما جعل الأواني التي أنتجوها ذات ميزة فريدة من نوعها من حيث الشكل والزينة.[5] وكانت العاصمة مدينة "بلغار" مبنية من الحجر والقرميد وكانت المياه فيها مؤمنة لكل سكانها[6]، كما شُيد فيها عدد كبير من المساجد والمدارس والقصور والمباني والفنادق الصغيرة وكلها كانت مزودة بنظم للتدفئة المركزية.[7] ومن جهةٍ أخرى ساهم الإسلام في تطوير النظام التعلمي في

1- "The Bulgar State". http://**groznijat.tripod.com/fadlan/rorlich2.html**. 9/6/2004

2- History of Tatarstan: Volga Bulgaria. **www.kcn.ru/tat_en/history/h_bulge.html.** 17/5/2004

3- "The Bulgar State". http://**groznijat.tripod.com/fadlan/rorlich2.html**. 9/6/2004

4- المصدر السابق.

5- المصدر السابق.

6- History of Tatarstan: Volga Bulgaria. **www.kcn.ru/tat_en/history/h_bulge.html.** 17/5/2004

7- Hisotry of Kazan. **www.kcn.ru/tat_en/kazan/capital.html.** 17/5/2004

دولة بلغار الفولغا فانتشرت المدارس في كافة القرى البلغارية وأضحى التعليم يتلائم والقيم الإسلامية[1] بعد أن تخل المجتمع عن القيم الوثنية التي كانت سائدة بالسابق.

وعلى الصعيد الإقتصادي كانت دولة بلغار الفولغا الإسلامية تصدر الفراء والخشب والجلود والأحذية والأسلحة (سهام – سيوف – دروع) إلى كل من الصين وبيزنطة وروسيا والشرق الأوسط.[2] أما الواردات فكانت الأقمشة والأواني الخزفية وبعض السلع الكمالية التي كان يغلب عليها طابع الرفاهية، وكان من نتيجة هذه التجارة الواسعة قيام تجار شركاء من بلغار الفولغا وآخرون في ممالك أخرى، كما أعطت التجارة مردوداً وفيراً من المال لدرجة أن البعض قام بترميم بعض المساجد خارج البلاد.[3]

وقد جاء في معجم *البلدان*[4] لياقوت الحموي (1178–1229)[5] ما يلي:

---

1 - History of Tatarstan: Volga Bulgaria. **www.kcn.ru/tat_en/history/h_bulge.html.** 17/5/2004

2 - المصدر السابق.

3 - Öz Türkler,“Idyll (Volga) Bulgarian State: Social and Economic Life” , **www.ozturkler.com,** 27/5/2004

4 - بيروت: دار صادر، 1955، مج1، ص 485-486.

5 - هو: أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي. أصله من بلاد الروم (أي آسيا الصغرى حين كانت تحت حكم البيزنطيين)، ولد حوالي عام 1178م أُسِراَ صغيراً و اشتراه تاجر من بغداد اسمه عسكر بن إبراهيم الحموي فرباه و علمه و شغله بالأسفار ثم عتقه. جال ياقوت في مدن إيران و العراق و الشام و مصر، راجع المكاتب و يعود الفضل إليه في جمع مواد لولاه لكانت ضاعت علينا. من مؤلفاته كتاب **معجم الأدباء** من نحاة و لغويين و قراء و علماء الأخبار، و كتاب **معجم البلدان** الذي يُعتبر أفضل مصنف من نوعه لمؤلف عربي في العصور الوسطى، و هو جامع للرحلات و الجغرافيا في صورها الفلكية و الوصفية و اللغوية، و قد اعتمد في اعداده على الكتب الجغرافية السابقة على رحلاته التي قام بها، كما أن لهذا الكتاب قيمة أدبية كبيرة لما فيه من الشواهد الشعرية، و لياقوت مصنفان جغرافيان هما **المشترك وضعاً و المفترق صقعاً** و الكتاب الثاني هو **مراصد الإطلاع على أسماء الأماكن و البقاع**. توفي عام 1229م. (انظر **الموسوعة العربية العالمية**، الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع، 1996، مج 27، ص286. و راجع أيضاً : توتل،

"بُلغار مدينة الصقالبة ضاربة في الشمال، شديدة البرد يكاد الثلج يقلع عن أرضها صيفاً و لا شتاءاً وقل ما يرى أهلها أرضاً ناشفة وبناؤهم بالخشب وحده وهو أن يُرَكّبوا عوداً فوق عود و يسمروها بأوتاد من خشب أيضاً محكمة، والفواكه والخيرات بأرضهم لا تنجب ... وكان ملك البلغار و أهلها قد أسلموا في أيام المقتدر بالله أرسلوا إلى بغداد رسولاً يعرّفون المقتدر [أي الخليفة العباسي المقتدر بالله] ذلك ويسألونه إنفاذ من يعلمهم الصلوات والشرائع، لكن لم أقف على السبب في إسلامهم".

فردينان، "المنجد في الأدب و العلوم: معجم لأعلام الشرق و الغرب"، في: **المنجد في اللغة و الأدب و العلوم**، ط15 بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1956، ص 572).

3. فترة حكم القبيلة الذهبية

في عام 1223م تعرضت دولة بلغار الفولغا لهجوم قاسٍ قامت به جحافل "جنكيز خان" المغولية. وكانت هذه الجحافل تشمل أعداد كبيرة من أفراد قبيلة أطلق عليها الصينيون اسم "تاتا" وأصبحت مع الزمن "تتار" وكانت تقطن شمال غرب الصين وأخضعها القائد المغولي جنكيز خان في بداية القرن الثالث عشر الميلادي. ويذكر الموقع التالي على الإنترنيت: **http://members.tripod.com/~Groznijat/fadlan/rorlich1.html** أنه هناك خلاف حول أصل هذه القبيلة فالبعض يقول أنها فرع من فروع المغول و البعض الأخر يرجعها إلى أصول تركية، إلا أن ما يهمنا الآن هو أنه بعد إخضاعها أطلق جنكيز خان اسم "تتار" على كل من يقع تحت سيطرته فامتزج اسم "تتار" و"مغول" مع بعضهما وأصبح الاسمين مع الزمن يستعملان للدلالة على جيش جنكيز خان وخلفائه.

فشل هجوم جنكيز خان في احتلال دولة بلغار الفولغا بسبب مناعة المقاومة التي أبدتها تلك الدولة. وفي عام 1227م توفي جنكيز خان فتقاسم الأمبراطورية أولاده الثلاثة وحفيده الذي كان يدعى "باتو خان". قام باتو خان في عام 1236م بهجوم على دولة

بلغار الفولغا على رأس جيشٍ قوامه 600000 مقاتل، فاحتل البلاد و أخضع العاصمة مدينة "بلغار" بعد أن ترك دماراً وخراباً شديدين. وكان هذا الهجوم من ضمن خطة وضعها القادة المغول لاحتلال أراضٍ واسعة غرب إمبراطوريتهم فاحتلوا مناطق واسعة في أوروبا الشرقية. وفي عام 1242م أسس باتو خان دولة عرفت بإسم "القبيلة الذهبية" واتخذ عاصمة له مدينة "سراي"[1] التي تقع على الحوض الأوسط لنهر الفولغا.

اعتنق تتار القبيلة الذهبية ديانات متعددة من أبرزها الشامانية،[2] بالإضافة إلى انتشار اليهودية والمسيحية والبوذية والطاوية الصينية فيما بينهم، لكن باتو خان كان يعطف على المسلمين ويتسامح معهم. وعندما توفي عام 1255م خلفه ابنه الذي ما لبث أن توفي فشغل المنصب عمه (أي أخ باتو) ويدعى "بركة خان" الذي كان قد دخل الإسلام منذ طفولته.[3] استمر حكم بركة خان حتى عام 1267م وتحول أثنائها معظم أفراد القبيلة الذهبية إلى الإسلام فكانت أول قبائل المغول التي اعتنقت الدين الحنيف. وكانت سلطة هذه القبيلة تمتد من المحيط المتجمد الشمالي حتى آذربيجان ومن تركستان و وسط سيبيريا حتى بولندا وهنغاريا وما يسمى اليوم أوكرانيا و روسيا ولم يكن ينصب أمير على موسكو إلا بعد موافقة حكام القبيلة الذهبية. وفي هذه الأثناء اختلط هؤلاء

[1] - من الأرجح أنها كانت على بعد 120 كلم شمال من مصب هذا النهر في بحر قزوين.
[2] - وهي ديانة بدائية غير سماوية انتشرت في آسيا الوسطى.
[3] - بركة خان هو حفيد جنكيز خان و ابن عم هولاكو الذي استباح مدينة بغداد عام 1258. و أما اسلام بركة خان فانه كان فتحاً للإسلام و المسلمين في تلك الأصقاع مما جعل المؤرخين من العرب و المسلمين ينوهون به .

المغول الذين عرفوا أيضاً باسم "التتار" ببلغار الفولغا المسلمين إختلاطاً شديداً و أصبح منذ ذلك الوقت سكان هذه المناطق يُعرفون جميعاً بإسم "التتار"[1].

كانت دولة بلغار الفولغا خلال ذلك الوقت تتمتع بين الحين و الآخر باستقلال ذاتي وخاصة في مجال السياسة الخارجية، وكان حكام القبيلة الذهبية قد أنشاوا مدينة "قازان" على ضفاف الفولغا شمال مدينة بلغار[2] في القرن 13 الميلادي[3] في عهد باتو خان، و قد اشتهرت هذه المدينة فيما بعد و اصبحت من أهم مدن نهر الفولغا،

كما ازدهرت مدينة بلغار في عهد حكم القبيلة الذهبية و أصبح لها مكانة إقتصادية و سياسية حيث كانت أحد المقرات الرئيسية لباتو خان وسُكّت فيها النقود.

وقد ذكر المدينة المؤرخ و الجغرافي "أبو الفداء"[4] في كتابه **تقويم البلدان**"[1] فقال:

---

1 - الخوند، مج 6، ص 174.

2 - المصدر السابق ، مج 6، ص 174

3 - The School of Russian and Asian Studies, “Kazan”, **www.sras.org/cities**, 18/5/2004

4 - هو عماد الدين إسماعيل أبو الفداء، أمير عربي مسلم و مؤرخ و جغرافي ولد في دمشق عام 1273م كان والده أمير مدينة حماه و هو أحد فروع الدولة الأيوبية. اشترك أبو الفداء مع والده في الجهاد ضد الصليبيين ثم التحق بخدمة السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون و في عام 1310 أصبح أبو الفداء حاكماً على حماه و لقب بالملك الصالح و الملك المؤيد. و ترجع شهرة أبي الفداء في الجغرافيا الى كتابه الذي بدأ تأليفه سنة 1317 و أتم مسودته بعد أربع سنوات واختار له عنوان **تقويم البلدان** و هو معجم جغرافي مقسم إلى قسمين الأول يضم معلومات عامة عن الأرض و البحار و الأنهار أما القسم الثاني فتناول معلومات عن مناطق جغرافية في الأندلس و شمال افريقيا و السودان و الجزيرة العربية و الشام و العراق و فارس و الصين و وسط أسيا و القوقاز و آسيا الصغرى. توفي أبو الفداء في حماه عام 1311. (راجع **دائرة المعارف الإسلامية**، مادة "أبو الفداء"، القاهرة : مطبعة الاعتماد , 1933، مج 1، ص 386؛ و راجع أيضاً **الموسوعة العربية العالمية**، مادة "أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل"، الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، مج 17، ص 241).

"ومدينة بلار يقال لها بالعربي بلغار و هي بلدة في نهاية العمارة الشمالية وهي قريبة من شط أتل[2] من البر الشمالي الشرقي... والجبل عنها اقل من يوم وبها ثلاثة حمامات وأهلها مسلمون حنفية و لا يكون بها شيء من الفواكه ولا أشجار للفواكه لشدة بردها وكذلك العنب لا يوجد بها و يستوي بها الفجل ويكون اسود في غاية الكبر، وحكى لي بعض أهلها أن في أول فصل الصيف لا يغيب الشفق عنها ويكون ليلها في غاية القصر"[3].

كما زار المدينة في تلك الفترة الرحالة العربي ابن بطوطة[4] وذكرها في مؤلفه **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**،[5] وكتب عن قِصَر الليل والنهار فيها فقال: "وكنت سمعت بمدينة بلغار فأردت التوجه إليها لأرى ما ذكر عنها من انتهاء قصر الليل بها وقصر النهار أيضاً في عكس ذلك الفصل".[6]

---

1 - اعتنى بتصحيحه وطبعه رينودم وماك كوكين ديسلان، باريس : دار الطباعة السلطانية, 1820، ص 317.

2 - أي نهر الفولغا.

3 - المصدر السابق، ص 317.

4 - هو أبو عبد الله محمد، رحالة و مؤرخ مسلم مشهور ولد في طنجة بالمغرب عام 703هـ - 1304م و قام بثلاث رحلات إستغرقت زهاء 29 عاماً زار خلالها الحجاز و مصر و الشام و العراق و فارس و اليمن و البحرين و إفريقيا الشرقية و آسيا الصُغرى و القسطنطينية و القرم و الهند و الصين و أفغانستان ثم رجع عن طريق جزيرة سومطرا في إندونيسيا و عاد إلى المغرب ثم إلى غرناطة فزار من بعدها غرب إفريقيا و بالتحديد ما يعرف اليوم بدول مالي و النيجِر و غرب موريتانيا و شرق الجزائر و ذلك بين عامي 753هـ - 1352م و 754هـ - 1353م. له كتاب **تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار** المعروف أيضاً بإسم **رحلة أبن بطوطة** و الذي تُرجم إلى عدة لغات أوروبية. توفي في مراكش عام 779هـ - 1377م

5 - حققه و قدم له و علّق عليه علي المنتصر الكتاني، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1975، مج 2، ص 174

6 - المصدر السابق، مج 2، ص 374

بدأ الضعف يدب في القبيلة الذهبية و خاصة بعد وفاة أحد حكامها المدعو "محمود جاني" عام 1357م، فخلفه حكام ضعاف وظالمون. وفي العقد الأخير من القرن 14 الميلادي وقعت حروب ضارية بين "طوقتاميش" حاكم القبيلة والقائد المغولي "تيمورلنك"، فقام الأخير بدخول مدينة "سراي" عاصمة القبيلة الذهبية فضعف أمرها أكثر فشجع ذلك انفصال بعض مناطق عن القبيلة منها خانية[1] سيبريا وخانية خوارزم وخانية نوغاي و خانية أستراخان و خانية القرم و خانية قازان. ومن المفيد أن نعلم أن الإمارات التتارية التي انفصلت عن مدينة "سراي" لم تكن أبداً يداً واحدة تقف في وجه الروس العدو الجديد الآتي من الغرب، وإنما كان بعضها يدعم الروس ضد خانيات التتار الأخرى أو يقف أحياناً بجانبهم ضد إخوانه المسلمين وأشقائه التتار.[2]

[1] - "خانية" كلمة تركية و تعني الإمارة و رئيسها كان يدعى "خان"
[2] - شاكر، مج21، ص 41.

4. فترة خانية قازان

أسس هذه الخانية "أولوغ محمد" عام 1437م وهو أحد حكام القبيلة الذهبية وحفيد طوقتاميش. وكان أولوغ محمد قد حاول أن يحكم القرم لكنة فشل فقدم إلى منطقة بلغار الفولغا التي عانت من هجوم روسي وحشي أدى إلى تدميرها عام 1399م[1] وطلب من سكانها السكن فيها فأطاعوه وبدأت تدب الحياة فيها من جديد فأسس خانية[2] عام 1437 عاصمتها مدينة قازان التي عُرفت أيضاً باسم "بلغار جديد" أي بلغار الجديدة، و أطلق على هذه الخانية إسم "خانية قازان".

أما حدود هذه الخانية فكانت:

من الشمال: قبائل فنلندية

من الشرق و الجنوب الشرقي: خانية نوغاي

من الشمال الشرقي: خانية سيبير والتي امتدت فيما يعرف اليوم بغربي سيبيريا وعاصمتها مدينة سيبر أيضاً، و جدير بالذكر أن كلمة سيبيريا مشتقة من كلمة سيبير.

من الغرب: إمارة موسكو

---

1 - Öz Türkler,"Idyll (Volga) Bulgarian State: Political History", **www.ozturkler.com**, 27/5/2004

2 - شاكر، مج 21، ص 50.

من الجنوب الغربي: خانية القرم

من الجنوب: خانية أستراخان التي تقع في مصب نهر الفولغا.

حاول أولوغ محمد عند استلامه الحكم أن يعيد مجد القبيلة الذهبية و يوحد أراضها التي تقسمت و تفتفتت إلى عدة خانينات. وكانت أول خطوة في ذلك عام 1439م حين اتجه غرباً وهاجم موسكو وحاصرها، لكن ما لبث أن فك حصارها بعد أن جمع غنائم من أهلها[1]. ثم عاود الغزو مرة أخرى عام 1445م ودمر مدينة "كولوما" القريبة منها و أسر أمير موسكو "فاسيلي Vasily" الثاني ثم أطلق سراحه فيما بعد بموجب إتفاقية تدفع من خلالها موسكو لخانية قازان تعويضات مالية وتنشئ خانية بالقرب منها في مدينة "غورودوك Gorodok" على نهر "أوكا Oka" تعطى لأحد أبنا أولوغ محمد وهو "قاسم"، و كان الهدف من إقامة هذه الخانية هو مراقبة تحركات موسكو كي يتمكن أولوغ محمد من التدخل عند الضرورة لحماية خانيته، وكانت جميع مصاريف الجيش المرابط في هذه المنطقة تقع على عاتق المدن الروسية بالإضافة إلى ضريبة سنوية كانت مفروضة على موسكو[2].

---

[1] - شاكر، مج 21، ص 50.

[2] - Öz Türkler,“Kasim Khanate” **www.ozturkler.com**, 27/5/2004

في عام 1446م توفي أولوغ محمد وسيطر مكانه ابنه محمود، فوقع خلاف مع أخويه قاسم و يعقوب ففرا إلى موسكو. وهناك أُعطي قاسم مدينة "غورودوك" طبقاً للإتفاقية وإكراماً له حُوِّل إسمها إلى "قاسموف Kasimov" التي أصبحت عاصمة لخانية قاسم التابعة لموسكو[1] تقوم من خلالها الأخيرة بالتدخل في الشؤون الداخلية لخانية قازان[2].

استمر محمود في خلافه مع موسكو حتى توفي عام 1462م فخلفه ابنه خليل الذي حكم حتى العام 1467م، ثم أتى من بعده أخوه "إبراهيم". قام "إبراهيم خان" بعدة حملات ناجحة[3] ضد موسكو المدعومة من عمه قاسم[4]. وفي عام 1469م تمكن الروس من الإنتقال إلى الهجوم بعد أن كانوا في موضع الدفاع و هاجموا الخانية وحاصروا قازان وأجبروا "إبراهيم خان" على اطلاق سراح جميع الأسرى الروس المعتقلين في قازان[5]. و في عام 1479م توفي "إبراهيم خان" فخلفه ابنه "علي خان" الذي ذُكر في المصادر بإسم "إلهام"[6]، غير أن الابن الثاني "محمد أمين" فر إلى موسكو مغاضباً لأخيه و منازعاً له، فدعمه الروس بجيشٍ كثيف تمكن به من احتلال قازان و استلام خانيتها، كما تم أسر أخيه "على خان" و حمله إلى موسكو فسجن هناك و توفي في معتقله.

---

1 - Benningsen, A, "Kazan", **Encyclopedia of Islam**, Leiden: E.J. Brill, 1986, vol 4, p.849.

2 - Öz Türkler,"Kasim Khanate" **www.ozturkler.com**, 27/5/2004

3 - Benningsen, vol 4, p.850

4 - شاكر، مج 21، ص 50.

5 - Benningsen, vol 4, p.849

6 - المصدر السابق.

اعترض أهل قازان على حكم "محمد أمين" لكنهم لم يستطيعوا خلعة بسبب الدعم الروسي له. لكن في عام 1495م هجم تتار من خانية سيبير بقيادة "ماموق خان" على قازان ففر محمد أمين مع أهله إلى موسكو. حكم "ماموق خان" قازان لمدة عام لكن سكانها لم يحبذوه إنما رغبوا بتولي "عبد اللطيف خان" الأخ الأصغر لمحمد أمين في حكم البلاد. و قد نصبوه فعلاً و رحل ماموق خان إلى خانية نوغاي (Nogay) التي كانت تقع بين نهري "دون" و "دنيبر"[1]. وفي عام 1502م استُدعِي "عبد اللطيف خان" إلى موسكو و اعطي الحكم لمحمد أمين.

كان "محمد أمين" في بادئ الأمر متعاوناً مع الروس لكن سرعان ما انقلب عليهم فحاربهم عام 1506م و انتصر عليهم قرب مدينة "نجني نوفوغورد" شرق موسكو فعقد الروس معه معاهدة سلام في السنة التالية.

توفي "محمد أمين" عام 1518م كما توفي أخوه "عبد اللطيف" قبل عام ولم يكن لديهما عقب أو وريث فانقطع نسل "أولوغ محمد" و دخلت خانية قازان في فترة من الفوضى.

[1] - أي المنطقة الممتدة من غرب أوكرانيا حتى القطاع الأوسط من غرب روسيا.

في هذا الجو من عدم الإستقرار عين الروس عام 1519م أحد أمراء التتار خاناً على قازان وهو "شاه علي". لكن أهل قازان لم يرضوا عن هذا الخان فاتفقوا مع خان القرم "محمد غيراي Giray" أن يرسل لهم أخاه "صاحب غيراي" ليكون حاكماً على خانية قازان. فأتى إليهم عام 1521م وخُلِع شاه علي وإلتجأ إلى موسكو واندلعت الحرب بين الروس و قازان. وهنا تختلف المصادر في تواريخ وأحداث هذه الحرب، فيذكر "بنِّغسن Benningsen"[1] أن الأخوين غيراي قاما عام 1521م بحملة عسكرية ضد موسكو و وصلا فيها إلى أسوار المدينة وتم أخذ مئات الألوف من الأسرى الذين بيعوا فيما بعد في القرم، لكن الهجوم فشل فيما بعد ولم تنجح الحملة تماماً. أما شاكر[2] فيفيد أن الروس أرسلوا جيشاً غلى قازان بقيادة شاه علي عام 930هـ (أي ما يعادل1523م) وعام 931هـ (اي ما يعادل 1524م) فارتكب أبشع الجرائم في المرتين. عرض "صاحب غيراي" على السلطان العثماني "سليمان القانوني" أن تتبع قازان الدولة العثماينة فعارض الروس ذلك و سيروا جيشاً إلى قازان بإمرة "شاه علي" لكن لم يحدث قتال و لكن فر صاحب غيراي إلى القرم بعد وفاة أخيه "محمد" عام 1530م وترك الحكم لإبن أخيه "صفا غيراي"[3] البالغ من العمر 13 عاماً[4]. ومنذ ذلك الحين بدأ الضغط الروسي يأخذ شكلاً آخر غير الشكل العسكري وهو الضغط الإقتصادي، فقد منع أمير موسكو

1- vol 4, p.849
2- مج 21، ص 51.
3- المرجع السابق، مج 21، ص 51.
4- Benningsen, vol 4, p.849

التجار الروس من التعامل مع خانية قازان، وأقام معرضاً سنوياً في إمارة موسكو ينافس معرض قازان، كما شرع ببناء قلعة عند إلتقاء نهري الفولغا و سورا Sura غرب قازان مُفتتحاً بذلك محاولات الروس لإحتلال وسط حوض نهر الفولغا.[1]

في هذه الأثناء أُنهك أهل قازان من الحرب مع موسكو، فسار بعض وجهائها إلى موسكو وعرضوا الصلح و طلبوا تعيين خان من قبل موسكو عليهم[2] مقدمين للأخيرة كل الذرائع للتدخل في شؤون خانية قازان، فقام مؤيدو موسكو من تتار قازان بتعيين "جان علي" بعد أن رحل الخان الصغير "صفا غيراي" إلى القرم عام 1530م. وفي عام 1535 قتل "جان علي" على يد امراء من قازان مؤيدين لآل "غيراي"، فعاد صفا غيراي الى الحكم و تحارب مع الروس الذين هاجموا مدينة قازان ففر هذا الخان عام 1546م و تسلم زمام الأمور "شاه علي". لكن ما أن انسحبت القوات الروسية المرافقة لشاه علي حتى عاد "صفا غيراي" و بقي بالحكم حتى وفاته عام 1549م، أما ابنه ووريثه "أطمش" فكان صغيراً يبلغ 12 من العمر فتولت أمه "سيوم بيك"[3] الحكم عنه حتى رُحِّل عام 1551 إلى موسكو و عُمِّد تحت اسم "اسكندر" و عاش حتى عام 1566م[4]. استغل أمير موسكو هذا الوضع و هاجم قازان بجيش كثيف و معه "شاه علي" الذي نصب

[1] - المصدر السابق، vol 4, p.849
[2] - شاكر، مج 21، ص 51.
[3] - يوجد برج باسمها في كرملن قازان.
[4] - Benningsen, vol 4, p.849

خاناً على قازان للمرة الثالثة. رفض وجهاء قازان خانية شاه علي فثاروا ضده و خلعوه عن العرش ووضعوا مكانه خاناً آخر اسمه محمد يقول بنينغسن أنه "ياديغار Yadigar محمد" من مدينة أستراخان[1]، بينما يذكر شاكر أنه محمد خان ومن النوغاي[2]. لكن الروس لم يعجبهم قدوم هذا الخان الى قازان واستلام الحكم فيها فقاموا بحملة عسكرية على المدينة بقيادة القيصر "إيفان الرابع" الملقب بإيفان الرهيب وبالتعاون مع "شاه علي" و لم تفلح كل المحاولات التي أجرتها قازان في طلب العون من الخانيات الأخرى أو الدولة العثمانية.

---

1 - المصدر السابق ص vol 4, p.849

2 - مج 21، ص 52.

5. احتلال الروس لقازان و لخانيتها

وصل الجيش الروسي إلى قازان في 20 آب 1552م و بعد ثلاثة أيام حاصر المدينة من جميع الجهات بفرقة عسكرية قوامها 150000 جندي و 150 قطعة مدفعية، و كانت هذه الفرقة بقيادة مهندس انكليزي يدعى "بتلر Butler". أما في الجانب الآخر فكان لدى قوات قازان 33000 جندي فقط داخل المدينة و 15000 خيال خارجها.[1] تحرك هؤلاء الخيالة و هاجموا مؤخرة الجيش الروسي فأحدثوا ذعراً و إرباكاً لدى العدو. وكان أهل قازان قد ملئوا الأقنية المائية بالمتفجرات وفجروها أمام الروس مما أدى إلى تدمير أسوار المدينة فساعد ذلك الروس بالولوج داخلها والهجوم على قلعتها.

احتل الروس قازان بعد قتال مرير يوم 24 شوال عام 959هـ الموافق 2 تشرين الأول 1552م بقيادة "إيفان الرهيب" وأزالوا هذه الخانية و ضموها إلى موسكو بعد أن بقيت مدة مائة وثماني عشرة سنة قلعة من قلاع المسلمين على نهر الفولغا، فهل يدري

---

1 - Öz Türkler,“Fight with Russians”, **www.ozturkler.com**, 27/5/2004

مسلمو اليوم هذه الحقيقة، وهل تعود أمجاد قازان الى أيامها الغابرة؟؟ سؤال تجيب عنه الأجيال القادمة.

قام الروس لدى دخولهم قازان بإلقاء القبض على "ياديغار خان" و باقتراف ابشع المجازر و المذابح، وعمدوا إلى قتل نخب الشعب ومدرسيين و علماء و خاصة أولئك الذين كانوا في محيط مسجد "كول شريف" بعد أن دافعوا عن شرفهم وعقيدتهم بالسيوف فقط، فماتوا شهداء. ولم يكتف الروس بذلك بل قاموا بذبح كل من رأوه على قيد الحياة سواء كانت رجل او إمرأة أم طفل ودمروا العديد من المساجد والقصور. كما احتل ايفان الرهيب قلعة الكرملن التي بُنيت منذ عهد القبيلة الذهبي. ويُعتقد أن الروس أخذوا نموذج هذه القلعة وبنوا "كرملن موسكو."

وهكذا غدت آسيا الوسطى وسيبيريا كلها تحت الحكم الروسي باستثناء خانية القرم الذي أجل الروس احتلالها ريثما يقوى أمرهم ويتمكنوا بعدها من منازلة القرمين وصد العثمانيين.

وفي ختام هذه الفقرة لا يسعنا إلا ان نقول اللهم اغفر لنا وسامحنا واجعلنا في مقام هؤلاء الشهداء الأبطال الذين امتزج دمهم الطاهر بمياه الفولغا.

6. الحياة الفكرية و الإقتصادية و الإجتماعية في قازان قبل سقوطها بأيدي الروس

كانت مدينة قازان بين القرنين 15م و 16م عاصمة خانية سميت بإسمها، و كانت مدينة رائعة تبهج النظار لجمالها و لروعة عمارتها من مساجد و قصور و قلاع حتى قيل عنها "عاصمة الشرق"[1].

كان شعب مدينة قازان كباقي الخانية يتألف من بلغار الفولغا وهم السكان الأصليين ومن جماعات من التتار كانت منضوية في جيش حفيد جنكيز خان باتو خان الذي احتل المنطقة عام1236م، وكان أفراد هاتان المجموعتان مسلمين سُنه على المذهب الحنفي. وكان هناك قبائل "شوفاس" التي كانت تدين بالشامانية و قبائل فنلندية معادية للروس و هذا ما جعلها تتآلف مع بلغار الفولغا و التتار. وكان الشوفاس و الفنلنديون يدفعون الجزية لحاكم خانية قازان فعاشوا بوئام وسلام ومارسوا حريتهم الكاملة في البلاد و لم يثوروا ضد السلط بل شارك بعضهم معها في مقاومة الروس[2].

1- "Kazan: History of the city", **www.kazan.ws/cgi-bin/eng/view**, 17/5/2004

2- Öz Türkler,"Kazan: Ethical Structure" www.ozturkler.com,27/5/2004

عمل معظم سكان قازان و خانيتها بالزراعة، إلا أن نخبة من المعماريين والحرفيين سكنت مدينة قازان، كما اشتهرت الخانية بصناعة الجلود و الأحذية و صيد السمك من نهر الفولغا و تربية النحل فانتعشت تجارة العسل والشمع بالإضافة إلى تجارة الفراء هذا إلى جانب أنها كانت مركزاً تجارياً مهماً. ولعل أهم ما برعت به قازان كان صياغة المجوهرات وابدع ما أنتجته كان التاج الذهبي الذي استولى عليه إيفان الرهيب خلاله هجومه على المدينة ومن ثم أخذه إلى موسكو.

7. النتائج السلبية لسقوط خانية قازان

كان لسقوط قازان نتائج سلبية جداً على مسار الدعوة الإسلامية في حوض الفولغا، فمع إنهيار هذه الدولة الإسلامية التي كانت قلعة من قلاع الإسلام في آسيا الوسطى انهارات كافة الخانيات والإمارات التترية الإسلامية في تلك المنطقة واحدة تلو الاخرى وفتح المجال أمام الروس لنشر وتثبيت دينهم وحتى سلطتهم في تلك الأصقاع البعيدة عن موسكو. كما أدى سقوط خانية قازان و ما تلاها من خانيات إلى تحويل نهر الفولغا لنهرٍ روسي بعد أن كان نهراً إسلامياً.

وقد هز سقوط قازان والتنكيل بأهلها المؤرخين الروس أنفسهم، فذكر المؤرخ الروسي "م. خودياكوف" ما يلي :"إن ما حدث في اليوم الثاني من تشرين الأول (يوم اقتحام إيفان الرهيب مدينة قازان) لم يسبب بسقوط عدد هائل من الضحايا وبجلب المعاناة والمآسي لسكان قازان بل انه احدث هدماً ودماراً هائلين للإزدهار الذي تراكم في المدينة عبر الأجيال".(1)

Hunter, Shirin,**Islam in Russia:The Politics of Identity and Security,**London: M.E.Sharpe,2005,p6 -[1]

وقد ترافق مع هذا التدمير للحضارة الإسلامية جهود قوية للقضاء على التراث الروحي الإسلامي، إذ يقول المؤرخ الروسي ن. ن. فيسسوف :" ومع وصول طبقة النبلاء الروس إلى قازان و بناء الأديرة فيها بدأ الإضطهاد الديني يأخذ مجراه في تلك المدينة. وكان إيفان الرابع المتأثر برجال الدين الأرثوذكس هو المحفز لهذا الإضطهاد، إذ قام بهدم المساجد ومنع إعادة تعميرها. ومن جهةٍ أخرى انكب المبشرون الروس في قازان على تحويل أكبر عدد ممكن المسلمين عن الإسلام إلى الأرثوذكسية."(1)

[1]- المصدر السابق، ص 6.

8. تتار الفولغا منذ السيطرة القيصرية و حتى الآن

كما مر معنا فقد أصبحت خانية قازان خاضعة للأمبراطورية الروسية منذ العام 1552م، وعرفت سنوات 1740م–1743م حملة منظمة ضد الإسلام والمسلمين في هذه المنطقة إذ هدم الروس عدد كبير من المساجد وتم إضطهاد المسلمين. وقد انتهج النظام القيصري منذ البداية تجاه السكان الأصليين خطتين:

الخطة الأولى: سياسة "التذويب" أو القضاء التام على ما تبقى من ملاكي الأراضي من التتار باصدار العديد من المراسيم للتضييق بهم و إرغامهم على ترك ممتلكاتهم.

الخطة الثانية: وكانت تسعى على تنصير المسلمين بشتى الوسائل، و قد أخذت هذه الحملات بعداً جديداً في عهد بطرس الأول حيث تقرر إعفاء كل من تنصر من التجنيد ومن أداء الضرائب لمدة ثلاث سنوات.

تزايد الاضطهاد بشكل مثير للإنتباه في عهد الأمبراطورة "أنّا Anna" (1693–1740)، ففي عام 1731 أُحدِثَت "مؤسسة المنصرين الجدد" التي ظلت تعمل طيلة 33 عاماً على إرغام الناس بشتى الوسائل على الدخول في النصرانية. ولقد قام اسقف قازان في

الفترة الممتدة بين عامي 1738 و 1755 بهدم ما لا يقل عن 418 مسجداً من أصل 536 مسجداً كانوا موجودين في المنطقة.[1]

لكن القيصرة "كاترين الثانية" (1762–1796) خففت بعض الشيء من غلواء هذه الحملة وحاولت التقرب من التتار، فقامت باغلاق "مؤسسة المنصرين الجدد" وبالسماح للمسلمين بالسكن في كافة المدن والقرى التتارية وتشييد مسجدين اثنين في قازان. وبعد هذه الاجراءات بثلاث سنوات صدر مرسوم امبراطوري يمنح بمقتضاه المسلمون الحرية الدينية المطلقة في جميع أرجاء البلاد بما في ذلك حرية بناء المساجد والمدارس الدينية، وعُين عام 1782 مفتي لروسيا و في عام 1788 أسست "الجمعية الروحية للمسلمين".[2] ولا بد من الاشارة إلى أن عهد الامبراطورة كاترين الثانية شكل بالنسبة للمسلمين فترة انفراج واسع و انفتاح كبير اذ قامت نهضة ثقافية اسلامية عارمة فازداد في ذلك العصر اهتمام مختلف الأوساط الثقافية الروسية بالشرق عامة والشرق العربي و الاسلامي خاصة، ففي عام 1782 صدر مرسوم يقضي بتعليم اللغة العربي بجانب اللغتين التتارية و الفارسية في الأقاليم الاسلامية وتم ادخال الحرف العربي إلى المطابع

1- Benningsen, A. & Quelquejay Ch., **Les mouvements nationaux chez les musulmans de Russie**, Paris, Mouton, 1960, p . 25.

2- Benningsen, A. & Quelquejay Ch, p . 27.

الروسية بما فيها مطابع مدينة قازان،[1] فنشطت المطابع العربية التي أنتجت كميات هائلة من الكتب الدينية وغيرها بلغات المسلمين المحليين وباللغة العربية. وحسب بعض الاحصائيات فان مطبعة قازان وحدها طبعت في الفترة الممتدة ما بين 1853 و 1859 ما يزيد على 362700 نسخة من القرآن الكريم ومن مختلفف الكتب الدينية كما أنها أصدرت خلال عشر سنوات (من 1854 الى 1864) ما يزيد على مليون كتاب.[2]

وفي عام 1771 أُفتُتِح في قازان مدرستين إسلاميتين هما "أخونوف" و "أبايانف"، وفي عام 1780 أُسست المدرسة العثمانية. وعلى الصعيد الثقافي أنشئ أول مسرح في قازان عام 1791. [3]

وكانت الإمبراطورة كاترين الثانية تسعى من وراء سياسة التسامح مع المسلمين إلى التوسع الروسي نحو الشرق[4] من خلال أمرين هما:

الأول: استقطاب مسلمي الجنوب و الحيلولة دون تحالفهم من الأتراك العثمانيين و هم أخوة لمسلمي روسيا في الدين و في اللغة في كثير من الأحيان.

---

1 - كراتشكوفسكي، ا، **دراسات في تاريخ الاستعراب الروسي**، موسكو: منشورات أكاديمية العلوم للاتحاد السوفياتي، 1950، ص 53.

2- Benningsen, A. & Quelquejay Ch., , p . 25.

3- "Kazan as a city of Russia", Official Millenium Server, **www.kazan1000.ru/eng/histoy/engkazan.htm,** 17.5.2007.

4- الخوند، مج 6، ص 174.

الثاني: وهو اقتصادي و يتمثل في دخول روسيا إلى أسواق آسيا المسلمة التي كانت محرمة على غير المسلمين و التي لم يكن يستطيع التعامل فيها سوى التتار المسلمين من مجموع سكان الإمبراطورية الروسية، و نتيجةً لذلك أصبح رؤساء القبائل التتارية وسطاء يستوردون المصنوعات الروسية إلى مناطقهم ويصدرون منها منتوجات المناطق الإسلامية إلى داخل روسيا.[1]

وقد كان لعلماء الدين المسلمين دور سياسي بارز في خانية قازان بحيث كانت مقاليد الحكم تنتقل مؤقتاً إلى شيخ العلماء في أوقات ما بين العهدين، وقد استمر هذا الحال حتى بعد سقوطها بأيدي الروس، لهذا باءت بالفشل كل الممارسات القاسية التي قام بها القياصرة و رجال الدين الأرثوذكس من تدمير و قمع للإسلام و مظاهره بين تتار الفولغا أو حتى محاولات تنصيرهم بالترغيب و الترهيب.[2]

وخلال القرون الثلاثة التالية لسقوط قازان أي حتى نهاية القرن الثامن عشر أخذ دور التصوف الاسلامي في الحياة الإجتماعية و الروحية بين تتار الفولغا يزداد. وهو تأثير له من جهة تقاليده التاريخية العريقة و من جهة أخرى كان رد الفعل المباشر وغير

---

[1] -. Benningsen, A. & Quelquejay Ch., ,p. 28

[2] - الجنابي، ص 124-125.

المباشر على الفراغ الروحي الذي ولده الإحتلال الروسي في المنطقة. فقد أدى التصوف في ظل السيطرة الروسية حينذاك دور الموحد الروحي والوجداني والسياسي لتتار الفولغا.[1]

وحتى وصول الشيوعيون إلى الحكم في روسيا لم يطرأ أي تطور على وضع المسلمين في قازان بإستثناء إنشاء بعض المساجد المهمة والتي ما زال بعضها حتى اليوم وتعد تحفة في الفن المعماري الإسلامي، ومن هذه المساجد: مسجد نورليف ومسجد عظيموف ومسجد المرجاني الذي بني نسبة للعالم المرجاني ومسجد بورنايف.

وفي عام 1917 إنهار الحكم القيصري في روسيا و استلم الشيوعيون الحكم في كل البلاد و أصبحت روسيا دولة شيوعية وملحدة تحارب الدين بما فيها الدين الإسلامي وتحول اسمها إلى "الإتحاد السوفياتي". وقد انعكس هذا الوضع على كل مسلمي روسيا بما فيها مسلمي تتارستان.

وفي 27 أيار 1920م أُعلنت "جمهورية تتارستان الإشتراكية السوفياتية" و عاصمتها مدينة قازان. و في 20 آب 1990م أعلن مجلس السوفيات التتري سيادة الدولة الإقليمة

1- المصدر السابق، ص 123.

في ما فسر بأنه إعلان إستقلال. وفي كانون الأول عام 1991 إنهار الإتحاد السوفياتي، و في 21 آذار 1992م جرى استفتاء في تتارستان حول سيادة الدولة على إقليمها فاقترع 62،4% من المقترعين لمصلحة هذه السيادة. وفي 12 كانون الأول 1993م رفضت تتارستان تنظيم انتخابات برلمانية روسية على أراضيها حو معاهدة الدستور و الإتحاد مع روسيا التي أصبحت تعرف بإسم "الإتحاد الروسي" بعد إنهيار وتفكك الإتحاد السوفياتي. لكن هذا الرفض لم يمر وعادت تتارستان ووقّعت مع موسكو في 15 شباط 1994م معاهدة تعترف بموجبها تتارستان بأنها جزء من الإتحاد الروسي.

9. تاريخ مساجد تتارستان

بدأ ظهور المساجد بدولة بلغار في نهاية القرن التاسع الميلادي وكان في وسط المدينة مسجداً جامعاً. وكان أول شيئ فعله الروس عند احتلالهم خانية قازان هو تدمير المساجد فدمرت في المدن كلها وما بقي إلا القليل منها في القرى البعيدة. ففي سنة 1742م بقي 118 مسجداً فقط، حيث ذكر أحد المؤرخين بأنه لم يبق في مدينة قازان في ذلك الزمن أي مسجد مبني من الحجر بل ما بقي منها كان الخشب الضعيف وذو سقوف تتخللها الأمطار والثلوج التي كانت تنزل على رؤوس المصلين.[1]

وفي سنة 1788م سمحت الحكومة الروسية ببناء المساجد فاستغل التتار هذه الفرصة ووصل عدد المساجد حتى عام 1833م إلى 4785 مسجداً، وفي سنة 1845م و صل عددها إلى 6763 مسجداً. أما عدد المراكز الإسلامية فقد بلغ عام 1889م في مدينة قازان 840 مركزاً ثم زاد عددها حتى وصل 1152 مركزاً عام 1917م. وكان المسؤول الرسمي في هذه المراكز إمام المسجد و الذين بلغ عددهم 2648 إماماً والذين كانوا يتسلمون رواتبهم من قبل الحكومة.[2]

[1]- **الإدارة الدينية لمسلمي جمهورية تتارستان**، قازان: منشورات الإدارة، 2004، ص 9.
[2]- المصدر السابق، ص 9.

ولكن للأسف الشديد ابتلي مسلمو روسيا عام 1917م ببلاء آخر ألا وهو السلطة الشيوعية التي حدث خلال عهدها تدمير المساجد، فاستفحل هذا الأمر إلى أن أغلق 574 مسجداً سنة 1939م. وفي سنة 1941م لم يبق إلا 120 مسجداً فقط وحتى هذه المساجد أصبحت فارغة بحيث يخاف الناس من الذهاب إليها.[1]

وبعد سقوط الإتحاد السوفياتي و انهيار الشيوعية في روسيا عام 1991م بدأ العمل من جديد في بناء المساجد في تتارستان، ففي زمن البيروسترويكا عام 1990 كان في قازان مسجد واحد فقط ثم إزداد عددها من 333 سنة 1992م إلى 695 مسجداً عام 1997م. واليوم يوجد في تتارستان حوالي 1200 مسجداً و يوجد الكثير من المدارس الإسلامية المنتشرة في مختل المناطق.[2]

وفيما يلي جدول بمساجد قازان و تاريخ انشائها[3]:

1- المصدر السابق، ص 9.
2- المصدر السابق، ص 9.
3- Hunter, p. 67

اسم المسجد	تاريخ الإنشاء
المرجاني Marjani	1770−1766
أبانايف Apanaev	1771−1766
غالييف Galeev	1801−1798
إسكي طاش Iske Tash	1802−1801
مسجد رقم 11	1805−1801
مسجد رقم 10	1808
المسجد الأزرق	1819−1815
بورناييف Burnaev	1826-1898
نور الله	1849−1845
مسجد السلطان	1867
عظيموف	1890
ترانسكابان Transkaban	1924-1926
نور الإسلام	1988
مسجد بلغار	1993−1991

مسجد رمضان	1994
مسجد الإسلام	1996
مسجد المدينة	1997−1996
مسجد حذيفة بن يماني	1997−1996
مسجد تينيتشليك Tinichlik	1998-1999
قازان نوري	1999

أما مسجد "كول شريف" فهو المسجد الوحيد الذي يعود تاريخه إلى قبل الغزو الروسي، و قد بدأ بترميمه عام 1996 و انتهى عام 2005.

10. تاريخ المؤسسات التعليمية في قازان

عرفت منطقة تتار الفولغا حتى منذ زمن الحكم البلغاري مؤسسات تعليمية كبيرة كان بإمكانها أن تستقبل الطلاب من الدول الإسلامية الأخرى. و على سبيل المثال كان من إحدى المراكز التعليمية في خانية قازان مدرسة السيد "كول شريف" الذي ربى فيها المعتنقين الجدد للإسلام و الذين استشهدوا فيما بعد كلهم في الدفاع عن مدينة قازان من الغزو الروسي عام 1552م.

وفي ظل الحكم القيصري لتتارستان كان للمدارس دور هام في إعداد طبقة المثقفين والعلماء كما أنها كانت تمثل مراكز هامة لتسليط الضوء على التراث التتري المسلم. وقد فتحت أكبر المؤسسات التعليمية الإسلامية في روسيا وبالتحديد في مدينة قازان في القرن الثامن عشر منها مدرسة "أمير حانة". وفي نهاية القرن الثامن عشر ظهرت المدارس القروية الكبرى خارج مدينة قازان لتعلم أهالي الريف والمناطق النائية مبادئ الإسلام.

وفي منتصف القرن التاسع عشر وصل عدد المدارس الثانوية في قازان إلى 430 مدرسة وعدد المدارس الدينية 57 مدرسة، وكان المستوى التعليمي فيها عالياً جداً. وفي منتصف القرن التاسع عشر كان هناك تغيير جذري في نظام التعليم الديني الإسلامي في المدارس، ونتيجة لذلك ظهرت المدارس ذات الأساليب الجديدة التي كانت تخرج طلاب متخصصين في كثير من العلوم العلوم، و من هذه المدارس على سبيل المثال: "المحمدية" و "القاسمية". وقد بلغ عدد المدارس في منطقة قازان عام 1905م 840 مدرسة حيث درس فيها 54549 طالباً، وفي عام 1907م وصل عددها إلى 877 مدرسة و عدد طلابها إلى 66787 طالباً، وفي عام 1913م وصل عدد المدارس إلى 967 وعدد طلابها إلى 79496 طالباً. لكن في أثناء الحكم السوفياتي أُغلقت جميع المدارس الدينية و لم يبق لها أي وجود.[1]

وفي سنة 1990م عادت و ظهرت المؤسسات التعليمية الدينية في تتارستان و التي قامت بإعداد الأساتذه والمتخصصين في الدين الإسلامي. وأولى هذه المدارس فتحت في مدينة "جيستبول" بإدارة حضرة "عبد الحق ساماتوف". وفي عام 1993م فتحت المدرسة القازانية العالية "المحمدية" والمدرسة الإسلامية القازانية العالية بإسم "1000

[1]- المصدر السابق، ص 11.

سنة لإعتناق الإسلام"، وتعمل اليوم في جمهورية تتارستان تسع مؤسسات تعليمية إسلامية ذات مستويات متوسطة و عالية.

ومن الأخبار المفرحة عن تتارستان افتتاح الجامعة الإسلامية الروسية في قازان في عام 2000م بتمويل من البنك الإسلامي للتنمية، وقد قرر مجلس الإفتاء و هو من الأعضاء المؤسسين للجامعة جعلها أكبر جامعة في روسيا لاعداد الكوادر العالية المهارة و الازمة للعمل في المؤسسات الدينية(1).

1- "افتتاح أو جامعة اسلامية في روسيا"، **جريدة البيان**، 2/أكتوبر/ 2000

المراجع

باللغة العربية:

ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد. **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**. تحقيق على المنتصر الكتاني. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1975.

إبن فضلان، أحمد. **رسالة إبن فضلان مبعوث الخليفة المقتدر إلى بلاد الصقالبة: عن رحلته إلى بلاد الترك و الخزر و الصقالبة الروس و اسكنديناڤيا في القرن العشر الميلادي، 921–924**، جمع و ترجمة و تقديم حيدر و محمد غيبة. بيروت: الشركة العالمية للكتاب، 1991.

أبو الفداء، المؤيد عماد الدين. **تقويم البلدان**. باريس: دار الطباعة السلطانية، 1820.

الإدارة الدينية لمسلمي جمهورية تتارستان. قازان: منشورات الإدارة، 2004.

إسحاق، عثمان. مقابلة أجراها شعبان عبد الرحمن في **المجتمع** العدد 1398 بتاريخ 2000/5/2، ص 36–37.

"افتتاح أو جامعة اسلامية في روسيا". **جريدة البيان**. 2/أكتوبر/ 2000.

توتل، فردينان، "المنجد في الأدب والعلوم: معجم لأعلام الشرق و الغرب"، في: **المنجد في اللغة والأدب و العلوم**، ط15 بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1956.

الجنابي، ميثم. **الإسلام في أوراسيا**. بيروت: دار المدى، 2003.

الخوند، مسعود. **الموسوعة التاريخية الجغرافية**. بيروت: دار رواد النهضة، 1994.

شاكر، محمود. **التاريخ الإسلامي المعاصر**، مج 21: *المسلمون في الإمبراطورية الروسية*. ط2. بيروت: المكتب الإسلامي، 1994.

العبودي، محمد بن ناصر. **بلاد التتار والبلغار**. مكة المكرمة: رابطة العالم الاسلامي، 1994.

"العراقيون سبب في دخول الإسلام إلى روسيا". **الفتوى**. تموز، 2000.

كراتشكوفسكي، ا. **دراسات في تاريخ الاستعراب الروسي**. موسكو: منشورات أكاديمية العلوم للاتحاد السوفياتي، 1950.

الموسوعة العربية العالمية. الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1996.

ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله. **معجم البلدان**. بيروت: دار صادر، 1955.

باللغات الأجنبية:

أ- المطبوعة:

Akiner, Shirin. **Islamic Peoples of the Soviet Union: An Historical and Statistical Handbook.** 2nd ed. London: KPI, 1986.

Benningsen, A. "Kazan". **Encyclopedia of Islam**. Leiden: E.J. Brill, 1986, vol 4, p.849-850.

Benningsen, A. & Quelquejay Ch. **Les mouvements nationaux chez les musulmans de Russie**. Paris, Mouton, 1960

Bukharaev, Ravil. **Islam in Russia: the Four Seasons.** Richmond, Surrey: Curzon, 2000.

Eastern Europe, Russia and Central Asia, 2003. 3rd ed. London: Europa Publications, 2003.

Frank, Allen. **Islamic Historiography and 'Bulghar' Identity among the Tatars and Bashkirs of Russia.** Leiden: Brill, 1998.

Hunter, Shirin. **Islam in Russia: The Politics of Identity and Security**. London: M. E. Sharpe, 2004.

Yemelianova, Galina M. "Islam and nation building in Tatarstan and Dagestan of the Russian Federation". **Nationalities Papers,** vol. 27, No. 4, (1999). pp 605-628.

ب- الالكترونية:

"The Bulgar State". **http:// groznijat.tripod.com/fadlan/ rorlich2.html.** 9/6/2004.

Devlet, N. "Present situation of the Soviet Muslims: The example of Kazan Tatars", originally published in 1986, summarized and developed by A. Zahoor. **www.cyberistan.org/islamic/tatar.htm.**
17/5/2004

"History of Tatarstan: Volga Bulgaria".
www.kcn.ru/tat_en/history/h_bulge.html. 17/5/2004

"Islam in Tatarstan"**. www.tatar.ru.** 17/4/2003.

"Kazan as a city of Russia". Official Millenium Server.
www.kazan1000.ru/eng/histoy/engkazan.htm. 17.5.2007

"Kazan: History of the city". **www.kazan.ws/cgi-bin/eng/view**. 17/5/2004

Öz Türkler. "Fight with Russians". **www.ozturkler.com**. 27/5/2004

Öz Türkler. “Idyll (Volga) Bulgarian State: Origin of Bulgarians”. **www.ozturkler.com**. 27/5/2004.

Öz Türkler. “Idyll (Volga) Bulgarian State: Political History”. **www.ozturkler.com**. 27/5/2004.

Öz Türkler. “Idyll (Volga) Bulgarian State: Social and Economic Life”. **www.ozturkler.com**. 27/5/2004.

Öz Türkler. “Kasim Khanate”. **www.ozturkler.com**. 27/5/2004

The School of Russian and Asian Studies. “Kazan”. **www.sras.org/cities.** . 18/5/2004

“Tatarstan: History”. **www.tatar.ru.** 17/4/2003.

Ziyatdinova, Flura. "Historical Memory of the Tatar Ethnic Group". *Internatinal Affairs*, (Jan 1995). **www.tatar.ru**. 18/4/2004.

القسم الثاني

تتار القرم

بقلم

سعيد إبراهيم كريديه

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

ماذا نعرف عن تتار القرم؟ سؤالٌ من جملة الأسئلة الحرجة التي نعرف أجوبتها مسبقاً، الجواب وبكل أسف: "لا شيء". لقد أضحى الجهل ببعضنا كمسلمين من الأمور الشائعة والمُسَلّم بها وخاصة إذا انشغل كل منا في محنةٍ مع عدوٍ ظالم أو معتدٍ غاشم، وما أكثر الأعداء و المعتدين.

تتار القرم شعبٌ مسلمٌ تعرض لأبشع أنواع التعذيب والتهجير على يد القياصرة الروس ومن بعدهم السوفيات الشيوعيين، و كاد يفقد هويته الإسلامية التي طالما اعتز بها لولا غيرة و حماس البقية الصامدة منه. فبعد سقوط الشيوعية في الكرملين هب العديد من أفراده يعوض ما فات الأمة من علوم القرآن والحديث والفقه والسيرة النبوية ولجأ إلى

القلم و الكتاب و الحاسوب في وطنه وفي الخارج يشبع روحه من نِعَم الدين الحنيف التي حاولت أن تطمسه عقود من الكفر والإلحاد.

عُرف تتار القرم بهذا الاسم لاستقرارهم في شبه جزيرة القرم منذ القرن الثالث عشر الميلادي حيث أسسوا هناك دولة في القرن الخامس عشر امتد حكمها حتى عام 1783 حين ضمت روسيا شبه الجزيرة إلى ممتلكاتها. من هم تتار القرم؟ وما هي المحن التي واجهتهم؟ و ما هو وضعهم بعد سقوط الشيوعية؟ المصادر الإسلامية و العربية التي تجيب على هذه الأسئلة نادرة و قليلة، فكان لا مناص من اللجوء إلى المراجع الغربية لتقديم عرضٍ تاريخي لهذا الشعب لعل في ذلك مساهمة ولو متواضعة في التعريف به و بماضيه و حاضره. ولكن قبل البدء في ذلك لا بد من إعطاء لمحة سريعة و موجزة عن شبه جزيرة القرم.

خريطة أوكرانيا

1. لمحة عامة عن شبه جزيرة القرم

1.1 الجغرافيا:

تقع شبه جزيرة القرم شمال البحر الأسود وهي تابعة حالياً لدولة أوكرانيا[1]. (أنظر خريطة أوكرانيا في الأعلى).

تبلغ مساحة شبه الجزيرة حوالي 27 ألف كلم مربع و يربطها برزخ بركوبPerekop مع البر الأوكراني من ناحية الشمال بطول 30 كلم وبعرض 8 كلم فقط. أما من الشرق

[1] أوكرانيا هي إحدى جمهوريات الإتحاد السوفياتي السابق اذ انفصلت عنه عام 1991، تقع في شرق أوروبا و بحدها من الشرق روسيا و من الشمال بيلاروسيا و من الغرب كل من بولندا و سلوفاكيا و هنغاريا و ورمانيا و مولدافيا، و من الجنوب بحري آزوف و الأسود. عدد سكان أوكرانيا حوالي 46 مليون نسمة و عاصمتها مدينة كييف (راجع الخريطة).

فيحدها بحر آزوف Azov و مضيق كيرتشKerch الذي يفصلها عن روسيا (أنظر خريطة شبه جزيرة القرم في الأسفل).

خريطة شبه جزيرة القرم

تغطي السهول أكثر من ثلثي شبه الجزيرة و تقع بشكل أساسي في الشمال و الوسط، أما في الجنوب فتمتد سلسلة جبال تنحدر بشكلٍ حاد نحو البحر الأسود. المناخ معتدل نسبياً و في جنوبها يتشابه مع مناخ البحر الأبيض المتوسط.

أهم المدن[1] : "سيمفروبول Simferopol" (بلغ عدد سكانها عام 2005 حوالي 341,599 نسمة)[2] وهي العاصمة الإقليمية لشبه الجزيرة وتعرف باسم "آق مسجد Ak Mesjid" باللغة التترية، ومدينة "سفاستوبول Sevastopol" أو "آقيار Akyar" بالتترية (بلغ عدد سكانها عام 2005 حوالي 340,353 نسمة)[3] وهي ميناء حربي هام جداً. أما مدينتي "يالطا" (بلغ عدد سكانها عام 2005 حوالي 80,140 نسمة)[4] و "إفباتوريا Evpatoria" أو "غوزليفGozlev" بالتترية (بلغ عدد سكانها عام 2005 حوالي 106,250 نسمة)[5] فهما من أهم المراكز السياحية على البحر الأسود. أما مدينة "فيودوسيا Feodosiya" التي تقع في شرق شبه الجزيرة وتدعى أيضاً "كفا" فهي ميناء حيوي على البحر الأسود ومحطة هامة لسكك الحديدية (بلغ عدد سكانها عام 2005 حوالي 106,250 نسمة)[6]. ولا يفوتنا أن نذكر مدينة "بخشه سراي Bakhchesaray" العاصمة القديمة لتتار القرم وتعني بالعربية "قصر الحدائق" ويسكنها الآن حوالي 30,000 نسمة فقط.[7]

---

1 راجع خريطة شبه الجزيرة.

2 “Ukraine”, **http://www.citypopulation.de/Ukraine.html#Stadt_gross**, 23/6/2006.

3 المصدر السابق.

4 المصدر السابق.

5 المصدر السابق.

6 المصدر السابق.

7 “UkrTravel”, **http://www.ukrtravel.com/bakhchisaray/main.htm,** 23/6/2005.

لا يوجد إحصاء دقيق عن عدد سكان شبه جزيرة القرم، إلا أن "مركز أبحاث تركستان وآذربيجان و القرم و القوقاز و سيبيريا (SOTA)"[1] يفيد أنه بلغ عدد سكان شبه الجزيرة حسب إحصاء عام 1991 حوالي 2,550,000 نسمة، 65% منهم روس و 22% أوكرانيين و 10% فقط من التتار والباقي يتوزع بين أرمن و بيلاروس و يونان و ألمان ويهود.[2] ومن ناحية أخرى يذكر مرجع غربي آخر باللغة الانكليزية يصدر من بريطانيا هو: Eastern Europe, Russia and Central Asia لعام 2005 أنه بلغ عدد سكان شبه جزيرة القرم في الأول من آذار من عام 2004 حوالي 1,992,121 نسمة بالإضافة إلى 378,441 مقيم في العاصمة الاقليمة مدينة سيفاستبول، ويضيف هذا المصدر أن نسبة توزيع السكان حسب القوميات طبقاً لإحصاء عام 2001[3] هي كالآتي: 58% روس، 24% أوكرانيين و 12% تتار.

2.2 الاقتصاد:

تعيش الحالة الاقتصادية الحالية للقرم أزمة حقيقية نتيجة ضعف الإنتاج والتضخم وارتفاع البطالة مما أدى إلى تدهور دخل الفرد لدى قطاع كبير من سكان القرم. وحسب دراسة قامت بها لجنة البرلمان الأوروبي عام 2000 فإن نسبة البطالة لدى تتار القرم

---

[1] يتواجد هذا المركز في مدينة هارلم بهولندا و هدفه تعريف العالم الغربي بتاريخ و حضارة و لغات شعوب الاتحاد السوفياتي السابق.

[2] SOTA. "The Crimea"., **www.euronet.nl/users/sota/krimgeo.html,** 6/2/2001

[3] "All Ukrainian Population Census 2001", **www.ukrcensus.gov.ua/eng/results/general/nationality/**, 2/2/2007.

هي 60% (حوالي ضعف نسبة البطالة في كل شبه جزيرة القرم) و 50% منهم فقط ينعمون بمساكن لائقة؛ و تضيف هذه الدراسة أنه من أصل 291 مستوطنة تترية في شبه الجزيرة هناك 25% منها بدون كهرباء و 70% من دون ماء و 90% بلا طرق معبدة و 96% لا يصلها الغاز و جميعها لا تحوي على مصارف صحية.(1)

يعتبر قطاعي السياحة والزراعة من أهم القطاعات الاقتصادية تطوراً في القرم ويعمل في قطاع السياحة ما يقارب 30 % من السكان كما يوجد في القرم حوالي 636 مؤسسة سياحية (مخيمات للأطفال، فنادق، أماكن للراحة العلاجية)، أما عدد المؤسسات الزراعية فيبلغ 377. أهم المحاصيل الزراعية : القمح والقطن والتبغ والفواكه، ومن الناحية الصناعية تعتبر الصناعات الكيميائية، الغذائية، النفط، الغاز، الصناعات الخفيفة وصناعة المعدات الزراعية من أهم القطاعات الصناعية في شبه جزيرة القرم.(2) وهناك صناعة التعدين في منطقة "كيرتش" في الشرق حيث توجد كميات كبيرة من الحديد الخام،(3) كما تتواجد كميات من احتياطي النفط والغاز الطبيعي في المناطق المحاذية للبحرين الأسود و آزوف.(4) أما النسبة المئوية من حجم الإنتاج فهي كالآتي:

---

[1] International Committee for Crimea, “Crimean Tatars and the Ukrainian state”, **http:// www.iccrimea.org/scholarly/oshevel.html** 24/5/2006.

[2] اتحاد المنظمات الاجتماعية في أوكرانيا (الرائد)، " دراسات: مسلمي القرم"، **http://www.arraid.org/index.php?r=9&s=3&lang=ar** ، 2006/6/23.

[3] SOTA. “The Crimea”., **www.euronet.nl/users/sota/krimgeo.html**, 6/2/2001

[4] **Eastern Europe, Russia and Central Asia, 2006,** 6th ed., London: Routlage, 2005, p. 570.

39,9 % الصناعة الغذائية

17,1 % الصناعات الكيميائية – النفطية

11,1 % صناعة السيارات والحديد

10,2 % الصناعة النفطية

4.9 % الطاقة الكهربائية

1,1 % الصناعات الخفيفة

2,7 % الصناعات الحديدية

ويعمل في القرم ما يقارب 890 مؤسسة بناء حسب إحصائيات 1998م. [1]

1.3 الوضع السياسي الحالي

[1] اتحاد المنظمات الاجتماعية في أوكرانيا (الرائد)، " دراسات: مسلمي القرم"، **http://www.arraid.org/index.php?r=9&s=3&lang=ar** ، 2006/6/23.

شبه جزيرة القرم اليوم جمهورية تابعة لدولة أوكرانيا و تتمتع باستقلال ذاتي يكفل لها إجراء الاستفتاءات الشعبية والتصرف بالميزانية الممنوحة من الحكومة المركزية في العاصمة كييف Kiev والاهتمام باللغات والثقافات المحلية والمساهمة في تطوير برامج عودة المبعدين الذين هُجروا خلال العهد السوفياتي.[1]

[1] **The Europa World Yearbook 2005**. 46th ed., London: Europa Publications, 2005, v.2. pp. 4408-4409.

2. أصل تتار القرم

استُعمِلت كلمتي "تتار" و "مغول" خلال القرون الوسطى بشكلٍ اعتباطي وغير دقيق حيث أحيلت كل منهما إلى الأخرى للدلالة على الشعوب الآسيوية القاطنة في شرق و وسط آسيا.[1] وقد أُطلق اسم "التتار" على عدة قبائل بدوية من الشعوب التركية تسكن شمال جبال آسيا الوسطى وتشمل أنحاء من سيبيريا وتركستان وبعض المناطق المجاورة لشمال الصين والتي تختلف حياتها عن حياة الشعوب المستقرة في الصين وهذه القبائل تشمل "الكبشاك" و "البشنغ" و "الخزر".[2] واسم "تتار" مشتق من كلمة "تاتا" التي أطلقها الصينيون في العصور الوسطى على أحد القبائل المغولية التي سكنت في القرن الخامس الميلادي شمال شرق ما يسمى اليوم بدولة منغوليا،[3] وكانت هذه القبيلة من أوائل المحاربين الذين اشتركوا في غزوات جنكيز خان واتسع مدلول هذا الاسم فشمل المغول أنفسهم. [4] وهكذا فأن أن أصل تتار القرم يعود إلى الشعوب التركية في شرق

---

[1] لمزيد من المعلومات عن هذا الإلتباس بين الاسمين راجع:
Barthold, W, “Tatar”, **The encyclopaedia of Islam : a dictionary of the geography, ethnography biography of the Muhammadan peoples**, ed. by M.Th. Houtsma ... [et al.], Leiden, The Netherlands : E.J. Brill, 1927-1934, v.8, pp. 701.

[2] عطية الله، أحمد، **القاموس الإسلامي**، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1963، مج 1، ص 440.

[3] “Tatars”, HighBean Encyclopedia**, http://www.encylopedia.com/html/t/tatars.asp**, 13/7/2006.

[4] عطية الله، مج 1، ص 440.

و وسط آسيا والتي انخرطت في جحافل القائد المغولي جنكيز خان[1] خلال زحفه على آسيا و أوروبا في القرن الثالث عشر الميلادي.

1 - "خان" تعني "حاكم" باللغة التترية.

3. اعتناق تتار القرم الإسلام

وفي أواسط القرن الثالث عشر الميلادي أنشأ "باتو خان" أحد أحفاد جنكيز خان إمبراطورية واسعة عُرفت باسم "القبيلة الذهبية" امتدت من تخوم الصين الغربية والشمالية حتى أوروبا الشرقية وروسيا مروراً بشبه جزيرة القرم التي انتزعتها عام 1239 من البيزنطيين،[1] و قد اتخذ باتو خان مدينة "سراي"[2] عاصمة له، ودُعيت هذه الإمبراطورية بهذا الاسم لأن خيام معسكراتهم كانت ذات لون ذهبي.[3]

اعتنق تتار القبيلة الذهبية ديانات متعددة من أبرزها الشامانية (وهي ديانة بدائية انتشرت في آسيا الوسطى) بالإضافة إلى انتشار اليهودية والمسيحية والبوذية والطاوية الصينية فيما بينهم. وفي عهد بركه خان (1257–1267)، الذي اعتنق الدين الإسلامي على يد

---

[1] Spuler, B. “Kirim”. **Encylopedia of Islam**. Leiden: E. J. Brill, 1986, v.5, p.136.

[2] - من الأرجح أنها كانت تقع على الحوض السفلي لنهر الفولغا على بعد 120 كلم شمال مدينة أستراخان.

[3] - محمود، شفيق جاسر أحمد، "محاولات التحالف بين المغول و الصليبيين ضد المسلمين في القرنين السابع و الثامن الهجريين و آثارها"، **http://www.iu.edu.sa/Magazine/75-76/3.doc**، 6/2/2001

أحد التجار، بدأ الإسلام يتغلغل إلى مناطق القبيلة الذهبية[1] حتى أصبح الدين الرسمي في هذه الإمبراطورية في مطلع القرن الرابع عشر.[2]

وفي عام 1287 شهدت شبه جزيرة القرم إنشاء أول مسجد فيها و ذلك في مدينه سلخاتSolkhat (و تدعى أيضاً "ستاري قرم" أو "إسكي قرم" Eski Kirim أي القرم القديمة)[3] برعاية سلطان مصر المملوكي بيبرس،[4] مع العلم أن الجنويين (نسبةً إلى مدينة جنوا في إيطاليا) الكاثوليك بدؤوا بالوصول إلى شبه جزيرة القرم ابتداء من عام 1261 وشرعوا في تأسيس مستعمرات في جنوبها. لكن الدين الحنيف لم ينتشر بشكل واسع بين تتار القرم إلا بعد تبوأ "أوزبك" خان الذي حكم القبيلة الذهبية بين عامي 1313 و 1340[5] والذي بنا مسجد ثاني في شبه الجزيرة، ففي عهده تأصل الوجود الإسلامي السني الحنفي المذهب في نفوس التتار بما فيهم تتار شبه جزيرة القرم التي شهدت موجات من التأثير الإسلامي الآتي من مصر المملوكية.[6]

وقد زار الرحالة المسلم ابن بطوطة هذه البلاد في تلك الفترة فقال عن أوزبك خان:

---

1 Paskoy, H. B. *Crimean Tatars*, **www.euronet.nl/users/sota/Paskoy14.html** , 6/2/2001.

2 "Golden Horde, Empire of the", **The Columbia Encyclopedia**, Sixth Edition, 2001-05, **http://www.bartelby.net/65/go/GoldenHE.html,** 26/6.2006.

3 لمعرفة موقع هذه المدينة راجع الخريطة في مقدمة الكتاب.

4 Fisher, Alan. "Crimean Khanate". **The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic World**. John L. Esposito, editor in Chief . New York: Oxford University Press, 1995, v.1, p. 328.

5 Paskoy, H. B. *Crimean Tatars*, **www.euronet.nl/users/sota/Paskoy14.html** , 6/2/2001.

6 Spuler, B., v.5, p.136.

"واسمه محمد أوزبك ومعنى خان عندهم السلطان و هذا السلطان عظيم المملكة شديد القوة كبير الشأن رفيع المكان قاهر لأعداء الله أهل القسطنطينية العظمى مجتهد في جهادهم، وبلادهم متسعة ومدنه عظيمة منها الكفا[1] والقرم[2]... وهو [أي السلطان] أحد الملوك السبعة الذين هم كبراء الدنيا و عظماؤها وهم مولانا أمير المؤمنين ... وسلطان مصر والشام وسلطان العراق و السلطان أوزبك هذا وسلطان بلاد تركستان وما وراء النهر و سلطان الهند و سلطان الصين."[3]

وفي و صفه لمدن شبه جزيرة القرم يقول:

"... وصلنا إلى مدينة الكفا وهي مدينة عظيمة مستطيلة على ضفة البحر يسكنها النصارى و أكثرهم الجنويون... ونزلنا منها بمسجد المسلمين. ولما نزلنا بهذا المسجد أقمنا به ساعة ... و طفنا بالمدينة فرأيناها حسنة إلا الأسواق و كلهم كفار ونزلنا إلى مرسا[ها] فرأينا مرسا عجيباً به نحو مائتي مركب ما بين حربي و سفري صغيراً و كبيراً و هو من مراسي الدنيا الشهيرة، ثم اكترينا [أي استأجرنا] عجلة وسافرنا إلى مدينة القرم وهي مدينة كبيرة حسنة من بلاد السلطان المعظم محمد أوزبك خان وعليها أمير من قِبله اسمه تلكتمور ... ولقيت بهذه المدينة قاضيها الأعظم شمس الدين السائل قاضي الحنفية ولقيت بها قاضي الشافعية وهو يسمى بخضر ... والشيخ الحكيم الصالح مظفر الدين وكان من الروم فأسلم وحسن إسلامه".[4]

---

[1] تسمى اليوم "فيودوسيا Feodosiya" و تقع في شرق شبه الجزيرة (راجع الخريطة في مقدمة الكتاب).

[2] يقصد مدينة "اسكي قرم". (راجع الخريطة في مقدمة الكتاب).

[3] **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار**.القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، 1938. مج 1، ص: 212-213.

[4] المصدر السابق، ص: 206-207.

4. شبه جزيرة القرم خلال فترة حكم القبيلة الذهبية

عين حُكام القبيلة الذهبية مُمَثّلاً لهم في شبه جزيرة القرم دُعِيَ بحاكم أو والي وقد احتفظ هذا الممثل بعلاقاته الدبلوماسية مع المماليك في مصر، وكان للقبيلة الذهبية جيش مرابط في شبه الجزيرة يدير شؤونه أمير.

ظلت شبه جزيرة القرم حتى أواسط القرن الخامس عشر الميلادي قليلة السكان باستثناء المناطق الساحلية لكنها بقيت مركزاً تجارياً هاماً مع مصر المملوكية من خلال وسطاء بيزنطيين، فكانت العطور والأقمشة تأتي من وادي النيل ثم ترسل إلى مناطق مجرى نهر "الفولغا Volga"[1]. كما ازدهرت أيضاً التجارة مع المستعمرات الجنويية في شبه الجزيرة و مع الأناضول و أوروبا الوسطى وصولاً إلى لفوفLvov (التابعة لأوكرانيا الآن) وبرسلاوBreslau (Wroclaw) (التابعة اليوم لبولندا). وقد ساعدت هذه الصلات التجارية في جعل شبه جزيرة القرم مخزناً لبضائع التجار السلاجقة و

[1] يقع هذا النهر في روسيا و هو أطول أنهر أوروبا طوله 3700 كلم، ينبع من تلال "فالدي" على بعد 320 كلم حنوب شرقي بطرسبرغ (سانت بيترسبرغ) و يصب في بحر قزوين.

المصريين والجنويين مما ولّد تفاعلاً حضارياً مع تلك الشعوب تجلى في العمارة الإسلامية وصناعة الآنية الخزفية. وبالإضافة إلى التجارة، اشتغل تتار القرم في تلك الحقبة بالدباغة واستخراج الملح والعسل وزراعة العنب وتربية الخيول.[1]

عانت القبيلة الذهبية منذ عام 1359 من حروب أهلية فتمكن أمراء مغول من سلالة جنكيز خان من الاستيطان في شبه جزيرة القرم، وفي عام 1419 استطاع أحد هؤلاء الأمراء ويدعى غياث الدين المنتمي إلى قبيلة " كري" أن يستولي على الحكم في شبه الجزيرة ويقضي على منافسيه فيها. وطبقاً للتقاليد المحلية المتبعة هناك أطلق هذا الأخير اسم قبيلته على مولوده فدعاه "حاجي كري" وتحرَّف اسم الأسرة بعد ذلك إلى "غيراي" Giray و بات اسمه حاجي غيراي.[2]

---

[1] Spuler, pp. 136-137.
[2] Inalcik, Halil, “Giray”, **Encyclopaedia of Islam**, new edition Leiden: E.J. Brill, 1965, v.2, p. 1112.

5. شبه جزيرة القرم في عهد أسرة "غيراي"

نتيجةً لتسرب الضعف والتفسخ في القبيلة الذهبية تمكن حاجي غيراي في آب عام 1449 من الخروج عن سيطرة القبيلة الذهبية وإعلان استقلال شبه جزيرة القرم عرفت باسم "خانية القرم"، و بمساعدة العثمانيين ومملكة بولندا–لتوانيا استطاع الخان "حاجي غيراي" من أن يُثبت دعائم دولته من عاصمته في اسكي قرم،[1] كما أقام عام 1454 تحالفاً مع السلطان العثماني محمد الثاني دام حتى مع الخانات الذين أتوا من بعده.[2]
توفي حاجي غيراي عام 1466 و نشأ صراعٌ على السلطة بين أولاده، إلا أن ولده "منغلي غيراي Mengli Giray" استطاع الاستئثار بالسلطة لعدة شهور فقط استلم الحكم بعدها أخوه "نور دولت"، لكن منغلي غيراي تمكن من الوصول السلطة مرة أخرى بين الفترة الممتدة من عام 1468 إلى عام 1475 لجأ بعدها إلى مدينة كفا هرباً من أخيه "نور دولت".[3] دام الاستقلال التام لشبه جزيرة القرم حتى عام 1475 حين طلب

---

[1] Spuler, v.5, p. 137.
[2] Inalcik, “Giray”, **Encyclopedia of Islam**, v.2, p. 1112.
 v.2. p. 1112.
[3] Kellner-Heinkele, B, “Mengli Giray I”, **Encyclopaedia of Islam**, new edition Leiden: E.J. Brill, 1991, v.6, p. 1016.

تتار القرم المساعدة العسكرية من السلطان العثماني محمد الفاتح لمواجهة الجنويين المتمركزين في جنوب شبه الجزيرة بما فيها مدينة كفا، فلبى العثمانيون نداء "الأخ" المسلم و احتلوا قلاع "العدو" النصراني وألقوا القبض على منغلي غيراي تلبيةً لرغبة الطبقة الحاكمة في شبه الجزيرة، لكن في عام 1478 أطلق العثمانيون سراحه بناءً لاتفاق بين هذه الطبقة والسلطان محمود الثاني[1] ونصّبوا منغلي غيراي حاكماً اسمياً يعترف بسيادة وسلطة السلطان على الأراضي التابعة لأسرة غيراي ومن بينها شبه الجزيرة[2] وعلى السياسة الخارجية وعلى صلاحية تعيين رجال الدين المسلمين في شبه الجزيرة مقابل التزام منغلي غيراي بالمشاركة في الحملات العسكرية العثمانية[3] و إبقاء الحكم وراثياً لآل غيراي.[4] و بالفعل اشترك الخان منغلي غيراي في حملات السلطان بايزيد الثاني في مولدافيا[5] عام 1484 فكافأه العثمانيون بأراضٍ على ضفاف نهري "دنيبر Dnieper" و "دنيستر Dniester"[6] شمال شبه جزيرة القرم. وقد استمرت مشاركة تتار القرم في حروب الدولة العثمانية حتى مع خلفاء منغلي غيراي أيضاً، ففي عام 1538 ساندوا السلطان العثماني في مولدافيا و في عام 1543 دخلوا لأول مرة مع

[1] "The Tatar Khanate of Crimea", **http://www.allempires.com/article/index.php?q=The_Crimean_Khanate**, 23/8/2006.
[2] Inalcik, "Giray", **Encyclopedia of Islam**, v.2, p. 1112.
v.2. p. 1112.
[3] "The Tatar Khanate of Crimea", **http://www.allempires.com/article/index.php?q=The_Crimean_Khanate,** 23/8/2006.
[4] Spuler, v.5, p. 137.
[5] مولدافيا جمهورية مستقلة كانت تابعة للإتحاد السوفياتي السابق تقع بين أوكرانيا و رومانيا .
[6] Kellner-Heinkele, B, v.6, p. 1016.

العثمانيين إلى هنغاريا.[1] وجدير بالذكر أنه لم يكتف العثمانيون بإجبار خان القرم بالمشاركة في حروبهم فقط بل ضموا جنوب شبه الجزيرة إلى الدولة العثمانية وأسسوا في عهد الخان محمد غيراي الثاني (1577–1584) "إيالة[2] كفا" عام 1581 التي خضعت مباشرةً لحكم الباب العالي في استانبول.

ورغم هذه الحماية العثمانية على شبه الجزيرة تمكن الخان منغلي غيراي من التفاهم مع حاكم موسكو الأمير إيفان الثالث Ivan III فاستفاد الأخير من ذلك في حربه ضد مملكة بولندا–لتوانيا بينما جيّر الخان ذلك لمحاربة القبيلة الذهبية.

وكانت القبيلة الذهبية قد بدأت منذ النصف الأول للقرن الخامس عشر بالتفسخ والتفكك إلى عدة دول منها: دولة نوغاي[3] و خانية قازان[4] وخانية القرم و خانية سيبريا وخانية أستراخان[5]. وفي حزيران من عام 1502 هزم منغلي غيراي ما تبقى من الإمبراطورية

---

[1] Spuler, v.5, p. 137.

[2] الإيالة هي وحدة إدارية في الدولة العثمانية.

[3] أنشأ هذه الدولة الخان "أديغو" (توفي عام 1419)، و قد امتدت هذه الدولة من غرب سيبريا حتى القوقاز و كانت عاصمتها مدينة "سرايجك" التي تقع شمال بحر قزوين.

[4] تقع مدينة قازان على نهر الفولغا على بعد 720 كلم شرق موسكو، و هي اليوم عاصمة جمهورية تتارستان التي تشكل جزءاً من روسيا الإتحادية.

[5] تقع مدينة أستراخان في دلتا نهر الفولغا على بحر قزوين على بعد 1290 كلم جنوب شرق موسكو، ويذكرها إبن بطوطة في كتابه المشار إليه آنفاً صفحة 220 بإسم (ترخان) فيقول: "فوصلنا إلى مدينة ترخان و معنى ترخان الموضع المحرر من المغارم، و المنسوب إليه هذه المدينة هو حاج من الصالحين تركي نزل بموضعها و حرر له السلطان ذلك الموضع فصارت قرية ثم عظمت و تمدنت و هي من أحسن المدن" .

القبيلة الذهبية في موقعٍ شرق مدينة كييف وسيطر على عاصمتها مدينة سراي[1] وأعلن نفسه وريث خان تلك الإمبراطورية بعد أن هرب الأخير إلى لتوانيا، كما أخذ منغلي غيراي على عاتقه الحفاظ على أمن كل من خانتي قازان واستراخان مما وضعة في مواجهةٍ مع موسكو. [2]

وصلت الحياة الفكرية في شبه جزيرة القرم خلال عهد منغلي غيراي إلى أوجها من ناحية الازدهار والتطور، فأقيمت الحلقات الأدبية وفُتِحت البلاد أمام الحضارة الإسلامية والعثمانية وأضحت مكاناً لعمل الكثير من المعماريين المسلمين ولمن تبقى من الجنويين. وخير شاهد على تطور العمارة قصر فخم لمنغلي غيراي في مدينة "بخشه سراي" مقره الجديد بعد نقل العاصمة إليها من مدينة "إسكي قرم".[3]

توفي منغلي غيراي عام 1515 فخلفه ابنه محمد غيراي. لم يمنع الاستقلال الذاتي لشبه جزيرة القرم من قيام خاناتها بغزوات ضد طموحات الروس في إمارة موسكو وفي حوض نهر الفولغا، ففي عام 1521 حاصر الخان "محمد غيراي" موسكو وأخضع حاكمها

---

1 من الأرجح أنها كانت تقع على الحوض السفلي لنهر الفولغا على بعد 120 كلم شمال مدينة أستراخان.

2 Spuler, v.5, p. 138.

3 المصدر السابق ،مج 5، ص 137.

"فاسيلي Vasili" وأجبره على دفع جزية[1]، وفي نفس العام وقّع حلفاً مع لتوانيا و أرسل أخاه غير الشقيق "صاحب غيراي" إلى خانية قازان و نصبه خاناً عليها مكان خانها السابق "شاه علي" الموالي لموسكو. لم يرق هذا الوضع لخان أستراخان الموالي لموسكو، وفي عام 1523 قرر محمد غيراي غزو خانية أستراخان فاستولى عليها بعد أن أطاح بحاكمها فتوحد التتار تقريباً في عهد الخان محمد غيراي الذي اغتيل في خريف ذلك العام على يد أحد أفراد قبيلة "نوغاي".

عمت الفوضى في شبه الجزيرة بعد اغتيال محمد غيراي فاختارت الأرستقراطية هناك غازي ابن محمد غيراي خاناً للبلاد. لم يرض هذا الاختيار الدولة العثمانية فعزلت غازي ووضعت مكانه "سعادت غيراي" عام 1524. [2]

تابع سعادت غيراي سياسة المواجهة مع موسكو كما حافظ على التعاون مع "صاحب غيراي حاكم خانية قازان. وفي عامي 1525 و 1527 شارك سعادت غيراي مع صفا غيراي خان قازان آنذاك في حملات ضد موسكو. إلا أن تلك الحملات أخفقت بسبب تفوق المدفعية الروسية مما أدى إلى قيام ثورة ضده و إجباره على التنازل عن العرش

---

[1] حرب، محمد، **الإسلام في آسيا الوسطى و البلقان**، ط2، بيروت: دار البشائر، 1995، ص 90.

[2] "The Tatar Khanate of Crimea", **http://www.allempires.com/article/index.php?q=The_Crimean_Khanate,** 23/8/2006.

في ربيع عام 1532. تجاه هذا الفراغ في سدة الحكم قرر السلطان العثماني "سليمان القانوني" إعادة العرش إلى حليفه "صاحب غيراي". لكن تتار القرم قاوموا هذا القرار واختاروا "إسلام غيراي الأول" كحاكمٍ عليهم. لم يستسلم صاحب غيراي لهذا الاختيار وتابع كفاحه للاستيلاء على العرش، فتحقق له مراده بمساندة من قبيلة "نوغاي" وأجبر إسلام غيراي على التخلي عن العرش في أيلول 1532 واستلام الحكم مكانه. في هذه الأثناء استغلت موسكو القلاقل في شبه جزيرة القرم فعمدت إلى القيام بخطوة استفزازية تمثلت في عزل صفا غيراي عن خانية قازان عام 1532 وتنصيب "جان علي" مكانه، فما كان من صاحب غيراي إلا أن قام بغزو قازان عام 1534 بعد أن أخضع استراخان في العام السابق. ومن أستراخان سيطر صاحب غيراي على كل حوض نهر الفولغا تقريباً بعد أن أخضع معظم مناطق القوقاز.[1]

وكان صاحب غيراي قد دخل في حلفٍ عسكري مع مملكة بولندا–ليتوانيا والدولة العثمانية علم 1532 ضد موسكو. وخلال الحملات التي خاضها صاحب غيراي مع خلفائه في الأعوام 1533 و 1535 و 1536 تمكن تتار القرم من تدمير قسم كبير من جنوب مملكة موسكو. وفي عام 1541 شن صاحب غيراي هجوماً عنيفاً على مملكة

[1] "The Tatar Khanate of Crimea", **http://www.allempires.com/article/index.php?q=The_Crimean_Khanate**, 23/8/2006.

موسكو، لكن الروس تمكنوا من صد هذا الهجوم وإفشال الحملة العسكرية، ونتيجةً لإخفاق صاحب غيراي استعادت موسكو دورها في قازان من خلال تنصيب "شاه علي" الموالي لها. لكن تدخلاً لاحقاً من تتار القرم أعاد عرش قازان إلى صفا غيراي المعادي للروس الذي بقي بعدها بالحكم حتى عام 1549.

داخلياً أدخل صاحب غيراي عدة إصلاحات في دولته، فحدد من سلطة الطبقة الأرستقراطية وقوّى نفوذ الدولة المركزية التي كانت تحت إدارته مباشرةً بالتعاون مع فرق المشاة الموجودة في الجيش. أما على الصعيد الثقافي فقد رعى الخان تدوين أول حوليات تاريخية للتتار عُرفت باسم **تاريخ الخان صاحب غيراي**، كما انتعش في عهده الشعر و بني العديد من المساجد و الحمامات، وفي المجال الإقتصادي طُوِّر مرفأ مدينة "غوزليفGozlev"[1] ليستقل قدر الإمكان عن نفوذ الجنويين في مرفأ مدينة "كفا".[2]

أثارت النزعة الاستقلالية لسياسة الخان صاحب غيراي حفيظة السلطان العثماني سليمان بالرغم من تلبية الخان لكثير من رغبات السلطان كالمشاركة معه في حروبه في

---

[1] تدعى اليوم : "فيودوسيا Feodosiya"

[2] “The Tatar Khanate of Crimea”, **http://www.allempires.com/article/index.php?q=The_Crimean_Khanate**, 23/8/2006.

مولدافيا عام 1538 وهنغاريا عام 1543 وبولندا عام 1549. وفي عام 1551 قرر السلطان التخلص من صاحب غيراي فأرسل قوة إلى القرم خلعت الخان وقتلته مع عائلته فتسلم الخانية بعد ذلك الخان "دولت غيراي" الموالي للعثمانيين.

في هذا الوقت وبسبب النزاعات الداخلية بين تتار القرم أنفسهم والتفوق العسكري لروسيا بدأ الروس يسيطرون على بلاد التتار إمارة بعد أخرى وخاصة في مناطق حوض نهر الفولغا، ففي عام 1552 استولى القيصر إيفان الرابع الذي عرف أيضاً باسم "إيفان الرهيب" على مدينة قازان، وفي عام 1556 احتل الروس مدينة استراخان فسيطروا بذلك على كل حوض الفولغا وصولاً إلى بحر قزوين مما فتح أمامهم القوقاز و شمال فارس للاستيطان الروسي،[1] كما فقَدَ تتار القرم أعوانهم من التتار الذين يمكن أن ينصروهم في الأوقات العصيبة. حينئذٍ شعر العثمانيون بخطورة الموقف، غير أن هذا الشعور جاء متأخراً فالدولة العثمانية بدأ يضعف أمرها و لم يعد بإمكانها القتال على عدة جبهات في آن واحد بينما اشتد ساعد الروس ولم يعد من السهل مقاومتهم. وفي محاولة لاستغلال النزاع بين العثمانيين و الصفويين حكام فارس عزم "إيفان الرهيب" على تأسيس حلف عسكري مع شاه إيران "طهماسب الأول" ضد الدولة العثمانية وذلك لمحاربتها و أخذ منطقة القوقاز منها والوصول إلى المياه الدافئة بما فيها شواطئ شبه جزيرة القرم. وفي

---

[1] Spuler, v.5, p. 138.

هذا السياق أرسل القيصر عام 1569 مبعوثاً له إلى مدينة قزوين عاصمة الصفويين و بحوزته هدية للشاه مؤلفة من 30 مدفعاً و 4000 بندقية، و قد رافق هذا المبعوث 500 عسكري روسي لتدريب وإرشاد الصفويين على استعمال هذه الأسلحة.[1] سُرّ الشاه طهماسب كثيراً بالمبعوث و بالهدية و عرض مساعدة القيصر بكل ما لديه من قوة.

تجاه هذه السطوة الروسية سعى تتار القرم للتحالف مع مملكة بولندا–لتوانيا وزادوا من تعاونهم مع السلطان العثماني تارةً في طلب الحماية منه و طوراً في إرسال حملات عسكرية مشتركة معه ضد أعدائه في أوروبا الوسطى و فارس.

[1] Savory, Roger, **Iran under the Safavids**, Cambridge: Cambridge University Press, 1980, p. 112.

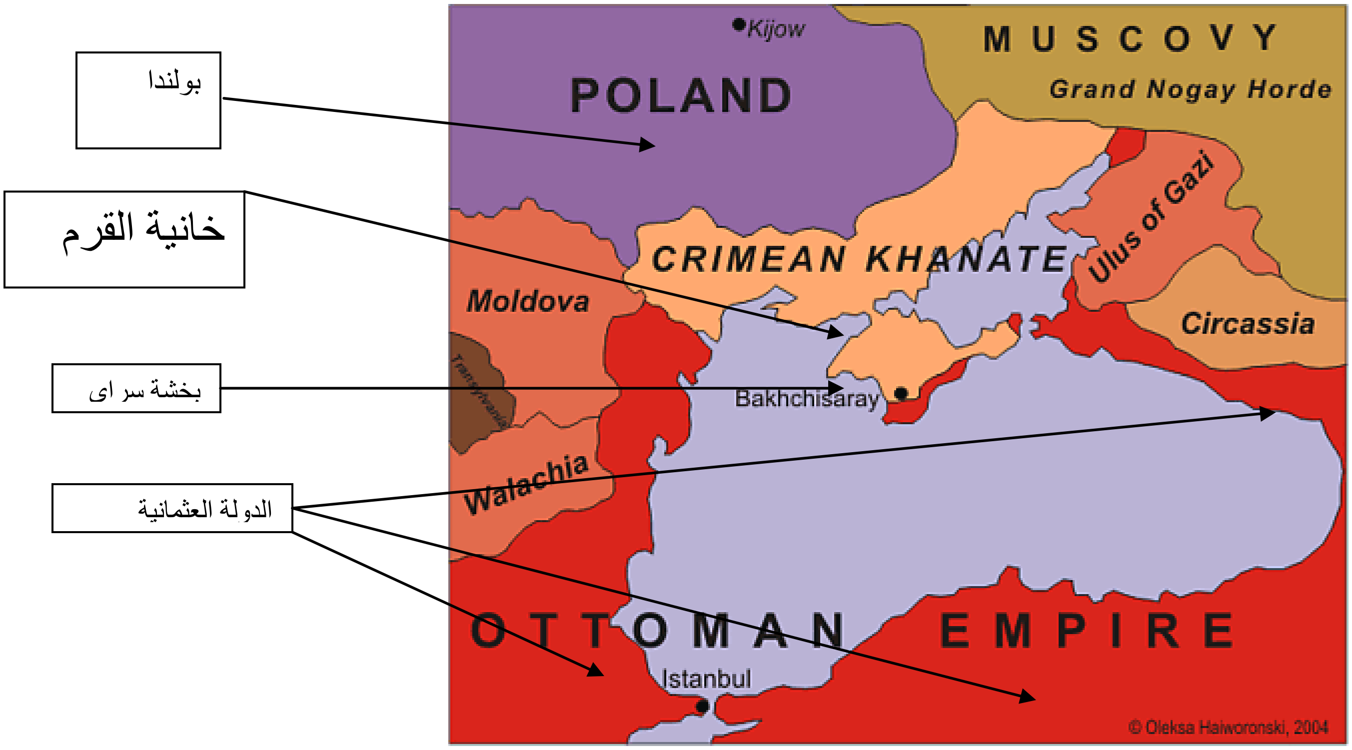

خانية القرم في بداية القرن السابع عشر

وعلى اثر هزيمة السلطان العثماني في معركة لبانتو Lepanto[1] البحرية عام 1571 تحرر خان تتار القرم "دولت غيراي" من قدر كبير من الوصاية العثمانية، فشن غارات عنيفة على موسكو و أجبر قيصرها على دفع إتاوة انتقاما للأعمال الوحشية التي قام بها الروس ضد مسلمي قازان و أستراخان، وظل الروس يدفعون الإتاوة حتى عهد بطرس الأكبر (1682 –1725).[2] لكن هاتين المدينتين ظلتا في أيدي روسيا مما دفع خانية القرم إلى تعزيز حلفها مع الحكومات الكاثوليكية في بولندا و لتوانيا ضد روسيا

[1] جرت هذه المعركة البحرية في خليج "باتراس" على بعد 50 كلم من مدينة لبانتو التي تدعى اليوم "نافباكوس Navpaktos" في وسط اليونان، و قد دارت رحاها بين الأسطول العثماني من جهة و تحالف دول المسيحية من جهة ثانية ضم الدولة البابوية – إسبانيا – البندقية- جنوا- دوقية سافوي - مالطا.

[2] Spuler, v.5, p. 138.

الأرثوذكسية. إلا أن النجاح لم يحالف هذه الخانية في مسعاها بسبب التزاماتها العسكرية مع العثمانيين في حربهم ضد الفرس.

توفي دولت غيراي عام 1577 فخلفه ابنه محمد غيراي الثاني بالرغم من معارضة الدولة العثمانية.[1] وفي العام التالي شن الخان الجديد حرباً شعواء ضد الصفويين الفرس رغم انشغالهم بصراع عسكري مع العثمانيين. إلا أن طموحات الخان محمد غيراي الثاني كانت أكبر من أن يكون تابعاً للسلطان العثماني فانتهز هذا الخان فرصة انشغال العثمانيين بحروبهم ضد النمسا و فارس لينتهج سياسة مستقلة عن استانبول، فعزز علاقته مع بولندا وفي عام 1583 رفض إرسال مدد للعثمانيين لمحاربة الصفويين و هاجم الحامية العثمانية في مدينة "كفا" مما جعله في مواجهة مع السلطان العثماني.[2] ونتيجةً لذلك نزل الجيش العثماني على شواطئ شبه الجزيرة وخلع الخان محمد غيراي الثاني و نصب العثمانيون مكانة الخان اسلام غيراي الثاني.

[1] "The Tatar Khanate of Crimea", **http://www.allempires.com/article/index.php?q=The_Crimean_Khanate**, 23/8/2006.

[2] المصدر السابق.

وفي عهد الخان إسلام غيراي الثاني (1584–1588) قويت السيطرة العثمانية على شبه جزيرة القرم[1] وأصبح اسم خانات تتار القرم يُذكر في خطب صلاة الجمعة بعد اسم السلطان العثماني و بات معهم هامشاً من الاستقلال الذاتي يمكنهم من بضرب نقودهم الخاصة و منح أي شخصٍ من خارج شبه الجزيرة حق اللجوء إليها.[2]

توفي إسلام غيراي الثاني عام 1588 فعين السلطان العثماني "مراد الثالث" خاناً جديداً هو "غازي غيراي الثاني" الذي عُرف باسم "بورا" أي العاصفة. وكان هذا الخان قبل تعيينه القائد العام لقوات القرم المساندة للعثمانيين في حربهم ضد فارس، وفي عام 1580 أسره الفرس إلا أنه تمكن من الهروب وانضم مرةً أخرى إلى العثمانيين، فأعجب به السلطان مراد الثالث و جعله خاناً على القرم.[3] وبالرغم من كون هذا الخان تابعاً للعثمانيين إلا أنه تمكن من انتهاج سياسة شبه مستقلة عنهم مما منحة ثقة و احترام الطبقة الأرستقراطية في شبه الجزيرة.[4]

---

[1] Inalcik, Halil, “Islam Giray”, **Encyclopaedia of Islam**, new edition Leiden: E.J. Brill, 1978, v.4, p. 178.
[2] Spuler, v.5, p. 137.
[3] Inalcik, Halil, “Ghazi Giray II”, **Encyclopaedia of Islam**, new edition, Leiden: E.J. Brill, 1965, v.2, p. 1046.
[4] “The Tatar Khanate of Crimea”, **http://www.allempires.com/article/index.php?q=The_Crimean_Khanate,** 23/8/2006.

وفي عام 1591 فشلت محاولة الخان غازي غيراي الثاني في مهاجمة موسكو بسبب امتلاك الروس للأسلحة النارية، و بعد عامين دارت مفاوضات بين الطرفين انتهت بتوقيع معاهدة سلام امتنع بموجبها تتار القرم عن مهاجمة موسكو مقابل تقديم الأخيرة دفعات منتظمة من الهدايا.[1]

ساند الخان غازي غيراي الثاني العثمانيين في حروبهم ضد النمسا و هنغاريا و بولندا و كان خير منفذ لمصالح السلطان. وفي عام 1596 طلبه العثمانيون لمساندتهم في الحملة ضد هنغاريا لكن الخان رفض هذا الطلب فعمد العثمانيون إلى عزله وتنصيب "فتح غيراي" مكانه، إلا أن الخان تمكن من استعادة العرش بعد شهور مقابل خضوعه الكامل للسلطان، وقد تجلى هذا الموقف في العقدين الأولين للقرن السابع عشر حين اعتمد العثمانيون في أعمالهم العسكرية على تتار القرم و خاصة في الأناضول و هنغاريا و بولندا و فارس.[2]

مقابل هذا الخضوع للعثمانيين ظهرت أمور إيجابية عديدة على الصعيد الداخلي استفاد منها تتار القرم. فقد ظلت شبه الجزيرة في تلك الحقبة بمنأى عن الهجمات والغارات

---

[1] المصدر السابق.
[2] المصدر السابق.

المعادية فعَّم الأمن والنظام وطُبقت الشريعة الإسلامية في مجالات القانون والأحوال الشخصية وجباية الضرائب، كما وُضعت تجارتي الخيل والعملات الأجنبية تحت إشراف السلطة. ومن جهةٍ أخرى تطور وضع المرأة وأصبحت تشارك أكثر في الحياة العامة و السياسية وحتى في الحملات العسكرية، كما اهتم عدد من النساء بالأدب والشعر. ومع بداية القرن السابع عشر بدأ تأثير الثقافة التركية العثمانية يتجلى في مجتمع تتار القرم وخاصة في مجال اللغة و التعليم حيث أرسل عدد كبير من الحكام أبناءهم لتلقي علومهم و دراستهم في إستانبول.[1]

ومع انحياز القوزاق[2] إلى جانب روسيا عام 1654 أصبحت الأخيرة على تخوم أراضي تتار القرم فشكل ذلك خطراً مباشراً عليهم. إزاء هذا الوضع قام الخان إسلام غيراي (1644-1654) بالتحالف مع مملكة بولندا-لتوانيا ضد موسكو.[3] فشن الطرفان حروباً مشتركة ضد القوزاق و روسيا و السويد و ترانسلفانيا[4] و براندنبورغ[5] حيث كان كثير من الغنائم و الأنفال ترسل إلى شبه جزيرة القرم، و قد تراوح عدد جيش تتار القرم

---

1 Spuler, v.5, p. 139

2 القوزاق هم محاربون روس دافعوا عن حدود روسيا مقابل إعطائهم استقلال ذاتي في المناطق التي احتلوها في جنوب روسيا و أكرانيا و سيبيريا.

3 Spuler, v.5, p. 139

4 ترانسلفانيا Tansylvania هي إمارة كانت في ذلك الوقت تتمتع باستقلال شبه ذاتي ضمن الدولة العثمانية و تقع اليوم غرب رومانيا.

5 براندنبورغ Brandenburg هي احدى الدول الألمانية الفدرالية التي كانت موجودة قبل انشاء الوحدة الألمانية عام 1871 و تقع اليوم غرب ألمانيا.

آنذاك بين 20 و 30 ألف مقاتل.[1] و قد وطّد الخان محمد غيراي الرابع (1654-1666) العلاقات مع ملك بولندا و عقد معه معاهدة تقضي بمنح تتار القرم أي مناطق إسلامية يحتلها الطرفان من روسيا مثل قازان و أسترخان.[2]

انفرط الحلف مع مملكة بولندا-لتوانيا أولاً بسبب عزل محمد غيراي الرابع عام 1666 و ثانياً بسبب عقد هدنة بين تلك المملكة و روسيا عام 1667. ومما زاد الطين بله تحسن علاقة السلطان العثماني مع القوزاق و إجباره لعادل غيراي خليفة محمد بالتعاون معهم. و كان القوزاق في ذلك الوقت أعداء لمملكة بولندا-لتوانيا فدب الخلاف بينها و بين تتار القرم.

و في عام 1678 تبوأ الحكم في شبه جزيرة القرم خان يدعى "مراد غيراي" فحرر نفسه من التبعية للعثمانيين كما أثار غضب رجال الدين المسلمين عندما حاول استبدال الشريعة الإسلامية بقانون دنيوي وضعة جنكيز خان، بالإضافة إلى ذلك امتنع الخان مراد عن دعم الجيش العثماني في حملته ضد فينا عام 1683؛ فتم خلعه و نفيه إلى بلغاريا.[3]

---

[1] Spuler, v.5, p. 140.

[2] المصدر السابق، مج5، ص 139.

[3] المصدر السابق، مج5، ص 140.

استغل الروس هذا الوضع المتردي وشنوا حملة عسكرية على شبه جزيرة القرم في عام 1686 ثم أعادوا الكرة في العام التالي. و منذ ذلك الحين بدأ العد العكسي لانهيار الحكم الإسلامي في شبه جزيرة القرم و قد تعزز بعد أن ازدادت الضغوطات الروسية عليها يضاف إلى ذلك الانتصار الذي حققه التحالف الأوروبي ضد العثمانيين في حرب 1682-1699 و فَشَل الخان "غازي غيراي" الثالث (1704-1707) في تحقيق تعاون مع القوزاق و مملكة السويد.

أعاد الروس الهجوم على شبه الجزيرة عامي 1737 و 1738 فعاثوا في أرضها فساداً ودمروا الكثير من معالمها الحضارية بما فيها معالم مدينة بخشي سراي. وفي عام 1739 تخلى العثمانيون و تتار القرم عن مدينة آزوف(1) لروسيا و بشكل نهائي.

ومع ذلك فإن شبه جزيرة القرم عرفت ازدهارا بعد تلك الفترة بان في إعادة بناء مبانٍ جديدة و في ترميم قصر الخان في بخشة سراي بالإضافة إلى شق الأقنية و الطرق المائية. أما على الصعيد الثقافي فإن أهم حدث برز في تلك الفترة كان إرسال السلطان العثماني لتتار القرم هدية مؤلفة من كتب قيمة. (2)

1 تقع على دلتا نهر "دون" المطلة على خليج "تاغانروغ Taganrog" شمال شرق بحر آزوف.
2 المصدر السابق، مج5، ص 140-141.

لم يرح الدب الروسي تتار القرم طويلاً، ففي عام 1771 هاجمت القوات الروسية شبه جزيرة القرم و انقضت على البشر و الحجر و قضت على الأخضر و اليابس، كما قتلت الجيوش الروسية ما يقارب 350,000 تتري قرمي.[1] حاول الخان سليم غيراي الثالث وقف العدوان لكنه فشل و لم يستطع أن يتلق أي دعم من العثمانيين بسبب انشغالهم بحربٍ مع كاترين الثانية قيصرة روسيا. تقدم الروس في شبه الجزيرة و وصلوا إلى مدينة كفا فهرب الخان إلى استانبول فعين النبلاء التتار "صاحب غيراي" الثاني مكانه. وفي عام 1774 انتهت الحرب الروسية العثمانية بتوقيع معاهدة "كوتشوك قينارجه" Kutchuk Kaynarji أُلغِيَت بموجبها الحماية العثمانية على شبه جزيرة القرم التي أصبحت دولة مستقلة اسمياً ليس للسلطان عليها من نفوذ إلا سلطته الروحية بوصفه خليفة للمسلمين.[2]

في عام 1777 ساعد الروس شاهين غيراي بالوصول إلى السلطة في شبه جزيرة القرم. وكان شاهين منفتحاً على الأوروبيين ومعجباً بثقافتهم فحاول تقليدهم في نواحي كثيرة ألحق بعضها الأذى بالمسلمين. فنقل العاصمة من بخشه سراي إلى مدينة "كفا" مقتدياً بالروس حين نقلوا عاصمتهم من موسكو إلى بطرسبرغ، واستدعى خبراء من الخارج

---

[1] حرب، ص 90.
[2] **المسلمون في الإتحاد السوفياتي**، تعريب إحسان حقي.، الطبعة 8. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1988، ص 30.

لتدريب جيشه البالغ عدده 6000 عنصراً، كما أنشأ مجلساً للوزراء مؤلفاً من 12 عضواً و أصدر عملة فضية جديدة أنهكت الدولة فيما بعد بأعباء الديون. لكن أخطر ما فعله كان تدخله في الأوقاف الإسلامية وفي تعويضات رجال الدين المسلمين. (1)

---

[1] Spuler, v.5, p. 141.

6. فترة الاحتلال الروسي القيصري لشبه جزيرة القرم

استغل الروس في عام 1782 الخلافات الداخلية بين تتار القرم و الضعف الناجم عنها و استولوا نهائياً على شبه الجزيرة من دون أي مقاومة تذكر.[(1)] و في 9 نيسان من العام التالي أصدرت كاترين الثانية قيصرة روسيا مرسوماً ذا مظهر ليبرالي[(2)] أعلنت فيه بكل بساطة ضم شبه جزيرة القرم إلى الإمبراطورية الروسية متعهدةً للمسلمين بضمان حقوقهم في أملاكهم و حريتهم المطلقة في ممارسة شعائرهم الدينية وذكر اسم السلطان العثماني بالدعاء له في خطبة صلاة الجمعة في جميع مساجد شبه الجزيرة[(3)]، ووعدتهم بمعاملة على قدم المساواة مع الروس في الحقوق و الواجبات. لكن بدا بعد ذلك أن هذا الوعد لم يكن إلا تضليلاً بدليل ما فعلته الحكومة الروسية في السنوات الأولى من استيلائها على شبه الجزيرة فصادرت خيرة أراضيها و وزعتها على النبلاء الروس تنفيذًا لخطة "الترويس" (أي جعله روسياً) التي انتهجتها وسمحت بتدفق أفواج من المهاجرين

---

[1] **المسلمون في الإتحاد السوفياتي**، ص 30.

[2] المصدر السابق، ص30

[3] بينيغسن، ألكسندر و شانتال لوميربيه كيلكجاي. **المسلمون المنسيون في الإتحاد السوفييتي**. ترجمة عبد القادر ضللي.بيروت: دار الفكر المعاصر،1989 ، ص 19.

الروس والسلاف واليونان والأوروبيين للعيش في شبه الجزيرة فوجد تتار القرم أنفسهم يخضعون لنظام تعسفي جائر يطردهم من أراضيهم الخصبة، فلم يروا أمامهم إلا سبيلاً وحيداً للنجاة وهو الرحيل الجماعي إلى أراضي الدولة العثمانية و خاصة بعد محاولات الحكومة الروسية تشجيع تتار القرم على الهجرة من ديارهم مما جعل تاريخهم خلال مئة عام و نيف عبارة عن سلسلة طويلة من الهجرة الجماعية تمت في أشد حالات البؤس و التعاسة هلك خلالها الآلاف المؤلفة مرضاً و جوعاً، فانخفض عددهم في غضون قرن من 500,000 نسمة إلى أقل من 200,000 نسمة [1] أصبحوا أقلية في وطنهم أمام كتلة روسية تفوقهم ثروة و سطوة. و جدير بالذكر أنه بعد ضم شبه الجزيرة إلى روسيا هُجِّرت شعوب عديدة غير إسلامية كانت تعيش مع تتار القرم بوفاق و آمان، فتم نقل عدد كبير من اليهود والأقليات المسيحية إلى جنوب روسيا و أوكرانيا واستُبْدِلوا بفلاحين روس و أوكرانيين،[2] كما رُحل عدد كبير من الأرمن مع أساقفتهم إلى مدينة روستوف[3] الواقعة على مقربة من مصب نهر "دون Don" شرقي بحر آزوف (و هي اليوم تابعة لروسيا).

[1] Akiner, Shirin, **Islamic peoples of the Soviet Union**, 2nd ed., London: KPI, 1986, p. 88
[2] Fisher, Alan, “Crimean Khanate”, **The Oxford Encyclopedia of Modern Islamic World**. John L. Esposito, editor in chief, New York: Oxford University Press, 1995, v.1, p. 328.
[3] Spuler, v.5, p. 141.

وكان من النتائج غير المباشرة لاحتلال الروس شبه جزيرة القرم أنها أصبحت مرتبطة عضوياً بروسيا وبنزاعاتها وبسياستها الخارجية. ففي عام 1853 اندلعت حرب بين روسيا من جهة و الدولة العثمانية و فرنسا و بريطانيا و سردينيا من جهة كان هدفها البعيد إحباط طموحات روسيا في الدولة العثمانية و البلقان. وفي أيلول من عام 1854 قامت القوات البريطانية و الفرنسية بعملية إنزال على شواطئ شبه جزيرة القرم و ضربت حصاراً حول مدينة سفاستوبول دام عاماً استطاعت بعدها القوات الفرنسية من شن هجوم ناجح استسلمت بعده المدينة. وفي عام 1856 انتهت الحرب بتوقيع معاهدة سلام في باريس، و قد دعيت هذه الحرب بحرب القرم.

بعد حرب القرم عمدت الحكومة الروسية إلى طرد أعداد كبيرة من تتار القرم بحجة انحيازهم إلى الأعداء، وقد استعملت القوة أحياناً لتطبيق هذه الخطة، فهاجر العديد منهم إلى إستانبول وإلى دبروجه[1] على الساحل الشمالي لبلغاريا تاركين أوطانهم وأملاكهم لمن يعبث بها و يغيّر معالمها.

حافظت الطبقة الأرستقراطية الإقطاعية في شبه جزيرة القرم بعد الاحتلال الروسي على جميع حقوقها و امتيازاتها وانخرطت في المجتمع الروسي لتأخذ مكاناً في نظامه الطبقي

[1]Paskoy, p. 3.

من غير أن تُكْره على اعتناق المسيحية مما جعلها مخلصة لعائلة رومانوف الحاكمة و لروسيا نفسها حتى اندلاع الثورة الروسية عام 1917. كما حافظ رجال الدين المسلمون على سلطتهم وقوتهم وثروتهم وباتوا هم أيضاً مؤدين لعائلة رومانوف ومناهضين لكل إصلاح قد يبدد امتيازاتهم.(1)

ومع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وجد مسلمو روسيا أنفسهم أمام تحديات كبيرة نتجت عن التحول الهائل الذي حصل في المجتمعات الغربية مقابل الجمود الفكري في كافة العالم الإسلامي و ازدياد القبضة الروسية عليهم. فانصب جهدهم الرئيسي على محاربة الدغماتية (أي التسليم بلا تمحيص) وتجنب أي إعاقة للتقدم وانتشار المعارف والقضاء على الطاعة العمياء للسلطات التقليدية، وكانوا من أوائل المفكرين المسلمين المعاصرين الذين أعلنوا أن لكل مؤمن الحق في أن يبحث في القرآن الكريم والحديث الشريف ليجد الرد على الأسئلة السياسية والاجتماعية كافة. أثارت هذه المواقف مجادلات عنيفة أدت إلى انشقاق عميق في المجتمع الإسلامي، انشقاق كان أصلاً من نوع روحي فقط لكنه سرعان ما أصبح سياسياً شق المسلمين إلى معسكرين متعاديين هما: معسكر الجناح الليبرالي التجديدي الذي عرف فيما بعد بالمجددين و يضم أنصار

---

[1] بينينغسن و كيلكجاي، ص 20

الإصلاحات الذين انضمت إليهم فيما بعد تكتلات سياسية متعددة تقدمية أو ثورية، وجناح خصوم الإصلاحات الذين تمثل كفاحهم في المنظمات المحافظة.[1]

تأثرت أفكار المجددين بالليبرالية الغربية و بفكرة "الطورانية" التي دعت إليها جمعية تركيا الفتاة في الدولة العثمانية، و كان من أكثر المتحمسين و المؤيدين لهذه الأفكار التتري القرمي إسماعيل غاسبيرالي Ismail Gaspirali الذي عرف باللغة الروسية باسم: غاسبرنسكي Gasprinski. ولد غاسبيرالي عام 1851 في إحدى قرى شبه جزيرة القرم و تعلم في أحد المدارس المحلية التي كانت تدعى "مكتب"، ثم خدم في الجيش الروسي و سافر بعدها إلى الخارج فزار فرنسا و الدولة العثمانية. لدى عودته إلى شبه جزيرة القرم عمل في حقل التعليم و تبوأ بين عامي 1878 و 1882 منصب عمدة مدينة "بخشه سراي" التي أصدر فيها صحيفة "ترجمان Perevodchik/Turjuman" عام 1883[2] وكانت "ترجمان" إحدى أكبر الصحف الإسلامية في تلك الفترة.[3] وبالإضافة إلى الصحافة طرق غاسبيرالي باب الإصلاح التعليمي و التربوي، فوضع منهجاً جديداً للتعليم عُرف باسم "أصول الجديد" قلب من خلاله النظام التعليمي القديم للمسلمين رأساً

---

[1] المصدر السابق، ص: 28

[2] Lazzerini, Edward J. “Gasprinskii, Ismail Bey”. **The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic World**. John L. Esposito, editor in chief. New York: Oxford University Press, 1995. v. 2, pp. 52-53.

[3] بينينغسن و كيلكجاي، ص30

على عقب في شبه جزيرة القرم أولاً ثم في كل روسيا لاحقاً.[1] و إلى جانب "ترجمان" نشر غاسبيرالي عدة مؤلفات دورية منها "عالم النسوان" و "عالم الصبيان" و "النهضة".[2]

وقعت الحرب الروسية اليابانية عام 1904 و هُزم الروس على يد هذه الدولة الآسيوية فكانت صدمة فادحة لهم حيث نُظر إلى إمبراطوريتهم على أنها ضعيفة و يمكن قهرها، فانبثق الأمل بتحرر الشعوب الخاضعة لروسيا بما فيهم المسلمون، فعُقدت المؤتمرات الإسلامية و تم تأسيس حزب إسلامي سنة 1905 عرف باسم "حزب الإتحاد الإسلامي" ضم جميع مسلمي روسيا بما فيهم تتار القرم. لكن تخاذل الليبراليين الروس في التعاون مع الحزب أحبط جميع مطالبه التي تقدم بها ممثلوه في مجلس الدوما (المجلس النيابي في العهد القيصري)، فانحل الحزب عام 1908 و هاجر العديد من زعمائه إلى الدولة العثمانية.[3]

---

[1] المصدر السابق ص 30

[2] Lazzerini, p. 53.

[3] بينينغسن و كيلكجاي، ص 32

6.1 تأثير الحرب العالمية الأولى على شبه جزيرة القرم

اندلعت الحرب العالمية الأولى في عام 1914 ودخلتها روسيا إلى جانب الحلفاء ضد ألمانيا والإمبراطورية النمساوية-المجرية والدولة العثمانية و بلغاريا. لم تكن مجريات الحرب لصالح الروس الذين عانوا من هزائم وخاصة على الجبهة الألمانية النمساوية، فبدأ التململ بين صفوف الشعب والجيش. وفي تشرين الأول من عام 1917 قامت الثورة الشيوعية بالبلاد وألغيت الملكية، تلتها حرب أهلية بين مؤيدي الشيوعية ومعارضيها. وقد عُرِف الشيوعيون بالبولشفيك أو الجيش الأحمر والمعارضون بالروس البيض.

وفي تموز 1917 اجتمعت جماعات سياسية من تتار القرم في شبه الجزيرة وأسست حزباً سياسياً تحت اسم"ملي فرقة Milli Firka" أو الحزب الوطني بالعربية، وكان مؤسسوه من الشبان المثقفين الذين تلقى أكثرهم علومهم في الدولة العثمانية أو في أوروبا الغربية أمثال "حسن صبري عيواظ" و"أحمد أوزون باشلي" و"علي بودانسكي" و "ولي إبراهيموف". وكانوا كلهم من المثقفين و التقدميين ذوي الميول الاشتراكية والداعين إلى الوحدة مع الدولة العثمانية، كما كان بعضهم مؤيد للبولشفيك مثل بودانسكي و

إبراهيموف. وعلى الرغم من أن جماعة حزب "ملي فرقة" كانوا يكافحون في سبيل استقلال القرم الداخلي فانهم قد أضافوا على برنامجهم السياسي نقاطاً كثيرة مستوحاة مباشرة من الاشتراكية مثل تأميم الوقف و الملكيات الكبيرة الخاصة و الكفاح و التعاون مع الاشتراكيين،[1] و قد شكل أعضاء هذا الحزب حوالي ربع سكان شبه الجزيرة.[2]

وكان تتار القرم قد عقدوا في 23 آذار 1917 مؤتمراً وطنياً في مدينة سمفربول انتخبوا خلاله لجنة تنفيذية مسلمة كانت نواة الحكومة الوطنية التي رأت النور في شهر تشرين الثاني من نفس العام[3] ضمت أعضاء من "ملي فرقة"،[4] و قد اعترفت بهذه الحكومة كل من الدولة العثمانية و ألمانيا.[5] و في ربيع عام 1918 اتصل بعض الأفراد من حزب "ميلي فرقة" ببعض القادة الألمان المتواجدين في شبه الجزيرة كما ناشدوا القيصر الألماني بتأمين الحياد لها.[6]

---

[1] **المسلمون في الإتحاد السوفياتي**، ص 120-121.

[2] Yemelianova, Galina, **Russia and Islam: A Historical Survey**, New York: Palgrave Macmillan, 2002, p. 107.

[3] **المسلمون في الإتحاد السوفياتي**، ص 120.

[4] Yemelianova, p. 107.

[5] Akiner, p. 88

[6] Yemelianova, p. 107.

7. السيطرة الشيوعية على شبه جزيرة القرم

بعد إحكام الشيوعيين قبضتهم على السلطة في روسيا هاجمت وحدات من بحرية البحر الأسود التابعة للبولشفيك ميناء سفاستوبول ومدينة سمفروبول في كانون الثاني عام 1918 و استولت عليها و قضت على الحكومة التترية. لم يرض الألمان عن هذا الوضع فأرسلوا قواتهم إلى شبه الجزيرة و احتلوها في شهر أيار من العام نفسه،[1] وشكّلوا حكومة تترية كان أعضاؤها من جماعة "ملي فرقة" المناهضة للشيوعية.

7.1 انقضاض الشيوعية على شبه جزيرة القرم

انسحب الألمان من شبه جزيرة القرم عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى عام 1918، فطلب حزب "ملي فرقة" الحماية من البريطانيين و الفرنسيين و اتصل بالروس البيض. و كان لهذا الاتصال و قع سيئ على نضال الشعب التتري القرمي إذ نتج عنه انشقاق حزب "ملي فرقة" إلى أجنحة متناحرة فتعاون بعض أفراده مع البولشفيك و نظموا المكتب الإسلامي التابع للحزب البولشفي في القرم برئاسة ولي إبرهيموف.[2] وفي شهر نيسان

---

1 Paskoy, p. 4
2 Yemelianova, p. 107.

عام 1919 احتل الروس الشيوعيون شبه جزيرة القرم و أسسوا فيها "مكتب مسلمي القرم" الذي كان بمثابة حكومة شكلية هدفها إدارة أمور الشعب التتري. لكن المكتب رفض كل العروض التي قدمها حزب "ملي فرقة" للتعاون في المشاركة بالحكم. [1]

بعد شهر من الغزو الشيوعي هاجم الروس البيض شبه الجزيرة و انتزعوها من البولشفيك و أعادوا الكثير من الأوضاع إلى ما كانت سارية عليه أيام العهد القيصري كما حظروا نشاط حزب ملي فرقة، فما كان من الأخير إلا أن تحالف مع البولشفيك لطرد البيض.[2] و في تشرين الأول من عام 1920 احتل البولشفيك شبه جزيرة القرم نهائياً وقد ساندهم في ذلك حزب "ملي فرقة" الذي عاد للظهور ثانيةً بعد اندحار البيض، وقد انضم أعضاؤه إلى الحزب الشيوعي الروسي.[3]

وجدير بالإشارة إلى أن الحكومة البلشفية كانت قد نقلت العاصمة إلى موسكو وغيرت اسم البلاد إلى "الاتحاد السوفياتي" الذي تألف من جمهوريات سوفياتية مستقلة ذاتيا ومنها جمهورية القرم السوفياتية الاشتراكية المستقلة ذاتياً تم تأسيسها في تشرين الثاني 1921 شكّل التتار 25% فقط من سكانها. ويعتبر هذا الحدث من أهم المفاصل

---

[1] Paskoy, p. 4

[2] المصدر السابق، ص 4

[3] بينينغسن و كيلكجاي، ص 42.

التاريخية لشبه الجزيرة إذ أحكم الشيوعيون سيطرتهم عليها و سعوا إلى نشر أفكارهم فيها، فهرب الكثير من زعماء تتار القرم إلى الخارج و خاصة إلى تركيا.

7.2 شبه جزيرة القرم خلال العهد السوفياتي

استطاع "ولي إبراهيموف" الذي كان رئيساً للجنة المركزية للحزب الشيوعي ولمجلس الوزراء في شبه الجزيرة أن يواصل جهود الحكومة التترية التي تأسست قبل اندلاع الثورة الشيوعية. فألف حكومات معظم أعضاؤها من حزب "ملي فرقة" وأعاد فتح المدارس والصحف التترية، كما أصبحت اللغة التترية اللغة الرسمية إلى جانب الروسية.

وفي نهاية العشرينيات شن الشيوعيون عملية تطهير في شبه جزيرة القرم ضد أعضاء "ملي فرقة" القدامى فألقي القبض على ولي إبراهيموف وأُعدِم عام 1929 بتهمة التجسس والقيام بأعمال مضادة للثورة. وعقب إعدامه امتدت حملة التطهير لتشمل المفكرين التتار فهلك فيها عدد كبير ممن انضموا إلى النظام السوفياتي أمثال حسن صبري عيواظ. و استُبدِلت القيادات التترية في المدارس و الجامعات والصحف بأخرى شيوعية من روسيا و أوكرانيا. كما فرضت الأبجدية الروسية على اللغة التترية بعد أن

كانت تُكتب بالأبجدية العربية و اللاتينية وأُدخلت كلمات روسية على اللغة التترية وحذفت أُخرى تركية.

طالت حملات التطهير رجال الدين المسلمين أيضاً، فنُعِتوا بالطفيليين والرجعيين والمعادين للثورة ونُفِيَ عدد كبير منهم إلى سيبريا و آسيا الوسطى. وفي خطوة لنشر وتشجيع الإلحاد عمد الشيوعيون إلى إغلاق عدد كبير جداً من المساجد والمدارس الدينية وأحرقوا المصاحف وأنشأوا أحزاب وروابط إلحادية هدفها إبعاد تتار القرم عن الله وعن الدين. وقد ساعدت الحكومة المركزية في موسكو هذه الأحزاب حتى بلغ عدد المنضويين تحتها عام 1932 حوالي 42000 شخص بعد أن كان 30000 شخص عام 1931.[1]

وفي خطٍ موازٍ لحملات التطهير اتجه الشيوعيون عام 1928 إلى جعل شبه جزيرة القرم موطناً ليهود روسيا، ولما احتجت حكومة القرم أَعدم رئيس جمهوريتها وأعضاء حكومته و نفي أربعون ألف مسلم إلى مجاهل سيبيريا.[2]

---

[1] Paskoy, p. 5.

[2] المصري، جميل عبد الله محمد، **حاضر العالم الإسلامي و قضاياه المعاصرة**، الطبعة الثامنة معدلة و منقحة و مزيدة، الرياض، مكتبة العبيكان، 2002، ص 505.

ولم تسلم حتى المزروعات والمواشي في شبه جزيرة القرم من طغيان الشيوعيين. ففي الثلاثينيات أتلف السوفيات مساحات واسعة من الأراضي المزروعة بساتين فواكه و قضوا على أعداد كبيرة من المواشي بحجة إنشاء تعاونيات زراعية مما أدى إلى وقوع مجاعة امتدت من عام 1932 حتى عام 1933.[1]

7.3 شبه جزيرة القرم خلال الحرب العالمية الثانية

شهد عام 1939 اندلاع الحرب العالمية الثانية، وكانت ألمانيا النازية و إيطاليا الفاشية و اليابان ضد فرنسا و بريطانيا و بولندا. أما الاتحاد السوفياتي فقد تحالف مع النازيين لتقاسم أوروبا الشرقية. لم يدم هذا التحالف طويلاً لأسبابٍ كثيرة أقلها العقائدية، و في عام 1941 هاجمت ألمانيا الاتحاد السوفياتي و اندلعت الحرب بينها.

احتل الألمان شبه جزيرة القرم عام 1941 و انقسم التتار هناك بين مؤيدٍ و معادٍ لألمانيا النازية. لكن دكتاتور الاتحاد السوفياتي "ستالين" لم ير إلا المتعاونين مع النازيين فقرر الانتقام منهم و من كل شبه الجزيرة بعد أن استعادها جيشه عام 1944. فقد أصدر

---

1 Pohl, J Otto. *Ethnic Cleansing in the USSR, 1937-1949*. Westport, CT: Greenwood Press, 1999. 6/2/2001, **www. euronet.nl/users/sota/pohlethnic.html**, p. 2

ستالين في 11 أيار 1944 بياناً اتهم فيه تتار القرم بالعمالة و الخيانة لذلك فهم يستحقون حسب رأيه العقاب الجماعي ألا و هو نفيهم و إبعادهم إلى آسيا الوسطى و توطينهم هناك في أماكن خاصة لهم.

7.4 النفي و الإبعاد

بدأت عملية الإبعاد في 18 أيار، فسُمح لكل عائلة بأخذ 500 كلغ فقط من الممتلكات المنقولة، أما الممتلكات غير المنقولة فقد صادرتها الحكومة السوفياتية.[1]

وكانت المأساة الكبرى في عملية الإبعاد حيث هلك الآلاف في القطارات خلال نقلهم بسبب الأمراض و البرد و الجوع، و بلغ مجموع ما لقي حتفه خلال خمسة أعوام من عملية النفي حوالي 42000 تتري قرمي.[2] هذا بالإضافة للذين ماتوا خلال وصولهم إلى المستوطنات في صحارى أوزبكستان نتيجةً للأحوال الصحية الرديئة و قلة المياه العذبة و تفشي الأمراض. وعند وفاة ستالين عام 1953 بلغ مجموع ما أُبعد و وصل سالماً إلى آسيا الوسطى من تتار القرم حوالي 165259 شخص[3] من أصل ما يقارب

---

[1] Pohl, p. 6

[2] المصدر السابق، ص 6.

[3] Pohl, *Ethnic Cleansing in the USSR, 1937-1949* p. 7

238000 تتري هجروا من شبه الجزيرة.[1] و في تشرين الثاني من عام 1945 ألغيت رسمياً جمهورية القرم السوفياتية و أصبحت مجرد منطقة تابعة للجمهوريات الاشتراكية الفيدرالية السوفياتية المتحدة. و في شباط 1954 ألحقت شبه جزيرة القرم بجمهورية أوكرانيا الاشتراكية السوفياتية.

جلب وفاة ستالين بعض الليبرالية الخفيفة للحكم السوفياتي و قد تسامح النظام الجديد مع تتار القرم المنفيين في آسيا الوسطى لكنه استمر في اعتبارهم خونة حتى عام 1967 لكن لم يسمح لهم بالعودة إلى وطنهم في شبه الجزيرة.

وفي عام 1985 أُنتُخِب "مياخائيل غورباشِف Mikhail Gorbachev" رئيساً للإتحاد السوفياتي فعمد عند تبوئه الرئاسة إلى إطلاق برنامجه الإصلاحي في البلاد الرامي إلى الانفتاح أو "غلاسنوست Glasnost" و الاعمار و التنمية الاقتصادية أو "بِرِسترويكا Perestroika"، فكان من نتيجة هذه الإصلاحات التي قام بها "غورباتشف" أن تحركت الجهود الرامية إلى عودة تتار القرم إلى ديارهم. وبالفعل فقد عاد في أواخر

[1] بينينغسن و كيلكجاي، ص 142.

الثمانيات وأوائل التسعينيات ما يعادل 300000 تتري[1] وقد فاق هذا العدد تتار القرم المقيمين في شبه الجزيرة.

وفي 20 كانون الثاني من عام 1991 جرى استفتاء شعبي في القرم صوت من خلاله 93% من سكان شبه الجزيرة على منحها استقلالاً ذاتياً ضمن جمهورية أوكرانيا السوفياتية. وافقت الأخيرة على هذا المطلب بعد استثناء مدينة سفاستوبول من هذا الاتفاق.

7.5 فترة ما بعد سقوط الشيوعية و سيطرة أوكرانيا على القرم

في 19 آب عام 1991 قام بعض الشيوعيون المحافظون بمحاولة انقلاب في موسكو لقلب نظام "غورباتشف"، إلا أن المحاولة فشلت فكان من نتيجتها مطالبة كل الجمهوريات السوفياتية بالانفصال عن الإتحاد السوفياتي. أيد البرلمان الأوكراني هذا الانفصال في 24 آب من نفس العام و بعد ستة أيام منع الحزب الشيوعي الأوكراني من مزاولة نشاطه. وفي الأول من كانون الأول عام 1991 جرى استفتاء شعبي على

[1] Pohl, Otto J.*The Stalinist Penal System: A statistical History of Soviet Repression and Terror.* Jefferson, North Carolina: McFarland & Company, 1997. 6/2/2001.**www.euronet.nl/ users/sota.statshist.html**. p. 7.

الاستقلال أيده 90.3% من المقترعين[1]، وفي الثامن من ذلك الشهر تم حل الاتحاد السوفياتي و تم تشكيل اتحاد الدول المستقلة[2] بدلاً عنه، و منذ ذلك الوقت أصبحت أوكرانيا دولة مستقلة ذات سيادة منفصلة عن موسكو. و هكذا استمرت شبه جزيرة القرم جزءاً من أوكرانيا بعد سقوط الاتحاد السوفياتي.

وفي شباط عام 1992 صوت المجلس الأعلى للقرم (وهو مثابة البرلمان المحلي) على تحويل شبه الجزيرة إلى "جمهورية" ضمن دولة أوكرانيا، فردت السلطات الأوكرانية بعرضٍ يقضي بإعطاء المزيد من الاستقلال الذاتي لشبه الجزيرة، لكن المجلس أصر في 5 أيار على إعلان الاستقلال الكامل عن كييف، لكن برلمان أوكرانيا رفض هذا الإعلان. و في حزيران من ذلك العام أعلنت السلطات الأوكرانية قيام جمهورية القرم المستقلة ذاتياً.

والآن ينبعث الأمل باستقرار أوضاع تتار القرم و إعطائهم فرصة ليلعبوا دورهم كأحد قاطني الثغور الإسلامية. و يجب أن لا ننسى أن نتعظ من دروس التاريخ و نمعن في

---

[1] **Eastern Europe, Russia and Central Asia, 2006**, p. 527.

[2] هو منظمة دولية اورو اسياوية مكونة من 12 جمهورية سوفياتية سابقة و مقرها في مينسك بروسيا البيضاء، و هذه الجمهوريات هي: أذربيجان | أرمينيا | أوزباكستان | أوكرانيا | تركمانستان | جورجيا | روسيا | روسيا البيضاء | طاجيكستان | قرغيزستان | كازاخستان | مولدافيا.

الاتحاد و التعاضد مع بعضنا و أن نتكل على الله سبحانه وتعالى وعلى جهودنا المخلصة لحل مشاكلنا، فهل من متعظ؟

المراجع

باللغة العربية:

1- المطبوعة:

ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد. **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، 1938.

بينينغسن، ألكسندر و شانتال لوميرييه كيلكجاي. **المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفييتي**. ترجمة عبد القادر ضللي. بيروت: دار الفكر المعاصر، 1989.

حرب، محمد. **الإسلام في آسيا الوسطى و البلقان**. ط2. بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1995.

خان، ظفر الاسلام. **المسلمون في بولندا**. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1997.

شاكر، محمود. **التاريخ الإسلامي: التاريخ المعاصر 21: المسلمون في الأمبراطورية الروسية**. ط2. بيروت: المكتب الإسلامي، 1994.

شاكر، محمود. **المسلمون تحت السيطرة الشيوعية**. الطبعة الثانية. بيروت: المكتب الإسلامي، 1979.

عطية الله، أحمد. **القاموس الإسلامي**. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية،1963

المسلمون في الاتحاد السوفياتي . تعريب إحسان حقي. الطبعة الثانية. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1988.

المصري، جميل عبد الله محمد. **حاضر العالم الإسلامي و قضاياه المعاصرة.** الطبعة الثامنة معدلة و منقحة و مزيدة. الرياض: مكتبة العبيكان، 2002.

2- الإلكترونية:

اتحاد المنظمات الاجتماعية في أوكرانيا (الرائد). " دراسات: مسلمي القرم". http://www.arraid.org/index.php?r=9&s=3&lang=ar . 2006/6/23.

محمود، شفيق جاسر أحمد. "محاولات التحالف بين المغول و الصليبيين ضد المسلمين في القرنين السابع و الثامن الهجريين و آثارها". http://www.iu.edu.sa/Magazine/75-76/3.doc. 6/2/2001

In English:

1- Print:

Akiner, Shirin. **Islamic Peoples of the Soviet Union**. 2nd ed. London: KPI, 1986.

Allworth, E. A. (Ed). **The Tatars of Crimea: Return to homeland**. Second edition, revised and expanded. Durham, North Carolina: Duke University Press, 1998.

Barthold, W. “Tatar”. **The encyclopaedia of Islam : a dictionary of the geography, ethnography and biography of the Muhammadan peoples**. Ed by M.Th. Houtsma ... [et al.]. Leiden, The Netherlands : E.J. Brill, 1927-1934.

Eastern Europe, Russia and Central Asia, 2006. 6th ed. London: Routlage, 2005.

Europa World Yearbook 2005. 46th ed. London: Europa Publications, 2005.

Fisher, Alan. “Crimean Khanate”. **The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic World.** John L. Esposito, editor in cheif. New York: Oxford University Press, 1995.

Inalcik, Halil. “Ghazi Giray II”, **Encyclopaedia of Islam**. New edition. Leiden: E.J. Brill, 1965, v.2, p. 1046-1047.

Inalcik, Halil. “Giray”. **Encyclopaedia of Islam**. New edition. Leiden: E. J. Brill, 1965, v.2, p. 1112-1114.

Inalcik, Halil. “Islam Giray”, **Encyclopaedia of Islam**. New edition. Leiden: E.J. Brill, 1978, v.4, p. 178-179.

Kellner-Heinkele, B. “Mengli Giray I”. **Encyclopaedia of Islam**. New edition Leiden: E.J. Brill, 1991, v.6, p. 1016.

Lazzerini, Edward J. “Gasprinskii, Ismail Bey”. **The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic World.** John L. Esposito, editor in cheif. New York: Oxford University Press, 1995.

Naimark, Norman M. **Fires of hatred: Ethnic cleansing in twentieth-century Europe**. Cambridge, Mass.: Harvard University Press, c2001.

Savory, Roger. **Iran under the Safavids**. Cambridge: Cambridge University Press, 1980.

Spuler, B. “Kirim”. **Encyclopedia of Islam**. Leiden: E. J. Brill, 1986.

The Tatars of Crimea : Return to the homeland : studies and documents. Edited by Edward Allworth. Durham, N.C.: Duke University Press, 1998.

Wren, Melvin C. **The Course of Russian History**. New York: The MacMillan Company, 1958.

Yemelianova, Galina. **Russia and Islam: A Historical Survey**. New York: Palgrave Macmillan, 2002.

2- Electronic:

"All Ukrainian Population Census 2001". www.ukrcensus.gov.ua/eng/results/general/nationality/. 2/2/2007

"Golden Horde, Empire of the". **The Columbia Encyclopedia**, Sixth Edition, 2001-05. http://www.bartelby.net/65/go/GoldenHE.html. 26/6/2006.

International Committee for Crimea. "Crimean Tatars and the Ukrainian state". http:// www.iccrimea.org/scholarly/oshevel.html. 24/5/2006.

Paskoy, H. B. "Crimean Tatars". www.euronet.nl/users/sota/paskoy.14html. 6/2/2001.

Pohl, J. Otto. **Ethnic Cleansing in the USSR, 1937-1949.** Westport, CT: Greenwood Press, 1999. www.euronet.nl/users/sota/pohlethnic.html. 6/2/2001.

Pohl, J. Otto. **The Stalinist Penal System: A Statistical History of Soviet Repression and Terror, 1930-1953.** Jefferson, North Carolina: McFarland and Company, 1997. www.euronet.nl/users/sota/statshsit.html. 6/2/2001.

"Russo-Crimean Wars". http://en.wikipedia.org/wiki/Russo-Crimean_Wars. 3/8/2006.

SOTA. "The Crimea". www.euronet.nl/users/sota/krimgeo.html. 6/2/2001.

"The Tatar Khanate of Crimea". http://www.allempires.com/article/index.php?q=The_Crimean_Khanate 23/8/2006.

"Tatars". HighBean Encyclopedia**.** http://www.encylopedia.com/html/t/tatars.asp. 13/7/2006.

"Ukraine". http://www.citypopulation.de/Ukraine.html#Stadt_gross. 23/6/2006.

"UkrTravel". http://www.ukrtravel.com/bakhchisaray/main.htm. 23/6/2005.

القسم الثالث

الإسلام والمسلمون في مقدونيا

الماضي و الحاضر

بقلم

شبيتيم كالم شوشكو و سعيد إبراهيم كريديه

تمهيد

نقصد بماضي الإسلام والمسلمين في مقدونيا دراسة الفترة التي تمتد من دخول الإسلام إلى تلك البلاد في القرن 14 الميلادي على أيدي العثمانيين و حتى استقلال مقدونيا عام 1991م، و نقصد بحاضر الإسلام والمسلمين في مقدونيا معالجة الفترة التي تمتد من استقلال مقدونيا و حتى يومنا هذا مع إعطاء لمحة عن أوضاع المسلمين الحالية في هذا البلد.

ونقصد بالإسلام دين الله تعالى الذي هو في غني عن التعريف، وبالمسلمين كل المسلمين من أي عرق أو جنسية أو فكر أو فرقة كانوا داخل الأراضي المقدونية.

ونقصد بمقدونيا الدولة الحديثة التي انفصلت عن دولة يوغسلافيا واعْتُرِف بها دوليّاً سنة 1992 و التي سوف نعطي صورة شاملة عن دولة مقدونيا في الأول من هذا البحث.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين والصلاة والسلام على من بعثه الله تعالى رحمة للعالمين سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فإن دين الله تعالى الإسلام دين عالمي، دين لكل زمان ومكان، ورسوله آخر وخاتم الأنبياء والرسل، لذلك عمل أتباع هذا الدين على نشره في كل أنحاء العالم فانتشر أولاً بفضل الله على أيدي الصحابة و الخلفاء الراشدين رضي الله

تعالى عنهم في الجزيرة العربية و الشام و العراق و فارس و شمال إفريقيا، ووصل على أيدي الدولة الأموية إلى الأندلس و بلاد السند و آسيا الوسطى، و استمرت الفتوحات تتوسع في تلك المناطق مع تعاقب الممالك و الدول الإسلامية بالرغم من الاحتلال الصليبي لساحل الشام بين القرنين 11 و 14 الميلاديين. و لعل الاختراق الأكبر الذي حدث في مجال الفتوحات هو فتح القسطنطينية عام 1453 على يد القائد العثماني السلطان محمد الثاني، و من بعدها أوصل العثمانيون الإسلام إلى قلب أوروبا حتى حدود فيينا عاصمة الإمبراطورية النمساوية شاملاً بذلك كل شبه جزيرة البلقان، ولا تزال آثار الإسلام هناك شامخة في المجتمع و عاداته و تركيبه و فنّ العمارة فيه حتى بعد سقوط الدولة العثمانية والحرب الشرسة في تلك البلاد ضد المسلمين، (مثل البوسنة والهرسك وكوسوفا ومقدونيا) جاعلة بذلك من هذه البلاد جزءاً لا يتجزأ من العالم الإسلامي بماضيه وحاضره ولو كره الكافرون.

ولكن للأسف الشديد لم يعلم كثير من المسلمين في العالم أن هناك مسلمين في البلقان ولا حتى بوجود المسلمين في البوسنة وكوسوفا إلا بعد اندلاع الأحداث الأخيرة في تلك المنطقتين خلال العقد الأخير من القرن العشرين بالرغم من أن عمر الإسلام هناك يزيد على 600 سنة.

ينتمي المسلمون الآن في البلقان إلى أكثر من قومية و عرق على رأسها الألبان (الذين يتواجدون في ألبانيا و مقدونيا و كوسوفو) يليها البوشناق (في البوسنة و صربيا و مقدونيا) ثم الأتراك (في بلغاريا و رومانيا و مقدونيا و اليونان) و البوماك (في بلغاريا و اليونان) و التتار (في رومانيا). و قد اخترنا أن يكون موضوع هذا البحث هو تاريخ و حاضر المسلمين في مقدونيا نظراً لندرة المعلومات في العالم العربي عن هؤلاء المسلمين و عن أحوالهم وعن هذه الدولة بالذات. و مما دفعنا أكثر لتناول هذا الموضوع هو استغراب بعض المسلمين العرب عند ملاقاتهم لأحد المسلمين الألبان فيسأل العرب: "أين تقع ألبانيا أو مقدونيا؟ هل هناك مسلمون أصليّون؟ كم عددهم؟ ما أوضاعهم؟ ثم قولهم بعد ذلك: لم نكن نعرف ذلك قبل التعرف عليكم"، في حين أن أعداء الإسلام والمسلمين يعرفون كل صغيرة وكبيرة عن تلك البلاد التي كانت باب الخلافة الإسلامية العثمانية للدخول إلى أوروبا جمعاء ويعلمون بالتفصيل كل شيء عن المسلمين هناك[1].

لذلك أردنا كتابة بحث متواضع عن مقدونيا، وعن الإسلام والمسلمين فيها، نقدمه للمسلمين في العالم العربي و للأجيال القادمة حفاظاً على الأمانة التاريخية و الوعي الديني. كما ان من أسباب اختيار هذا البحث ومن دوافع الكتابة في هذا الموضوع تعريف المسلمين بإخوانهم في مقدونيا وبأحوالهم و خاصة أن أحد المؤلفين

1- وللأسف فأكثر المصادر والمراجع في هذا البحث منهم لعدم توفر المراجع الإسلامية .

(شبتيم كالم شوشكو) هو مسلم من ألبانيا و معظم مسلمي مقدونيا هم ألبان مما يسهل قراءة المراجع باللغة الألبانية و الرجوع إليها.

اتبعنا في كتابة هذا البحث المنهج الاستقرائي وتتبع المصادر والمراجع بدقة، والمنهج التاريخي في بعض الأحيان والمنهج التحليلي في أحيانٍ أخرى و لم نتردد في تدوين ملاحظاتنا في كل ما رأيناه خطأ أو مشوّهاً عمداً، كما تطرقنا إلى المنهج الوصفي لحال المسلمين وما يتعلق بهم من قريب أو بعيد في مقدونيا، مع توثيق الأخبار والمعلومات من مصادرها الأصلية.

سلكنا في بحثنا هذا الخطوات العلمية، فقسمنا البحث إلى مقدمة و تمهيد وثلاثة أبواب وخلاصة و أنهينا البحث بثبت للمراجع.

تناولنا في **الباب الأول** المعطيات العامة عن مقدونيا و تحدثنا في **الباب الثاني** عن ماضي الإسلام و المسلمين في مقدونيا، كما تكلمنا عن حاضر الإسلام و المسلمين في مقدونيا في **الباب الثالث**، ثم تناولنا في **الباب الرابع** فرق المسلمين في مقدونيا و في **الباب الخامس** أعراقهم و أماكن تواجدهم في هذه الدولة. عالجنا الحرية الدينية في مقدونيا في **الباب السادس** و عرضنا في **الباب السابع** العلاقة بين المسلمين و

المسيحيين في مقدونيا، أما **الباب الثامن** فتناولنا فيه علاقة الدولة بالإسلام و المسلمين في مقدونيا، و ختمنا **بالباب التاسع** الذي أدرجنا فيه المؤسسات الإسلامية في مقدونيا

نأمل أن يكون هدف كتابة هذه الدراسة هو إثراء المكتبة الإسلامية ببحث جديد وبموضوع انعدمت الكتابة فيه تقريباً باللغة العربية، وإعطاء صورة عامة عن الذي يجري من أمور للمسلمين في مقدونيا.

ولله الحمد أوّلاً وآخراً.

الباب الأول

1. معطيات عامة عن مقدونيا

1.1 الموقع: تقع مقدونيا في وسط البلقان يحدها من الشمال صربيا و من الشرق بلغاريا و من الجنوب اليونان و من الغرب ألبانيا، و بذلك تكون مقدونيا دولة مغلقة لا منفذ لها على البحر. (أنظر الخريطة في الأسفل)

1.2 الاسم: "مقدونيا" اسم قديم يجد رمزه في شخص القائد "الاسكندر المقدوني" (356 – 323 ق. م.) الذي كان من مقدونيا كما معلمه أرسطو (384 –

322ق.م.) الذي لم يكن يونانياً كما هو شائع بل مقدونيّاً بدليل أنه كان محروماً من حق الانتخاب ومن حق التملك في أثينا.(1) تشكل "الجمهورية المقدونية" الحالية مع منطقتين يسكنهما مقدونيون احداهما في جنوب غربي بلغاريا والثانية في شمال اليونان وحدة جغرافية متصلة قُسمت بين بلغاريا وصربيا واليونان عقب الحرب البلقانية الثانية عام 1913م التي اندلعت بين هذه الدول من جهة و الامبراطورية العثمانية من جهة أخرى.

1.3 المساحة و عدد السكان: تبلغ مساحة مقدونيا 25713كلم^2 و بلغ عدد سكانها عام 2002م حوالي 2,022,547 نسمة أي بنسبة 78,6 شخص بالكيلو المتر المربع.(2)

1.4 العاصمة و أهم المدن: العاصمة هي *سكوبيا Skopjie*، وباللغة الألبانية "شكوب" Shkup، وكانت عاصمة ولاية كوسوفا في العقود الأخيرة للحكم العثماني، و تعد حالياً نحو 515,419 نسمة.(3) تقع مدينة سكوبيا (أو شكوب) على نهر فاردار (Vardar) الذي يخترق مقدونيا قبل أن يصل إلى خليج سالونيك في اليونان، ويشكل طريق ملاحة نهرية على غاية من الأهمية يصل بين أوروبا الشرقية

---

[1]- خوند، مسعود، **الموسوعة التاريخية الجغرافية**، جونية: دار رواد النهضة، 1994م، مج 19، ص 193.

[2]- **Central and Southeastern Europe, 2006,** 6th ed, London: Europa Publications, 2005, p. 440.

[3]- المصدر السابق، ص 440.

وبحر إيجه. و سكوبيا مدينة صناعية مهمة ومركز ثقافي و مطارها دولي، بها مركز الإفتاء المقدوني و عدد كبير من المساجد.

أهم المدن:

- *أوهريد Ohrid*، وبالألبانية *أوهر Oher*: مدينة واقعة على الحدود مع ألبانيا، عدد سكانها حوالي55,749 نسمة[1] بها مكتب للمفتي. تشتهر أهوريد ببحيرتها القائمة وسط أخدود تحيط به مرتفعات شامخة، والتي تبلغ مساحتها 336كلم، منها 246كلم داخل الحدود المقدونية والبقية في أراضي ألبانيا. اكتشف في أوهريد أقنعة ذهبية لزعماء إيليريين (أجداد الألبان) ظهروا كأول قوة في البلقان منذ ثلاثة آلاف سنة. فيها مسرح إغريقي يضم خمسة آلاف مقعد، وتمر فيها الطريق التي شقها الرومان عام 148ق. م. وجعلها الملك صامويل (975 – 1018م) عاصمة للدولة المقدونية. ومدينة أوهريد مركز سياحي هام و بها مطار دولي.

- *تتوفو Tetovo*، وبالألبانية تيتوفا *Tetova*: تقع في شمال غربي البلاد قرب الحدود مع كوسوفا، عدد سكانها حوالي 86,580 نسمة[2] غالبيتهم من الألبان

---

[1] - المصدر السابق، ص 440 .
[2] - المصدر السابق، ص: 440 .

المسلمين و بها مكتب للمفتي. اشتهرت كعاصمة لهم بعد تيرانا في ألبانيا وبرشتينا في كوسوفا، أسست فيها جامعة ألبانية سنة 1995م على رغم عدم اعتراف الحكومة المقدونية بها، ومع تأسيس الجامعة الألبانية (أو جامعة تيتوفا) تحولت هذه المدينة إلى مركز استقطاب أكاديمي وثقافي بعد أن تجاوز عدد طلابها العشرة آلاف. وجدير بالذكر أن اسم هذه المدينة لا علاقة به بالزعيم اليوغوسلافي السابق "جوزف بروزو تيتو" كما ذكر أحد المصادر[1]، فإن هذا الاسم قديم للمدينة قبل ولادة تيتو بمئات السنين، كما أن المدينة اسمها Tetovo واسم الزعيم Tito بحرف (i) وليس (e)، ولو كان نسبة إلى الزعيم لسميت تيتوغراد مثل لييننغراد وستالينغراد كما هو معروف باللغة السلافية.

– *كومانوفو Koumanovo* تقع في شمال البلاد و يبلغ عدد سكانها نحو 105,484 نسمة[2]، بها مكتب للمفتي.

– *بيتولا Bitola* تقع في جنوب غربي البلاد قرب الحدود اليونانية و يبلغ عدد سكانها نحو 95,385 نسمة[3]، و بها مكتب للمفتي.

1- الخوند، مج 19، ص 215.

2- **Central and Southeastern Europe, 2006**, p. 440.

3- المصدر السابق، ص 440 .

– *برليب* *Prelip* تقع في وسط البلاد و يبلغ عدد سكانها نحو 76,768 نسمة[1]، بها مكتب للمفتي.

– *فلس* *Veles* تقع في وسط البلاد على نهر (فاردار) و يبلغ عدد سكانها نحو 54,676 نسمة[2].

– *غوستيفار* *Gostivar* تقع في شمال غربي البلاد و يبلغ عدد سكانها نحو 81,042 نسمة[3]، بها مكتب للمفتي.

– *شتيب* *Štip* تقع في شرقي البلاد و يبلغ عدد سكانها نحو 48,098 نسمة[4]، بها مكتب للمفتي.

و من المدن المهمة أيضاً: *كيتشفو* *Kičevo* و *ستروغا* *Strouga* و *دبار* *Debar* و كلها يقطنها مسلمون و بها مكاتب للمفتي.

---

1 - المصدر السابق، ص 440 .
2 - المصدر السابق، ص 440 .
3 - المصدر السابق، ص 440 .
4 - **Central and Southeastern Europe, 2005,** 5th ed, London: Europa Publications, 2004, p. 435.

1.5 اللغة و الأديان و الأعراق: اللغة الرسمية هي المقدونية، وهي لهجة خاصة من لهجات أسرة اللغات السلافية الجنوبية وقواعدها النحوية لم توضع إلا في منتصف القرن العشرين، كما أن الأبجدية التي تكتب بها هي الأبجدية السيريلية التي تكتب بها معظم اللغات السلافية. أما اللغة الثانية في البلاد فهي الألبانية وتكتب بالأحرف اللاتينية وقد جُعلت لغة رسمية في الآونة الأخيرة بعد الصدامات المسلحة التي جرت بين عامي 2001 – 2002م بين الألبان والقوات المقدونية في شمال غربي البلاد.

تمثل مقدونيا على ضآلة عدد سكانها صورة مصغرة لكل منطقة البلقان لكثرة أعراقها، إذ تضم إضافة إلى القومية المقدونية الغالبة والألبانية أقليات أخرى رئيسية، منها: الصرب، الأتراك، البلغار، الغجر (روما)، البوشناق (اي البوسنيين)، الكروات، أهل الجبل الأسود، المصريون (أي مجموعة سكانية يعتقد أنها أتت من مصر قبل مئات السنين)، الفلاش Vlach (و هم أقرب إلى الإيطاليين)، الطوربيشي (وهم جماعة من العرق المقدوني السلافي اعتنقت الإسلام خلال الحكم العثماني).[1] أما بخصوص توزيع هذه الأعراق وأديانها، فهي غير دقيقة وتختلف بين مصدر وآخر، لكن من المُسَلّم به أنه جرى إحصاء للسكان في مقدونيا بين أواخر شهر

[1]- الخوند، مج 19، ص 193.

حزيران وأوائل شهر تموز من عام 1994[1] عُرف من خلاله أن عدد سكان مقدونيا هو 1,936,877 نسمة، يشكل المقدونيون (السلاف) منهم 66,5% أي 1,288,330 نسمة و الألبان 22,9% (أي 442,914 نسمة)[2] و الأتراك 4% (أي 77,252 نسمة) و الغجر (روما) 2,3% (أي 43,732 نسمة) و الصرب 2% (أي 39,620 نسمة) و المسلمون المقدونيون أو الطوربيشي 0,8% (أي 15,315 نسمة) و الفلاش 0,4% (أي 8,457 نسمة) و 1,2% (أي 22,607) من قوميات مختلفة[3].

لكننا رجعنا إلى مصدر غربي حديث جداً[4] (ربما يكون منحاز للحكومة المقدونية) يسرد عدد سكان القوميات و الأعراق في مقدونيا لعام 2002 حسب الجدول التالي:

المقدونيون (السلاف): 1,297,981

الألبان: 509,083

الأتراك: 77,959

1- Census 1994, **Data on the Present and the Future: First Results**, Skopje: Republic Statistic Office, 1994.

2 - لم يدخل في هذا الإحصاء نحو 150,000 شخص معظمهم ألبان و ذلك لعدم حيازتهم على المتطلبات اللازمة للحصول على الجنسية المقدونية و التي تشترط على كل من يود أخذها أن يقدم دليلاً على ولادته أو ولادة والديه في مقدونيا أو عاش فيها لمدة 15 عاماً متتالية. (أنظر:
Gaber, Natasha, "The Muslim Population in FYROM (Macedonia): Public Perceptions", In Hugh Poulton & Suha Taji-Farouqi (Eds), **Muslim Identity and the Balkan State**, London: Hurst & Company (In association with the Islamic Council),1997, p. 104.

3- Ortakovski, Vladimir, **Minorities in the Balkans**, Ardsley, New York: Transnational Publishers, 2000, p. 273.

4- هو: **Central and Southeastern Europe, 2005,** 5th ed, London: Europa Publications, 2004, p. 435.

الغجر (روما): 53,879

الصرب: 35,939

المسلمون المقدونيون (الطوربيشي): 17,018

الفلاش: 9,695

المجموع: 2,022,547

كذلك لا يوجد إحصاء دقيق عن نسبة توزيع الأديان في مقدونيا، وهذه النسبة تختلف أيضاً من مصدر إلى آخر، لكن هناك مصدر غربي(1) يحدد نسب الأديان في مقدونيا لعام 2000م كالآتي:

مسيحيون: 63,7% (59,3% منهم أورثوذكس، و 3,5% كاثوليك)

مسلمون: 28,3%

لا دينيون و ملحدون و أتباع ديانات أخرى(2): 8%

إلا أن رؤساء الطوائف الإسلامية في مقدونيا الأرقام التالية عن جالياتهم(1):

1- هو: Melton, J. G. & Baumann, M. (eds), **Religions of the World: A Comprehensive Encyclopedia of Beliefs and Practices**, Santa Barbara: ABC Clio, 2002, vol.3, p. 809.

2- بلغ عدد اليهود في مقدونيا عام 2002 حوالي 200 شخص، و ليس لهم تأثير سياسي في الحكومة و الأحزاب و البرلمان و أغلب حضورهم هو في مجالات الطب و التعليم الجامعي و خصوصاً في الإقتصاد. (الخوند، مج 20، ص 529).

الألبان: 40% (حسب دراسة لعام 1992)،

الأتراك: بين 170,000 و 200,000 (حسب دراسة لعام 1996)،

البوشناق (أي البوسنيون): بين 60,000 و 80,000 (حسب دراسة لعام 1999)، الغجر (أو "روما"): 200,000 (حسب دراسة لعام 1997).

ومن المعروف أن أكثر المسلمين في مقدونيا هم من الألبان، كما أن أكثر الألبان في مقدونيا هم مسلمون وقلة قليلة منهم أرثوذكس ويقطنون في بعض القرى حول بحيرة أوهر المجاورة للدولة اليونانية الأرثوذكسية وفي مدينة شتروغا، والبعض الآخر منهم كاثوليك ويقطنون في بيناش من ضواحي سكوبيا(2)، والأم تيريزا منهم.

ومن جهةٍ أخرى هناك مصدر أسلامي(3) يذكر أن المقدونيين [السلاف] لا يمثلون سوى 30% من تعداد السكان والمسلمين يمثلون 40% من السكان والباقي خليط من الصرب والبلغار وغيرهم.

1.6 التاريخ الحديث لمقدونيا: جمهورية مقدونيا هي إحدى الجمهوريات اليوغسلافية السابقة و التي استقلت عن الحكومة المركزية في بلغراد عام 1991م. وقد حصلت

1- Kionova, Maria, **Minorities in Southeast Europe: Muslims of Macedonia,**. 2005, www.greekhelsinki.gr

2- Gaber, p. 103.

3- المهدي، علي، "المسلمون في مقدونيا: مأساة كبيرة"، **الإسلام اليوم**، 2003/2/9، http://www.islamtoday.net/articles/show_articles_content.cfm?id=37&catid=105&artid=1805 20.9.2005.

مقدونيا على عضوية الأمم المتحدة في نيسان عام 1993م تحت اسم "جمهورية مقدونيا اليوغسلافية السابقة" وقد أعطيت هذا الاسم وقبلت به مؤقتاً، بسبب معارضة جارتها الجنوبية اليونان التي تتذرع بوجود منطقة في شمالها المحاذي لمقدونيا تحمل الاسم نفسه وبخشيتها من أن تطالب بها يوماً الدولة الوليدة مقدونيا.

1.7 نظام الحكم: جمهوري. الدستور المعمول به صادر في 21 تشرين الثاني عام 1991م. رئيس الجمهورية ينتخب بالاقتراع الشامل لولاية من خمسة أعوام. البرلمان من مجلس واحد مجلس النواب، وعدد أعضائه 120 نائباً منتخباً لولاية من أربعة أعوام(1).

1.8 الإقتصاد: تعتبر مقدونيا كدولة أوروبية شديدة التخلف وكانت قبل الإستقلال أفقر جمهوريات يوغسلافيا السابقة، فلا معادن و لا صناعة و لا سياحة وزراعة ذات أهمية كما أنها دولة مقفلة أي ليس لها منفذ على البحر.

عانت مقدونيا خلال أيامها الأولى للاستقلال من نكسات اقتصادية تمثلت في توقف ضخ المال من العاصمة الاتحادية بلغراد إلى الجمهورية وفي فرض عقوبات اقتصادية دولية على يوغسلافيا التي كانت تمثل أحد أكبر الأسواق التجارية

1- الخوند، مج 19، ص 193.

للمنتوجات المقدونية، يضاف إلى ذلك كله أثر الحظر الاقتصادي اليوناني على مقدونيا جراء نزاع البلدين على اسم و علم مقدونيا. إلا أنه في عام 2000 ارتفع الناتج المحلي الداخلي لكن حوادث عام 2001 التي جرب في شمال غرب البلاد بين الألبان والقوات المقدونية أجهضت كل محاولات الإصلاح الإقتصادي فانكمش الإقتصاد بحوالي 4.5% و وصل النمو الإقتصادي في العام التالي إلى 0.9% و إلى 3.4% عام 2004 و إلى 1.3% عام 2004، وتشكل الآن البطالة حوالي ثلث القوى العاملة في البلاد. أما العملة الرسمية فهي "الدينار المقدوني".(1)

أهم المزروعات: القمح – الكرمة – الأرز – التبغ – القطن – الخضار، أما أهم الصناعات فهي: تحويل المعادن – المنسوجات – الصناعات الخشبية – التبع – الأطعمة المصنعة بالإضافة إلى تربية الدواجن.

1- **The World Factbook**, "Macedonia", http://www.cia.gov/cia/publications/factbook/geos/mk.html, 20.10.2005.

2. الباب الثاني

ماضي الإسلام و المسلمين في مقدونيا

2.1 الفتح و الفترة العثمانية

بدأ الفتح العثماني للبلقان في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي، ففي سنة 1361م استولى العثمانيون على مدينة "أدرنه"(1) وهي أقرب مدينة تركية إلى بلاد البلقان بل هي بوابتها فأصبح الخطر على أوروبا وشيك القدوم. و لمواجهة هذا الوضع اجتمع

[1]- و كانت تعرف آنذاك بإسم "أدريانوبل Adrianople" و تقع على بعد 220 كلم غرب استانبول و هي الآن على الحدود الغربية لتركيا مع بلغاريا و اليونان.

ملوك اوروبا وأمراء البلقان على محاربة العثمانيين وخروجهم منه. فأخذ ملك الصرب " لازار" (Lazar) يحرض دول أوروبا على محاربة الأتراك وتجرأ هو ومن معه على التصدي لهم بأنفسهم، فتوجهوا إلى جهة " أدرنه" ولكن انقلبوا خاسرين ووَلُّوا الأدبار سنة 1388م. في السنة التالية تم تحالف آخر كبير ضد العثمانيين، إذ التقى العثمانيون في 15 حزيران سنة 1389م بالقوات الصربية تساندها جيوش إضافية من البوشناق (البوسنيين) والمجر والبلغار والألبانيين- الأرناؤوط في ميدان "الطيور السوداء" أو (Kosova قوصوه أو كوسوفو) حيث تنبع الأنهار الثلاثة[1]: "إيبر" (Ibri) و "فاردار"(Vardar) و " درينه(Drini). كان يقود العثمانيين هذه المرة السلطان (مراد) نفسه و كانت المعركة عنيفة تنازع فيها الفريقان راية النصر و أبدى النصارى فيها مقاومة شرسة وخسر العثمانيون خسائر فادحة وقتل السلطان (مراد)[2]،بيد أن العثمانيين ما لبثوا أن أسروا ملك الصرب "لازار" (Lazar) وقطعوا رأسه ورؤوس رفاقه عند أسرهم، وِفقًا لأمر السلطان المحتضر، على ما يزعم.[3]

بعد هذا الانتصار أخذ الإسلام طريق الانتشار في منطقة البلقان فدخل كثير من سكانها و خصوصاً الشعب الألباني في دين الله أفواجًا، قرية بعد قرية وقبيلة بعد قبيلة بما فيها المناطق التي تشكل اليوم جمهورية مقدونيا التي تأثرت بالحضارة

1- هذه الأنهار الثلاثة جارية حتى يومنا هذا ويفتخر بها كوسوفا وهي مما أنعم الله عليها.

2- بني له مزار في المكان الذي استشهد فيه حيث يزوره الناس، وهو من الآثار التاريخية المشهورة في كوسوفا.

3- بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، بيروت: دار العلم للملايين، 1997م، ص 418.

العثمانيـة الإسـلامية و أضـحت هـدفاً لهجـرة الأتـراك إليهـا فاسـتقر عـدد كبيـر مـن المسلمين فـي مدينـة سكوبيا و انتشـرت الطـرق الصـوفية فـي المنـاطق الريفيـة. كذلك شهدت الفترة الممتدة بين القرنين 15 و 16 الميلاديين إنشاء أهم مساجد مقدونيا ففي سكوبيا تم تشييد كل من مسجد عيسى بك و مسجد مصطفى باشا و مسجد السلطان مراد أمـا فـي مدينـة تتوفو فبنـي عـام 1495 المسـجد المـزركش (الادجـا Aladzha) الذي يعتبر آية في فن العمارة العثمانية.

ومن ناحية أخرى تغيرت الصورة الديموغرافية في البلقان كله بعد الدخول العثماني إلى تلك البلاد، فادعت الشعوب السلافية بأن الشعب الألباني المسلم احتل عدداً كبيراً من الأراضي السلافية في البلقان لما كان له من سلطة وقوة في الدولة العثمانية، فنزل في مناطق الشعوب السلافية التي اضطرت أن تهاجر من صربيا وشمال مقدونيا إلى أراضي النمسا اثر الحرب العثمانية – النمساوية التي دارت بين عامي 1689 – 1690م. و حقيقة الأمر هي أنه بعد أن خسرت الدولة العثمانية أراضي كثيرة في شمال شرقي البلقان في نهاية القرن السابع عشر اضطر كثير من المسلمين أن يتركوا شمال البلاد متجهين إلى الجنوب حيث مقدونيا وكوسوفا. إلا أن الهجرة الألبانية الجماعية إلى مقدونيا لم تبدأ إلا بعد النصف الثاني من القرن الثامن عشر، ففي نهاية ذلك القرن توطنت نحو 1500 عائلة ألبانية في 30 قرية

مقدونية، و أتت موجة أخرى من 50000 مهاجر ألباني إلى غرب مقدونيا في منتصف القرن التاسع عشر[1].وبعد أن حصلت صربيا على الحكم الذاتي سنة 1830م ترك الأتراك والمسلمون الآخرون صربيا ووصلوا إلى كوسوفا ومقدونيا حيث الإسلام كان سائداً والدولة العثمانية كانت ما زالت تحكم تلك البلاد[2] .

كما أن روسيا القيصرية قامت بعد حرب القرم سنة 1853 – 1856م بترحيل كثير من المسلمين التتار والشركس من القوقاز وشبه جزيرة القرم الذين وصلوا إلى الأراضي العثمانية (إلى بلغاريا الحالية بالأحرى) وكثير من الشراكسة تركوا جنوب غربي بلغاريا وانتشروا في مناطق مختلفة من الأراضي المقدونية. ولا يوجد معلومات تاريخية ما إذا كان التتار أيضاً انتشروا في مقدونيا[3].

تغيرت الصورة الديموغرافية في مقدونيا أيضاً بهجرة المسلمين السلاف من البوسنة والهرسك إليها. فبعد معاهدة برلين سنة 1878م كان للنمسا – هنغاريا حق فرض حكمها المؤقت على البوسنة والهرسك، والمسلمون البوسنيون الذين كانوا يتمتعون بمركز مميز في الدولة العثمانية لم يكونوا مرتاحين لحكم النمسا–هنغاريا المتوقع على البلاد. لذلك هاجر نحو 50000 منهم من هناك إلى الجنوب الشرقي باتجاه

1- Kionova, Maria, **Minorities in Southeast Europe: Muslims of Macedonia,** www.greekhelsinki.gr. 2005

2- المصدر السابق.

3- المصدر السابق.

قلب الأراضي العثمانية عن طريق مقدونيا، واستقر بعضهم في مقدونيا بشكل نهائي ودائم[1].

وبعد معاهدة برلين عام 1878م التي تركت مقدونيا تحت الحكم العثماني وأثناء الحرب الروسية العثمانية التي اندلعت في تلك الفترة لجأ كثير من المسلمين من بلغاريا وصربيا (اللتين حصلتا على الاستقلال بموجب هذه المعاهدة) إلى الجنوب واستقروا في السنجق[2] وكوسوفا وفي مقدونيا. وبعد حربي البلقان الأولى (1912)[3] و الثانية (1913م)[4] خرجت مقدونيا رسمياً من النفوذ العثماني و قُسِّمت بين بلغاريا و صربيا و اليونان، فترك كثير من المسلمين مقدونيا مهاجرين إلى الأناضول[5]. و منذ ذلك الوقت وقعت ما يعرف اليوم بجمهورية مقدونيا تحت النفوذ الصربي.

كان المسلمون أثناء الحكم العثماني الإسلامي يتمتعون بوضع اقتصادي مميز عن المسيحيين الأرثوذكس أو اليهود أو الأرمن، فهم طبعاً لم يكونوا يدفعون الجزية مثل غير المسلمين، كما كان لهم حق الانضمام إلى الجيش و تولي أعلى المناصب في إدارة الدولة. وكان للمسلمين مكاسب اقتصادية من التقسيم الاجتماعي والديني

1- المصدر السابق.
2- منطقة بين صربيا والجبل الأسود معظم سكانها من المسلمين.
3- وقعت هذه الحرب بين صربيا و اليونان و رومانيا و الجبل الأسود و بلغاريا من جهة و الدولة العثمانية من جهةٍ أخرى.
4- وقعت هذه الحرب بين صربيا و اليونان و رومانيا و الجبل الأسود و الدولة العثمانية من جهة و بلغاريا من جهةٍ أخرى.
5- Kionova, Maria, **Minorities in Southeast Europe: Muslims of Macedonia,** www.greekhelsinki.gr. 2005

للمواطنين. و كان سكان الدولة العثمانية مقسَّمين اجتماعياً إلى قسمين: القسم الأول هم الذين عُرفوا باسم "عسكري" و كانوا من سكان المدن المسلمين سواء كان إسلامهم بالولادة أو بالاعتناق، وكانوا من الجيش والطبقة الإدارية التي تشمل الموظفين الحكوميين والمندوبين من السلطان، وهؤلاء لم يكونوا يدفعون الضرائب، أما القسم الثاني فعرفوا باسم "الرعايا" وهم من عامة الشعب مسلمين و مسيحيين، وكانوا تجاراً وحرفيين وفلاحين، و عليهم أن يدفعوا الضرائب إذا كان لهم نشاط إنتاجي[1]، ومن الناحية العرقية كانت المجموعات الإسلامية غير التركية تكسب قوتها من التجارة والزراعة بينما كان الأتراك العثمانيون يحتلون أكثر الوظائف الإدارية في المدن[2]. ومن جهةٍ أخرى استقر كثير من الألبان في تلك الفترة في مزارع كبيرة شكلوا طبقة من ملاكي الأراضي، كما أن بعضهم كانوا يحملون لقب "البيك" ويحكمون قرويين سلاف في أكثر المناطق خصباً في الأراضي المقدونية الحالية[3]. وحسب المؤرخ المقدوني المسلم "نيازي ليمانوسكي"[4] فان بعض المسيحيين الذين أسلموا خلال الفترة العثمانية ظلوا ثنائي المعتقد (أي مسلمين و مسيحيين) لمدة طويلة، فأمام الملأ كانوا يشهرون إسلامهم بينما استعملوا أسماءهم المسيحية مع عائلاتهم وحتى قام البعض بتعميد أولادهم، وفي حالات أخرى كان رب العائلة فقط

1- Inalcik, Halil (ed.) with Donald Quataert , **An Economic and Social History of the Ottoman Empire 1300-1914,** Cambridge: Cambridge University Press, 1994, p. 16.

2- Eminov, Ali, **Turkish and other Muslim Minorities in Bulgaria**, London: Hurst & Company, 1997, pp. 27-28.

3- Kionova, Maria, **Minorities in Southeast Europe: Muslims of Macedonia,** www.greekhelsinki.gr. 2005

4- ذكر ذلك في **الندوة المقدونية الإسلامية الأولى** التي عُقدت في مدينة كيشوفو بمقدونيا من 3-4 تشرين الأول عام 1981.

يتحول إلى الإسلام ليجنبها دفع الضرائب بينما يظل باقي أفرادها على العقيدة المسيحية.

2.2 فترة الحكم الصربي

خضعت مقدونيا الحالية للحكم الصربي منذ عام 1913. و خلال الحرب العالمية الأولى احتلت بلغاريا القسم الصربي من مقدونيا، وفي معاهدة نويي Neuilly [1] التي وقعت عام 1919 أعادت بلغاريا لصربيا ما كانت قد احتلته من أراضي خلال الحرب و من ضمنها مقدونيا التي أصبحت جزءاً من مملكة يوغسلافيا.

خضع المسلمون في المملكة اليوغسلافية في البداية إلى ثلاث تقسيمات مناطقية، فكان مسلمي البوسنة و كرواتيا و سلوفينيا تحت سلطة رئيس العلماء في سرايفو عاصمة البوسنة، وتولى رئيس العلماء في بلغراد مسؤولية مسلمي صربيا و مقدونيا بينما تبوأ مفتي مدينة "ستاري بار Stari Bar" الزعامة الروحية لمسلمي منطقة الجبل الأسود. وفي عام 1930 صدر قرار بتوحيد شؤون و مصالح المسلمين في هيئة عُرفت بإسم "المجلس الأعلى للطائفة الإسلامية" ومقره في بلغراد وذلك تنفيذاً لبرنامج الملك اسكندر الهادف إلى تطبيق المركزية في البلاد. ومع ذلك احتفظ المسلمون بقيادتين إقليميتين واحدة في ساريفو وأخرى في سكوبيا. وفي عام 1936

[1]- هذه المعاهدة هي إحدى معاهدات التي وقعت عقب نهاية الحرب العالمية الأولى.

اندمجت عدة مؤسسات في منظمة واحدة مركزها سراييفو كما الغي منصب المفتي المُمَوّل.(1)

وبالرغم من عدم وجود دين رسمي للملكة اليوغسلافية لم يمارس فيها فصل بين الدين والدولة فكانت السلطات و المؤسسات الدينية بما فيها الإسلامية تقوم مقام الدولة في مجال تدوين معاملات رعاياها في قضايا الوفاة والأحوال الشخصية.(2) و مع ذلك كانت الحرية الدينية محدودة لأن دستور عام 1931 حظر كل محاولات التبشير الديني في البلاد.(3)

وخلال الحرب العالمية الثانية أعادت بلغاريا الكرة و احتلت أكثر من 50% من أراضي مقدونيا الحالية التي كانت آنذاك جزءاً من المملكة اليوغسلافية، وبعد التحرير وانتهاء الحرب أصبح القسم الصربي من مقدونيا إحدى جمهوريات الإتحاد اليوغسلافي الاشتراكي وعُرفت باسم "جمهورية مقدونيا الشعبية".

1- Friedman, Francine, **The Bosnian Muslims: Denial of a Nation**, Boulder, Colorado: Westview Press, 1996, p.107.

2- Alexander, Stella, **Church and State in Yugoslavia since 1945**, Cambridge: Cambridge University Press, 1979, p.209.

3- Kionova, Maria, **Minorities in Southeast Europe: Muslims of Macedonia,** www.greekhelsinki.gr 2005,

2.3 الفترة الشيوعية

مع بداية الحكم الشيوعي في يوغسلافيا بعد الحرب العالمية الثانية أطلقت عقيدة "الانتماء إلى الدولة اليوغسلافية" المبنية على مبدأ الأخوة و الوحدة و أدخلت في جميع دساتير الفدرالية اليوغسلافية.(1) كما قسم سكان البلاد إلى ثلاث طبقات، الطبقة الأولى و تشمل الشعوب التي كان لديها جمهوريات ضمن الإتحاد اليوغسلافي ومن بينهم المقدونيين السلاف و البوسنيين السلاف المسلمين، و بعدها تأتي الطبقة الثانية وتشمل القوميات التي لديها دول قربى خارج حدود يوغسلافيا مثل الألبان و الأتراك (و غالبيتهم من المسلمين)، أما الطبقة الثالثة فتشمل المجموعات العرقية مثل الغجر (روما) التي ليس لديها دول قربى.

قُسِّم المسلمون في يوغسلافيا خلال تلك الفترة ضمن أربع مناطق إدارية هي: منطقة سرايفو، منطقة مدينة برشتنا (عاصمة كوسوفو)، منطقة سكوبيا وأخيراً منطقة تيتوغراد(2) في الجبل الأسود. وهكذا كان المسلمون في مقدونيا (و معظمهم ألبان) جزءاً من الطائفة الإسلامية اليوغسلافية التي يتزعمها رئيس العلماء في سراييفو.(3)

1- Lampe, John R., **Yugoslavia as History: Twice there was a country,** Cambridge: Cambridge University Press, 2005, p. 232.

2- تدعى اليوم "بودغوريتسا Podgorica"و هي عاصمة الجبل الأسود.

3- Ramet, Sabrina P., **Balkan Babel,** 4th ed., Boulder, Colorado: Cambridge Westview Press, 2002, p. 119.

ومنذ تأسيس النظام الشيوعي في يوغسلافيا عام 1945 طُبِّق الشعار الشيوعي القائل:"الدين هو أفيون الشعوب". لكن بعد انشقاق رئيس وزراء البلاد آنذاك "تيتو" عن الزعيم السوفياتي "ستالين" عام 1948 تغير الوضع في يوغسلافيا و أطلقت بعض الحريات الدينية، وكان هدف السلطات من هذه الخطوة هو الترويج للهوية الدينية على حساب الهويات الإثنية لأن الأخيرة كانت تشكل بنظرها عائقاً في نمو مجتمعٍ متعدد الأعراق كمجتمع يوغسلافيا. ورغم ذلك، لم يستفد المسلمون في مقدونيا من هذا الإجراء الذي كان من نتيجته استعمال الأرثوذكسية لبروز هوية وطنية مقدونيّة موالية ليوغسلافيا.

بين السنوات 1952 – 1966 ترك كثير من المسلمين يوغسلافيا إلى تركيا، وكان عددهم حسب المصادر اليوغسلافية حوالي 80000 شخص وحسب المصادر التركية حوالي 150000 شخص. على كل فإن كثيراً منهم لم يكونوا أتراك، بل مسلمون ألبان وسلاف ادّعوا أنهم أتراك ليتركوا البلاد(1). ومن جهةٍ أخرى انخفض عدد الأتراك في يوغسلافيا حسب الإحصاءات الرسمية اليوغسلافية من 108,552 عام 1971 إلى 86,690 عام 1981 و قد بدا هذا الانخفاض مستغرباً لأن نسبة المواليد عند الأتراك مرتفعة و كان من المفروض أن تصل في تلك الفترة إلى

1- Poulton, Hugh, **Who are the Macedonians,** 2nd ed., London: Hurst & Company, 1995, p. 138.

20,000 فتبين بعد ذلك أن الكثير ممن ادعوا أنهم أتراك في السابق أصبحوا فيما بعد يعتبرون أنفسهم "مسلمين" أو "ألبان".[1] و يؤكد بعض الباحثين أن الألبان لم يظهروا أنفسهم كأتراك بإرادتهم، بل أجبروا على ذلك من قِبل وزير الداخلية اليوغسلافي آنذاك "اسكندر رانكوفيتش" الذي كان يهتم بترحيل أكبر عدد ممكن من الألبان إلى أي دولة أخرى ما عدا ألبانيا، إلا أن الكثير منهم استقر في مقدونيا أثناء ترحيله من كوسوفا إلى تركيا[2].

تغير الوضع الاقتصادي في مقدونيا كلياً أثناء الحكم الشيوعي في يوغسلافيا و ذلك من جراء ثلاث تحولات اقتصادية أكثر من تأثر بها هو الأقلية المسلمة[3]:

أولاً: تنفيذاً لقانون تأميم الأراضي الصادر بين 1946 – 1958 تم مصادرة كثير من الأراضي والأملاك العقارية و قد أثرت هذه السياسة كثيراً على عدد كبير من الأتراك الذين كانوا في أوضاع اقتصادية مرضية خلال الحكم العثماني من ناحية امتلاك العقارات. وهكذا كان تأميم الأراضي أحد الأسباب الرئيسية وراء هجرة الكثير من الأتراك والمسلمين الآخرين من مقدونيا إلى تركيا بين عامي 1950 و 1960.

1- المصدر السابق، ص 138.

2- Kionova, Maria, **Minorities in Southeast Europe: Muslims of Macedonia,** www.greekhelsinki.gr 2005,

3- Alexander, , p.210-219.

ثانياً: فإن عملية التمدن (أي اتساع المدن) قد وصلت أقصاها سنة 1950م في مقدونيا، لذلك فإن كثيراً من المسلمين في الريف تركوا قراهم وانتقلوا إلى المدن بحثاً عن ظروف معيشية أفضل.

ثالثاً: فإن كثيراً من الرجال المسلمين الأتراك والألبان والغجر كانت لهم فرصة السفر والعمل في ألمانيا الغربية (كما كان لغيرهم من المواطنين اليوغسلاف) وبلاد أخرى من أوروبا الغربية ، فاكتسب كثير منهم أموالاً طائلة حيث كانوا يتقاضون رواتب مرتفعة جيداً قياساً على للمعايير اليوغسلافية. على كل تجدر الإشارة إلى أن عادة الغربة (أي السفر للعمل) كانت موجودة في مقدونيا قبل العهد الشيوعي للبلاد.

3. الباب الثالث

حاضر الإسلام و المسلمين في مقدونيا

3.1 الوضع الديموغرافي و الإقتصادي

تتركز الأقلية المسلمة في مقدونيا حول العاصمة سكوبيا وفي مدينتي غوستيفار و تتوفو اللتين تقعا على الحدود مع ألبانيا مع ناحية الغرب وتحدهما كوسوفو من الشمال،[(1)] و لا يوجد حتى الآن إحصاء دقيق يحدد نسبة المسلمين في مقدونيا،[(2)] إلا أن نسبة تمثيلهم في مؤسسات الدولة لا تتعدى 5% ويمارس أغلبهم التجارة.

---

[1]- راجع الباب الخامس لمزيد من المعلومات عن تواجد المسلمين في مقدونيا.
[2]- راجع الفقرة **1.5** من الباب الأول للاطلاع على الإحصاءات الرسمية و غير الرسمية التي نشرت عن عدد المسلمين في مقدونيا.

وتعاني المناطق الإسلامية المقدونية من ضعف الخدمات التعليمية والصحية وانتشار البطالة بين قطاع عريض من الشباب المسلم في المنطقة وتكون في بعض الأحيان معاملة الشرطة المقدونية غير إنسانية للأقلية المسلمة خاصة في غوسيفار و تتوفو ومع ذلك لست هذه هي أهم مشكلات المسلمين المقدونيين إذ تمثل مشكلة الهوية الإسلامية و كيفية المحافظة عليها الهم الأكبر بالنسبة لهذه الأقلية في أكثر مناطق العالم إلتهابا. (1)

3.2 الوضع السياسي:

في خضم التطورات المتسارعة التي حصلت في أوروبا الشرقية و يوغسلافيا في أواخر ثمانينات القرن الماضي أخد حزب "عصبة شيوعي مقدونيا" الحاكم على عاتقه إنشاء نظام متعدد الأحزاب في جمهورية مقدونيا الشعبية. وفي عام 1989 جرى تعديل الدستور غُيّر بموجبه شعار مقدونيا ليصبح "دولة للشعب المقدوني والأقليات الألبانية والتركية" بدلاً من "دولة قومية للشعب المقدوني".(2) وبين 11 و 25 تشرين الثاني 1990 جرت انتخابات تشريعية في مقدونيا فاز فيها الائتلاف الوطني برئاسة "المنظمة الداخلية الثورية المقدونية – الحزب الديمقراطي للوحدة الوطنية المقدونية"

1– "الأقليات المسلمة: مائة مليون .. فقر وتهميش اجتماعي وسياسي"، الجزيرة نت: المعرفة، **www.aljazeera.net**، 2004/10/3.

2- Poulton, p. 172.

بِ 37 مقعداً، كما حصل ائتلاف "عصبة شيوعي مقدونيا – حزب الإصلاح الديمقراطي" على 31 مقعداً، بينما حظي تحالف قوى الإصلاح التابع لرئيس الوزراء الفدرالي بِ 19 مقعداً. أما الطائفة الألبانية المقدونية (ذات الأغلبية المسلمة) و في إشارة مبكرة لها رأت مستقبلها السياسي بنمط مختلف فصوتت لصالح الأحزاب العرقية و التي كان أكبرها "حزب الإزدهار الديمقراطي".[1]

وفي 25 كانون الثاني 1991 أعلن البرلمان الجديد "سيادة مقدونيا و حقها في الانفصال"، وفي 8 أيلول من العام نفسه جرى استفتاء على الاستقلال فنال 95% بعد أن قاطعته المجموعات الألبانية و الصربية. وفي 17 أيلول عام 1991 أُعلن الاستقلال، و في 6 كانون الثاني عام 1992 صدر دستور جديد. و بعد أربعة أشهر صدر نقد جديد هو "الدينار المقدوني"، وكان الهدف من إصدار العملة الجديدة هو تحرير الاقتصاد المقدوني من المساهمة في تمويل الحرب في صربيا و التي أثرت سلباً على الدينار اليوغسلافي (و هو العملة الوطنية) من ناحية التضخم.[2] وفي 8 نيسان 1993 أصبحت مقدونيا عضواً في الأمم المتحدة تحت اسم "الجمهورية اليوغسلافية السابقة لمقدونيا" كاسم مؤقت بسبب احتجاج اليونان التي تعتبر مقدونيا جزءاً منها. وفي تشرين الأول من ذلك العام أعلنت اليونان

1- **Central and Southeastern Europe, 2005,** 5th ed, London: Europa Publications, 2004, p. 427.

2- Poulton, p. 179.

رفضها استعمال هذا الاسم كحل دائم، فأعلنت في 16 شباط من العام التالي أعلنت اليونان فرضها الحصار على مقدونيا حتى تغير اسمها و علمها بعد أن توالت اعترافات دول العالم بحكومة سكوبيا، ولم تتراجع اليونان عن قرارها هذا إلا بعد سنة و نصف تحت ضغط الإتحاد الأوروبي الذي أدانها من مقره في بروكسل بتاريخ 14 نيسان عام 1994 بسبب إغلاقها الحدود من جانب واحد و من دون استشارة سائر الدول الأوروبية الأعضاء في الإتحاد.

كان واضحاً من الدستور المقدوني أن "المواطنية المقدونية" غير مطابقة مع "القومية المقدونية"، ومن هنا كان مصير مقدونيا مرهوناً إلى حد كبير بتيسير مسألة الأقليات وفي مقدمتها الأقلية الألبانية الرئيسية ذات الأغلبية المسلمة، مما أدى إلى تخوف واضح لدى المقدونيين السلاف من النزعة الانفصالية للمقدونيين الألبان. لذلك عارض المقدونيون السلاف محاولات الألبان لتطوير مؤسساتهم الثقافية الخاصة بالرغم من "حق المساواة" المنصوص عليه في الدستور. وقد تجلى ذلك عام 1995 حين أقدم الألبان على إنشاء جامعة للغة الألبانية في مدينة تتوفو فبادرت الشرطة إلى إغلاقها واعتقلت اثنين من مدرائها و قدمتهما إلى القضاء مما تسبب في اندلاع موجة من مظاهرات الاحتجاج، مع العلم أن الألبان يشاركون في مؤسسات السلطات العليا إذ لهم ممثلون في البرلمان و مجلس الوزراء وفق نسبتهم السكانية التي تعترف

بها الدولة إلا أنهم يعتبرون أن ما هو ممنوح لهم رمزي و لا يتناسب مع حقهم المشروع خصوصاً وأنهم يشيرون إلى أن عددهم الحقيقي يفوق النسبة المعترف بها رسمياً و هي 30% من عدد سكان مقدونيا.[1] و بالرغم من التوتر الدائم بين ألبان مقدونيا مع مؤسسات الدولة وخاصة بعد قضية إغلاق الجامعة فقد تجنب الفريقان خلال السنوات العشر الأولى للاستقلال كل ما قد يسبب تصاعد المواجهة التي قد تكون لها نتائج بالغة الخطورة، لذلك انتهج الألبان ذو الأغلبية المسلمة سياسة التهدئة آملين أن يتم حل مشاكلهم بتغيير قوانين البلاد من خلال ضغوط المؤسسات الدولية [2] واستطاع الألبان في مقدونيا عام 1997 تأسيس حزب أطلقوا عليه اسم "الحزب الديمقراطي الألباني" بزعامة "أربن جعفري Arben Xhafari" للمطالبة بحقوقهم السياسية والمدنية التي تصر الحكومة المقدونية على حرمانهم منها رغم أنهم لا يطالبون بالانفصال عن مقدونيا.

وفي عام 1998 تصاعد العنف في كوسوفو المجاورة بين الأغلبية الألبانية والقوات الصربية، وفي العام التالي هاجم حلف شمال الأطلسي يوغسلافيا لوقف العنف الصربي ضد الألبان الذين كانوا معظمهم من المسلمين.

1- الخوند، مج 19، ص 196.
2- المصدر السابق، مج 19، ص 198.

عاشت مقدونيا هاجس انعكاسات أحداث كوسوفو عليها خصوصاً و أنها عجزت عن حل مشكلة الأقلية الألبانية لديها التي تشكل أغلبية سكان مناطقها الشمالية الحدودية مع كوسوفو. ومع أحداث كسوفو و التدخل العسكري الأطلسي هناك في أوائل 1999 أصبحت مقدونيا بمثابة القاعدة الخلفية لهذا التطور الخطير في المنطقة، إذ رأت نفسها مضطرة لاستقبال حوالي 3000 لاجئ ألباني جلهم من المسلمين، وقد أدى هذا الوضع إلى تفاقم حالة التوتر بين المقدونيين السلاف المتعاطفين مع الصرب الأرثوذكس والخائفين من كل تطور قد يؤدي إلى تقوية الألبان المقدونيين من جهة وبين هؤلاء المتضامنين مع الكوسوفيين الألبان من جهةٍ أخرى،[1] إذ ما أن شعر الألبان في كوسوفو من حرية في ظل الإدارة الدولية التي حلت مكان الحكم الصربي المباشر حتى قام ألبان مقدونيا بإنشاء "جيش التحرير الألباني الشعبي" وبداوأ حرباً في شمال البلاد وفي محيط مدينة تتوفو ابتداءاً من آذار 2001، وفي مطلع هذا الشهر أيضاً زار مسؤولون كبار في حلف شمال الأطلسي مقدونيا في مهمة "تتعلق بمتابعة ما يحدث على أرض الواقع في شمال مقدونيا والتحدث مع جميع الأطراف المعنية في مسعى لحل المشكلة بالوسائل السلمية"، وفي الأثناء أعلنت الدول المجاورة لمقدونيا عن استعدادها للتدخل لمساعدتها في صد تحرك الألبان الذين استشعروا قوة في حربهم ضد صربيا وقصف حلف الأطلسي لها، وكذلك كانت روسيا أكثر الدول الأوروبية إدانة للألبان وعملياتهم المسلحة وأيدت

---

[1]- المصدر السابق، مج 19، ص 200.

فكرة تدخل الجيش اليوغسلافي (الصربي) في حسم المسألة لمصلحة مقدونيا وصربيا.

وفي أيار من نفس العام و في أعقاب وساطة أوروبية أُعلن عن تشكيل حكومة ائتلافية موسعة أُطلق عليها اسم "حكومة الوحدة الوطنية" تكونت من 13 وزيرا من العرق المقدوني و 6 وزراء من الألبان ويرأسها مقدوني. بادرت الحكومة الجديدة إلى إعطاء المقاتلين الألبان مهملة لإلقائهم السلاح تنتهي في 17 أيار 2001 ثم عادت و جددتها لأيام تحت ضغط أوروبي، وفي أواخر أيار أطلق الجيش المقدوني حملة واسعة و استعاد قرى كان المقاتلون الألبان يسيطرون عليها في الشمال كما جرت عمليات انتقامية ضد الألبان مما أدى إلى تصاعد الاشتباكات في مناطق أخرى من البلاد مما أدى إلى كراهية عنصرية بين الألبان و السلاف المقدونيين. وفي 4 تموز من عام 2001 أعلن الرئيس المقدوني أن القادة السياسيين في مقدونيا مقدونيين وألباناً على حدٍ سواء اتفقوا على مناقشة مشروع تعديل دستوري، وهو المسألة المركزية في مطالب الأقلية الألبانية من شأنه الحفاظ على الطابع الوحدوي للدولة. وبعد ذلك بساعات أُعلن عن اتفاق دولي لوقف إطلاق النار يبدأ تنفيذه عند منتصف الليل و يليه إرسال 3 آلاف جندي أطلسي إلى منطقة التوتر حول مدينة تتوفو. وبعد يومين من المحادثات بين الطرفين اعتبر السياسيون الألبان أن المشروع الجديد الذي

يبحث فيه لا يلبي الحد الأدنى من حقوقهم فتقدموا بمطالب إضافية اعتبرتها الحكومة المقدونية عقبة تعجيزية. ومع انتهاك وقف إطلاق النار توقفت المحادثات وزادت الحكومة المقدونية من انتقاداتها للدول الأوروبية والحلف الأطلسي متهمةً إياها بمحاباة الألبان وتعطيل التسوية السلمية في البلاد. وفي صورة متزامنة مع تصاعد المواجهات العسكرية في منطقة تتوفو استأنف الطرفان في أواخر تموز عام 2001 مفاوضاتهما في ضوء الجهود التي بذلها منسق الشؤون الأمنية والخارجية للإتحاد الأوروبي "خافيير سولانا" والأمين العام لحلف شمال الأطلسي "جورج روبرتسون" في مسعى لإطلاق مسار الحل السياسي الذي كان الطرفان قد أوقفاه عند نقطتين: هما مسألة اعتبار اللغة الألبانية لغة رسمية ثانية في البلاد و صلاحيات الشرطة والأمن في المناطق الألبانية التي يريدها الألبان منفصلة عن السلطات المركزية في العاصمة سكوبيا. وفي الأسبوع الأول من أيلول عام 2001 تخطت عملية السلام اختباراً حاسماً بعدما صوّت البرلمان المقدوني لمصلحة تعديل الدستور لتعزيز حقوق الأقلية الألبانية مما سهل مهمة الحلف الأطلسي لجمع سلاح المقاتلين الألبان و تالياً وضع حد للأزمة البلقانية المشتعلة على أرض مقدونيا منذ مطلع ربيع 2001. وفي 28 أيلول من نفس العام أبلغ المسؤول السياسي لجيش التحرير الوطني لألبان مقدونيا الصحافيين المحليين و الأجانب قرار حل هذا التنظيم العسكري بناءاً على ضمانات دولية بتنفيذ اتفاق السلام الذي يوفر مزيداً من الحقوق لألبان مقدونيا. وفي

16 تشرين الثاني 2001 صادق البرلمان المقدوني على التعديلات الدستورية التي توفر مزيداً من الحقوق القومية والسياسية للأقلية الألبانية التي يؤلف المسلمون السواد الأعظم منها. وقد تركزت التعديلات الدستورية على قضيتين رئيسيتين تتعلقان بتأكيد الموقع المميز للشعب السلافي المقدوني بالإضافة إلى جعل اللغة الألبانية لغة رسمية ثانية في مجالات محدودة و في المناطق ذات الغالبية السكانية الألبانية، كما تزيد التعديلات من تمثيل الألبان في أجهزة الشرطة والأمن والمؤسسات العامة إضافة إلى شؤون إدارية واسعة في المناطق التي يشكل الألبان فيها الأكثرية. و بالرغم من المصادقة البرلمانية على هذه التعديلات فقد شهدت مدينة تتوفو في تشرين الثاني من عودة الاشتباكات وبروز تنظيم عسكري ألباني جديد تحت اسم "الجيش القومي الألباني" الذي أعلن عن إصرار المتشددين الألبان على مواصلة القتال انطلاقاً من تفسيرهم بأن ما حصل عليه الألبان في مقدونيا من حقوق لا يرقى إلى الحد الأدنى مما يطالبون به، وقد تزعم هذا التنظيم الجديد "علي أحمدي" المسؤول السياسي السابق لجيش التحرير الوطني لألبان مقدونيا.

استهلت سنة 2002 بتهديد الوسيط الأوروبي في الأزمة المقدونية بأن مقدونيا ستُحرم من الحصول على أي مساعدات اقتصادية دولية ما لم تُشرع لقرار قانون الإدارة الذاتية للبلديات بعد فشل البرلمان المقدوني في تصديق هذا القانون. وفي أيلول من

نفس العام جرت انتخابات عامة كانت النتيجة أن حقق الائتلاف اليساري المعارض تحت اسم "معاً من أجل مقدونيا" فوزاً كبيراً، وقد ضم الائتلاف اليساري الفائز أحزاباً للأعراق المقدونية والصربية والتركية والبوشناقية والغجرية بزعامة زعيم حزب "التحالف الديمقراطي الإشتراكي لمقدونيا" برانكو تسرفنكوفسكي Branko Crvenkovski، كما برز حزب "الإتحاد الديمقراطي للاندماج الوطني" بزعامة "علي أحمدي" قائد المقاتلين الألبان السابقين كقوة رئيسية للألبان واحتلوا الصدارة بين ممثلي الألبان في البرلمان الجديد. وبعد مفاوضات مطولة بين هذا الحزب من جهة و الائتلاف اليساري من جهةٍ أخرى ألف الطرفان حكومة ائتلافية برئاسة تسرفنكوفسكي. بدأ العام 2003 على استمرار أعمال العنف العرقي رغم أن الحكمة المقدونية الجديدة أسندت بناءاً على نصيحة الوسطاء الأميركيين والأوروبيين خمسة مناصب وزارية إلى المقاتلين الألبان بقيادة علي أحمدي من بين 17 وزيراً. وفي 18 كانون الثاني من نفس العام زار رئيس الحكومة تسرفنكوفسكي بلغراد والتقى الرئيس اليوغسلافي ووقع وزيرا خارجية البلدين اتفاقاً للتعاون في مكافحة الإرهاب لوضع حد للتجمعات الألبانية في كوسوفو ومقدونيا. ومن ناحية أخرى توصل الفرقاء في الحكومة الائتلافية في تموز من عام 2004 على إعادة ترسيم الحدود بين البلديات وعلى إدخال بلديتين ألبانيتين مع العاصمة سكوبيا وثلاثة أخرى مع بلدية مدينة شتروغا، كما تم في هذا الاتفاق أيضاً على اعتبار اللغة الألبانية كلغة رسمية في

المدينتين. لاقت هذه الخطة نقداً شديداً من الإعلام السلافي المقدوني وعلى الأرض حاصر متظاهرون سلاف مركز حزب "التحالف الديمقراطي الإشتراكي لمقدونيا" في مدينة شتروغا كما اندلعت أعمال عنف في المدينة نتج عنها جرح 15 شخصاً مدنياً و 24 من قوات الأمن، وفي العاصمة سكوبيا انطلقت مظاهرة ضخمة احتجاجاً على خطة اللامركزية المقدمة للألبان. وما زالت هذه الخطة حتى الآن (عام 2006) تشكل تحدٍ لاستقرار العلاقة بين المجموعات العرقية في البلاد خاصة الطائفة الألبانية ذات الأغلبية المسلمة.

4. الفصل الرابع

فرق المسلمين في مقدونيا

حال مقدونيا كحال البلقان، فالأكثرية الساحقة من المسلمين فيها من أهل السنة على المذهب الحنفي، ولهم مؤسسة تمثلهم هي المشيخة الإسلامية (أو دار الإفتاء كما هو معروف في البلاد العربية و الإسلامية). وهناك ست فرق صوفية معروفة في مقدونيا هي:

1- الخلوتية[1]: أسسها عمر الخلوتي خلال القرن الرابع عشر الميلادي في خرسان[2] وقد امتدت هذه الطريقة إلى غربي إيران والعراق والشام ومصر وكل أراضي الدولة العثمانية آنذاك بما فيها البلقان.

وقد تفرعت من الخلوتية ثلاث فرق أخرى في مقدونيا هي:

أ- الكرابشية: أتباع الشيخ عثمان بابا من سيريزا وقد بنى تكية في سكوبيا سنة 1699.

ب- الجراحية: أتباع الشيخ نور الدين جراحي (1673 – 1720م) ولهم عدة تكايا في مقدونيا.

ت- الحياتية: أتباع الشيخ محمد الحياتي الذي ولد في بخارى و يعتقد أنه قدم إلى مدينة كيتشيفو في مقدونيا سنة 1667م ثم انتقل إلى مدينة أوهريد و توفي فيها في بداية القرن الثامن عشر[3].

---

[1] - منهاج هذه الطريقة هو التطبيق العملي للشرع قولاً وعملاً وأخلاقاً وذلك بإصلاح ظاهر السالك وباطنه من خلال صحبة الشيخ الوارث المربي الذي لا يكتفي بتعليم مريده أمور دينه بصورة نظرية بحتة، وإنما يأخذ بيده لتطبيق إحكام الشرع عملياً يثني عليه إذا أحسن وينبهه إذا زلّ ويتفقده إذا غاب ويذكّره إذا نسي ويزكّي قلبه إذا قسا ويحفزه إذا فتر ويحنو عليه ويحبه محبة الوالد لولده قاصداً بذلك وجه الله تعالى وبذلك يكتسب المريد الصفات الحميدة، ومعرفة الله ويداوي عيوب وآفات نفسه.وللطريقة الخلوتية أركان سبعة هي : الحب والامتثال والذكر والفكر والصمت والعزلة (الخلوة) والصوم (الجوع).كما أن للطريقة أوراد يومية راتبة وأوراد اختيارية يتم تلقيها وتلقينها من الشيخ المرشد لتكون زاداً للسالكين في طريقهم إلى الله ، يداوي أمراض نفوسهم ، ويصقل قلوبهم ويدفع البلاد والحزن والهم والغم عنهم ، ويجلب لهم السكينة والأنس والصبر والرضى وغير ذلك ، وقد تميزت الطريقة بحرصها على أداء الذكر بكل أشكاله وأنواعه سرها وجهرها وفردياً وجماعياً قرآناً وتسبيحاً وتهليلاً وتكبيراً وصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والذكر بالأسماء وغير ذلك. (راجع أيضاً : "الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية "، http://www.daraleman.org/tarika/Al-Tareef.htm ، 14.2.2006).

[2] - منطقة في آسيا تقع اليوم بين شمال شرق إيران و جنوب جمهورية تركمنستان و غرب أفغانستان.

[3] - Norris, H. T., **Islam in the Balkans: Religion and Society between Europe and the Arab World**, Columbia, South Carolina: University of South Carolina Press, 1993, pp. 111-112.

يقطن أتباع الخلوتية مدن أوهريد، وستروغا، وكيتشيفو، وغوستيفار، وكوتشاني، وفينيتسا، وستيب، ورادوفيتش، وستروميتسا[1].

2- القادرية[2]: وهي طريقة منسوبة إلى عبد القادر الجيلاني (1077م – 1166م) المولود في جيلان[3] والمتوفي في بغداد. يتواجد أتباعها في مدينة دبار غربي البلاد.[4]

3- السنانية: وهم فرقة من القادرية، و يتبعون الشيخ سنان آغا (ت 1640م).

4- الرفاعية[5]: و كان لهم تكايا في سكوبيا العاصمة. وهم يتواجدون أيضاً في مدن فلاس، وكوتشاني، وفنتسا، ورادوفيش، وسترومیتسا[6].

5- النقشبندية[7]: ظهرت هذه الطريقة لأول مرة في البلقان في القرن الخامس عشر على يد الشيخ ملا عبد الله إلهي (ت 1490م)، وفي مقدونيا ظهروا أولاً على شواطئ نهر فاردار.[8] يتواجد أتباع هذه الطريقة اليوم في مدينتي فلاس وشتيب[1].

1- Kionova, Maria, **Minorities in Southeast Europe: Muslims of Macedonia,** 2005, www.greekhelsinki.gr

2- تقوم الطريقة القادرية على الذكر الجهري في حلقة الإجتماع و الرياضة الشاقة و تقليل الطعام و الفرار من الخلق. (راجع: **موسوعة عالم الأديان**، بيروت: دار نوبليس، 2004، مج 23، ص 118).

3- تقع شمال إيران على بحر قزوين.

4- Kionova, Maria, **Minorities in Southeast Europe: Muslims of Macedonia,** 2005, www.greekhelsinki.gr

5- تنسب هذه الطريقة لأبي العباس أحمد بن علي بن أحمد الرفاعي (1118-1182م) المولود في جنوب العراق، و من العراق انتشرت الرفاعية إلى الدولة العثمانية و مصر و بلاد الشام. كان أبو العباس شديد الزهد في الدنيا يعيش حياة فقر كثير الخدمة للعجزة و المعوزين و شديد الحلم على الحيوانات و الحشرات. (راجع: **موسوعة عالم الأديان**، بيروت: دار نوبليس، 2004، مج 23، ص 83).

6- Kionova, Maria, **Minorities in Southeast Europe: Muslims of Macedonia,** 2005, www.greekhelsinki.gr

7- أسس هذه الطريقة في فارس محمد بن محمد بهاء الدين البخاري (1317-1389م) الشهير بنقشبد، و هو صوفي من الكبار أصله من بخارى. تمتاز النقشبندية بطريقة خاصة في الذكر تمتاز بالسكون و البعدعن الصراخ و ترك الإعتماد على الترانيم، و هي تحرص على ترسيخ عقيدة أهل السنة و الجماعة. و يعتبر التصوف النقشبندي معتدل لما امتاز به من استقامة في السلوك و من اتباع للشريعة و من يسر في الطريقة مما جعله يشيع و ينتشر بين علماء الدين. (راجع: **موسوعة عالم الأديان**، بيروت: دار نوبليس، 2004، مج 23، ص 181-182).

8- Norris, H. T., p. 113

6- الملامية أو الملامتية[2]: ظهرت هذه الفرقة في البلقان مع الفتح العثماني في أواسط القرن السادس عشر الميلادي . وتفرعت من الملامية الفرقة الملامية – النورية أتباع الشيخ محمد نور العربي الذي زار مقدونيا بعد أن قدم من مدينة طنطا في مصر (ت 1887م)، و قد أمضى الشيخ محمد نور العربي معظم حياته في سكوبيا حيث عُرف إسم "الخوجا العربي". لأتباع هذه الطريقة تكايا كثيرة في مقدونيا وكوسوفا، و قد دمرت تكيته في سكوبيا سنة 1938م.[3] وأتباع الملامية اليوم يوجدون في رادوفيش (تقع في جنوب شرق البلاد) وستروميتسا.[4] وتجدر الإشارة بأن أكثر أهل هذه الفرق اليوم في مقدونيا هم من الغجر ولهم مؤسسة خاصة باسم: "جمعية الدراويش الإسلامية".

وإلى جانب أهل السنة هناك الطائفة البكتاشية التي يبلغ عدد أفرادها في مقدونيا حوالي 5000 شخص يقطنون في مدن تتوفو و غوستيفار و كيتشفو و أورهيد و

1- Kionova, Maria, **Minorities in Southeast Europe: Muslims of Macedonia,** 2005, www.greekhelsinki.gr

2- و هم قومٌ قاموا مع الله تعالى على حفظ أوقاتهم، ومراعاة أسرارهم، فلاموا أنفسهم على جميع ما أظهروا مِن أنواع القُرَب، والعبادات، وأظهروا للخلق قبائح ما هم فيه، وكتموا عنهم محاسنَهم، فلامهم الخلْقُ على ظواهرهم، ولاموا هم أنفسهم على ما يعرفون مِن بواطنهم، فأكرمهم الله بكشف الأسرار والاطلاع على أنواع الغيوب، وتصحيح الفِراسة في الخلق، وإظهار الكرامات عليهم (راجع: الحوالي، سفر بن عبد الرحمن، **الملامتية**، http://www.alsoufia.com/s/articles.php?id=365، 21.10.2005)

3- Norris, H. T., p. 119- 120.

4- Kionova, Maria, **Minorities in Southeast Europe: Muslims of Macedonia,** 2005, www.greekhelsinki.gr

ستروغا و بيتولا.[1] و البكتاشية فرقة صوفية تركية منسوبة إلى الولي التركي الحاج بكتاش (توفي عام 1336م) الذي انتقل من خراسان[2] إلى الأناضول في القرن الثالث عشر الميلادي. اتصل البكتاشيون فيما بعد بفرقة الإنكشارية[3] العسكرية أيام السلطان العثماني أورخان (1326–1389) و قد توثقت العرى بين الطرفين فامتدت البكتاشية مع انتشار الإنكشارية في سائر أرجاء الدولة العثمانية بما فيها البلقان وما يسمى اليوم بمقدونيا. وهي تأخذ مبادئ الدين من الروح مباشرة وليس من الورق، والمقصود من الورق هو النصوص الواردة بالنقل والكتابة، ومذهبهم بالطريقة المشهورة: "حدثني قلبي عن ربي سبحانه وتعالى. . .". يعتقد البكتاشيون أن الدين الحقيقي الذي كان محمد يريد أن يدعو إليه كان يفهمه ابن عمه علي فقط، وهم يرون أن الخلافة بعد وفاة الرسول يحق لعلي لأنه أقربهم صلة ورحماً، لذلك يعتبرون أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم نواصب وليس خلفاء.[4]

أمر الإسلام بالوضوء قبل الصلاة، أما البكتاشية فتقول: المقصود من ذلك هو النظافة وليست النظافة المادية فحسب، ولكن النظافة الروحية والقلبية، لذلك فلا

1- المصدر السابق.

2- منطقة في آسيا تقع اليوم بين شمال شرق إيران و جنوب جمهورية تركمنستان و غرب أفغانستان.

3- الإنكشارية نظام عسكري استحدث في الجيش العثماني عام 1330 أبان حكم السلطان أورخان و اعتمد أصلاً على أبناء الأسرى و الأيتام الذين يُؤخذون في الحروب و يلقنون مبادئ الإسلام و ينشؤون نشأة حربية و ينقطعون للجندية في معسكرات خاصة حتى يبلغ الإنكشاري سن التقاعد نظراً لتحريم الزواج عليهم. و في عام 1826 قضى السلطان محمود الثاني على الإنكشارية بعد أن استفحل شأنهم حتى كانوا يولون و معزلون الوزراء.

4- Frashëri, Mehdi, **Shqipëria dhe Shqiptrët në historinë e lashtë**, botimi II Tiranë, 2000, p. 45. [فراشيري، مهدي، **ألبانيا والألبان في التاريخ القديم**، تيرانا: د. ن، ط2، عام 2000م، ص45].

حاجة لمن كان قلبه نظيفاً أن يتوضأ، و لا حاجة إلى خمس صلوات في الليل و النهار، بل تكفي صلاة في الصباح و صلاة في المساء و ذلك جالساً ذاكراً الله سبحانه و تعالى فحسب.[1] حرم الإسلام الخمر، أما البكتاشية فتقول بأن الله حرّم السكر وليس الخمر لأن السكر هو الذي يغيّب العقل. وأمر الإسلام النساء بالحجاب، أما البكتاشية فتقول بأن المقصود من الحجاب العفّة وليس الحجاب المادي ، فلها أن تكشف عن وجهها كما خلقه الله تعالى ولا تخفي نفسها إن كانت عفيفة كما هو الحال عند الرجال، وأما غير العفيفة فهي التي تستر عن حالها[2].

أمر الإسلام بصيام ثلاثين يوماً من رمضان، وأما البكتاشية فتعتقد بأن المقصود من الصيام ليس الأكل ليلاً والإمساك عنه نهاراً، وإنما الصيام عدم الإفراط في الأكل سواء في الليل أم في النهار. لكنهم لا يشربون الماء في عشرة أيام من المحرم لأن حسيناً وأهل بيته مُنِعوا منه عشرة أيام في وقعة كربلاء. وتعتقد البكتاشية أن القرآن الكريم لم يجمع كله ولم يكتب بالكامل أيام عثمان ، لذلك فأهم تعاليم القرآن الكريم ضاعت، والذي جمع هذه التعاليم هو علي فقط، ونقلها إلى أبنائه جيلاً بعد جيل حتى وصلت إلى الحاج ولي بكتاش في أول أيام ظهور الخلافة العثمانية[3].

ومبادئ البكتاشية هي: 1- الحقيقة، 2- المعرفة، 3- الشريعة، و حجّهم الأكبر هو في جبل تومور في مدينة بيرات في ألبانيا، والحج الأوسط في كربلاء في العراق

---

[1]- المصدر السابق ، ص 46

[2]- المصدر السابق ، ص 46-47.

[3]- المصدر السابق ، ص 46.

والحج الأصغر بزعمهم في مكة المكرمة في الحجاز. مجتمعهم مغلق وليس لهم جمعية معترفة من الدولة المقدونية، ومرجعهم الأساس هو "المنظمة البكتاشية العالمية" في تيرانا عاصمة الدولة الألبانية.

وهناك فرق أخرى أيضاً، ولكن للأسف فقد انحرفت عن أهل السنة والجماعة وطريقتها أصبحت مثل الباطنية فهم يجيزون الخمر والزنا وترك الصوم والصلاة وتشويه العقائد، في تحريم الحلال وتحليل الحرام ورفع الواجبات وتشويه العقائد الإسلامية وتعاطي السحر.

5. الباب الخامس

أعراق المسلمين في مقدونيا و أماكن تواجدهم فيها

ينتمي المسلمون في مقدونيا إلى خمس مجموعات إثنية وعرقية هي: الألبان والأتراك والغجر والمسلمون المقدونيون السلاف (طوربيشي) و البوشناق (أو البوسنيون)، لكن كما مر معنا فإنه من الصعب إعطاء رقم حقيقي لعدد المسلمين في مقدونيا، إلا أنهم ينتشرون في البلاد كالآتي: يعيش الألبان بكثافة في الجزء الغربي من مقدونيا على الحدود مع دولة ألبانيا، كما أنهم موجودون في الشمال الغربي في الحدود مع كوسوفا وفي العاصمة سكوبيا ومدينة كومانوفا أيضاً وفي بعض المدن القريبة من ألبانيا مثل غوستيفار وتيتوفا و دبار و كيتشفو حيث يشكلون أكثرية السكان[1] . يقطن الأتراك أيضاً غربي مقدونيا وفي الشمال الغربي ولهم تركيز مكثف في بعض المدن مثل العاصمة سكوبيا ومدينتي ديبار وغوستيفار في الغرب و مدينة

1- Ortakovski, , p. 273.

وستروميتسا في الشرق[1]. أما المجموعات الكبيرة للغجر (أو روما) فتتواجد في العاصمة سكوبيا وفي مدن و بريلب و ديبار ومدينة فينيسا Vinica التي تقع في شرق البلاد[2]. ينتشر البشناق (أو البوسنيّون) في وسط مقدونيا بين العاصمة سكوبيا و مدينة فلاش، وأما (الطوربيشي) المسلمون المقدونيون السلاف فيستقرون في غرب البلاد وبعضهم الآخر في منطقة شار بلانينا غرب البلاد أيضاً[3].

ومن جهة أخرى استقبلت الجمهورية المقدونية الحديثة التي اعترف بها دولياً سنة 1992 مهاجرين مسلمين من جراء حربين وقعا في يوغسلافيا. فوصل حوالي 30000 لاجئ بوسني مسلم إلى مقدونيا أثناء الحرب في البوسنة والهرسك في بداية التسعينيات واستقروا بين العاصمة سكوبيا ومدينة فلاس. وقد أعيد أكثرهم إلى الوطن باستثناء بعض اليتامى. موجة أخرى من ألبان كوسوفا بين 200000 و 360000 شخص قدموا إلى مقدونيا سنة 1999م، أثناء عملية التطهير العرقي التي قام بها نظام الرئيس الصربي سلوبودان ميلوشيفيتش، والآن قد رجع أكثر اللاجئين الكوسوفيين في مقدونيا إلى بلادهم[4] .

1- Kionova, Maria, **Minorities in Southeast Europe: Muslims of Macedonia,** www.greekhelsinki.gr 2005,

2- المصدر السابق

3- المصدر السابق

4- المصدر السابق

6. الباب السادس

الحرية الدينية في مقدونيا

قبل الكلام عن العلاقة الحالية بن المسلمين و المسيحيين في مقدونيا لا بد من عرض الوسائل و الطرق التي دخل الإسلام تلك البلاد و انشر فيها.

بدأ انتشار الإسلام في مقدونيا والبلقان عموماً مع بداية الفتح العثماني لتلك المنطقة وذلك في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي. ومع بداية هذا الفتح نزحت قبائل تركية مسلمة كثيرة من الأناضول واستقرت في البلاد التي دخلها العثمانيون في أوروبا. وقد اختلف المؤرخون على الأسباب الكامنة وراء هذا الاستيطان التركي. وعن هذا الاختلاف تقول المؤرخة البلغارية "أنطونينا جليازكوفا Antonina

"Zhelyazkova"[1] أن هناك رأي –وهي مؤيدة له– يدعي أن هجرة هذه القبائل إلى البلقان كانت تلقائية حفزتها الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية الصعبة في الأناضول، وتضيف المؤرخة أن هناك رأي آخر يدعمه المؤرخون الأتراك يرى أن هذه الهجرة هي وليدة سياسة سكانية خاصة انتهجتها الدولة العثمانية. تركز الاستيطان التركي في مقدونيا حسب المؤرخ المقدوني المسلم "نيازي ليمانوسكي"[2] في شرق البلاد و غربيها و صنفت كل من "شتيب" و "كراتوفو Kratovo" و "كوستور Kostur" و بيتولا Bitola" كمدن تركية صرفة إلى أن توقف الاستيطان التركي في القرن الثامن عشر مع بداية الانحصار العثماني في البلقان.

أما عن انتشار الإسلام في البلقان بين السكان الأصليين من سلاف و ألبان وغجر فيرى البعض أنه تم عبر وسيلتين هما: الإكراه و تقديم المنافع الاقتصادية.[3] فبالنسبة للوسيلة الأولى فقد تمت بإجبار أهل البلد أن يعتنقوا الإسلام و بأخذ أولاد المسيحيين وإدخالهم في القوات الإنكشارية[4] حيث يأخذون التربية الإسلامية· أما

1- Zhelyazkova, Antonina, (1997), “Formirane na myusyulmanskite obshnosti i kompleksite na balkanskite istoriografii”, **Myusyulmanskite obshtnosti na Balkanite i v Bulgariya. Istoricheski eskizi,** Sofia: International Centre for Minority Studies and Intercultural Relations Foundation, p. 16.

[جليازكوفا، أنطونيا، " تكوين المجتمعات الإسلامية و تأريخ البلقان"، **المجتمعات الإسلامية في البلقان و بلغاريا**: **مقتطفات تاريخية**، صوفيا: المركز الدولي لدراسة الأقليات و مؤسسة العلاقات بين الثقافات، ص 16.]

2- ذكر ذلك في **الندوة المقدونية الإسلامية الأولى** التي عُقدت في مدينة كيشوفو بمقدونيا من 3-4 تشرين الأول عام 1981.

3- Kionova, Maria, **Minorities in Southeast Europe: Muslims of Macedonia,** www.greekhelsinki.gr 2005,

4- الإنكشارية نظام عسكري استحدث في الجيش العثماني عام 1330 أبان حكم السلطان أورخان و اعتمد أصلاً على أبناء الأسرى و الأيتام الذين يُؤخذون في الحروب و يلقنون مبادئ الإسلام و ينشؤون نشأة حربية و ينقطعون للجندية في

الوسيلة الثانية و التي ترتكز على أن الإسلام انتشر بإرادة الشعب لأن المسيحيين كان لهم مصلحة في اعتناق الإسلام ريثما يتحررون من الجزية وتفتح أمامهم الفرصة للانضمام والاعتلاء في الإدارة والجيش.

والآن فلنترك الكلام للمؤرخين المسلمين الألبان حيث لهم رأي عن سبب انتشار الإسلام في البلقان، فقد كتب مؤرخ الفترة العثمانية الدكتور فريد دوكا حول هذه القضية قائلاً: "الأسباب التي أدت إلى انتشار الإسلام في الأراضي الألبانية مختلفة ولكن علينا أن نقول شيئاً: لم تكن هناك سياسة أَسْلَمة مفروضة من الحكام العثمانيين، الحقائق تدل على أن الإسلام استقبل بإرادة تامة ولم تستعمل القوة لفرضه ديناً على الشعب الألباني[(1)].

ويقول إ. إروابن، و ر. فلاسكي، و و. س. دايوس، وربرتو ماروكو دي لاروكا وغيرهم بأن إسلام الألبان كان سلاحاً ضد الضغط السلافي كما كان كاثوليكية الألبان من قبل سلاحاً ضد الضغط اليوناني الممارس من الأرثوذكسية البيزنطية"[(2)].

معسكرات خاصة حتى يبلغ الإنكشاري سن التقاعد نظراً لتحريم الزواج عليهم. و في عام 1826 قضى السلطان محمود الثاني على الإنكشارية بعد أن استفحل شأنهم حتى كانوا يولون و معزلون الوزراء.

1- Muhedin, Ahmet, **Rreth përhapjes së Islamit tek Shqiptarët**, Shkodra: Klubi Kulturor "Drita", 1997, p. 105-106. [محيي الدين، أحمد، **"حول انتشار الإسلام عند الألبان"**، شكودرا: النادي الثقافي "نور"، ط1، عام 1997م، ص 105 – 106].

2- Basha, M. Ali, **Islami në Shqipëri përgjatë shekujve**, Tiranë, 2000, p. 70. [باشا، م. علي، **"الإسلام في ألبانيا عبر القرون"**، تيرانا: د. ن، 2000، ص 70.]

ويقول آرستيز كوليا في كتابه "**الأرفان**" (أي الألبان باللغة اليونانية):"القول بتحويل الألبان إلى الإسلام عن طريق السيف هو مجرد اختراع خيالي وافتراض الرهبان، وليس من الأدب العلمي أن يدعي ذلك المؤرخون"[1]. ويقول المؤرخ التركي علي بن مقصود: "لو أراد العثمانيون فرض دينهم ولغتهم على الشعوب البلقانية لما بقي هناك شخص غير مسلم أو غير متكلم بالتركية[2].

ويؤكد رؤساء المؤسسات الدينية في مقدونيا اليوم بأن ممارسات المسلمين الدينية هي معترفة من الدولة ولا تتعرض الدولة لها بعوائق. أكثرية المساجد في مقدونيا تبقى مفتوحة حيث المصلون يقيمون صلواتهم الخمسة في اليوم. يؤدي المصلون الجمعة كما يشتركون بحرية في الأعياد الإسلامية: عيد الفطر، وعيد الأضحى، والأنشطة الرمضانية. وبعد استقلال مقدونيا سنة 1991م قد رممت حوالي 50 مسجداً كما بنيت 20 مسجداً جديداً. على كل فإن الدولة في بعض الأحيان تعوق الإسلام من النواحي الإدارية.[3]

كما هناك بعض التوتر بين المجموعات الإثنية الإسلامية المختلفة في مقدونيا حيث اللغة الألبانية لها الاستعمال السائد في المساجد حتى في المناطق التي سكانها

1- Muhedin, p. 49.

2- Basha, p. 71.

3- Kionova, Maria, **Minorities in Southeast Europe: Muslims of Macedonia,** www.greekhelsinki.gr 2005,

المسلمون مختلطون إثنيّاً. وهذا ملاحظ خصوصاً في غرب مقدونيا حيث الألبان يشكلون أكثرية السكان والأتراك لهم وجود مكثف هناك. كما أن ثمة دعوى جدّية بأن المشيخة الإسلامية (أو دار الفتوى) لها صلة وثيقة سياسياً مع الحزب الألباني للازدهار الديموقراطي (PDP) الذي كان مشاركاً في الحكومة المقدونية إلى سقوطه عام 1998.[1]

---

[1]- المصدر السابق.

7. الباب السابع

العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في مقدونيا

وفق كثير من علماء الاجتماع المقدونيين فإن المستوى العالي للتسامح والعيش المشترك في مقدونيا قد قلَّ في فترة ما بين سنة 1992م و 1993 بسب نشوء "أسطورة سياسية" تجمع بين فكرتي "المؤامرة الإسلامية" و "الأرثوذكسية المعرّضة للخطر".(1) و كما هو متعارف عليه في علم الاجتماع فانه كلما ظهرت حلول سياسية غير مقنعة بما فيه الكفاية لمعالجة أوضاع مضطربة لمجتمع تعددي – كمجتمع مقدونيا– يبرز الدور الرئيسي لهذه "الأسطورة السياسية" و يصبح التركيز على الجانب اللاعقلاني منها ضرورياً، كما تزداد الحاجة لهذه الأسطورة أيضاً عندما يصبح الدعم الشعبي العاطفي مطلوباً لتعطيل أو تفعيل بعض الأفكار السياسية. و في مقدونيا جرت عدة محاولات منذ العام 1992 لإشاعة هكذا أجواء في البلاد لإطلاق أسطورة "العدوّ" (أي المؤامرة الإسلامية) و "الضحية" (أي الأرثوذكسية

1- Kionova, Maria, **Minorities in Southeast Europe: Muslims of Macedonia,** www.greekhelsinki.gr 2005

المعرّضة للخطر). و قد مهدت الظروف المحلية و الدولية لنشوء هذه الأسطورة، ففي الوقت الذي كان العالم لا يزال يفكر بإمكانية الاعتراف بدولة مقدونيا و أي أسم يعطى لها كان الشعب المقدوني السلافي يتخوف من إمكانية ظهور عرقلة دولية لإنشاء دولته العتيدة، فأطلق المقدونيون السلاف "أسطورة السياسية" التي تتمحور حول وجود "أعداء" يهددون كيانه واستمرار يته وأفضل لتتجب ذلك هو إنشاء دولة خاصة به. ونظراً إلى ماضي العلاقات الإسلامية الأرثوذكسية في البلقان وبسبب ارتفاع نسبه الحضور الإسلامي في المناطق التي يسكنها المقدونيون السلاف أضحى المسلمون هم هؤلاء "الأعداء" الذين ليس المقدونيين السلاف فقط بل كل معتنقي الأرثوذكسية في البلقان خاصة بعد أن أصبحت الأخيرة تعني النقيض للنظام الشيوعي القديم. وهكذا ولدت أسطورة "العدوان الإسلامي".[1] فالهوية الدينية للمقدونيين الأرثوذكس كان لها إمكانية التأثير في هذه القضية أكثر من هويتهم القومية، نظراً إلى أن الأرثوذكس كانوا أكثرية ساحقة من شعب البلقان فبعضهم من السلاف (أي البلغار و الصرب وأهل مقدونيا نفسها) والبعض الآخر من الرومان (أي سكان رومانيا) و اليونان وبعض الألبان. كما يجب أن لا ننسى أن السياسيين المقدونيين السلاف قد اتبعوا نفس منهج زملائهم في الجمهوريات اليوغسلافية السابقة نظير صربيا وكرواتيا والبوسنة الذين كانوا يربطون بين مفهوم "الأمة" ومفهوم "الدين"

1- Najcevska, M. & Simoska, E. & Gaber, N., "Muslims, state and society in the Republic of Macedonia: the view from within", **Muslim Communities in the New Europe,** Gerd Nonneman & Tim Niblock, and Bogdan Szajkowski (Eds), Reading: Ithaca Press, pp 84-88.

ويضعونها في بوتقة قومية واحدة، و هكذا أصبح الاختلاف بين المسلمين و المسحيين في مقدونيا عنصراً جذاباً لأي تسويق سياسي في البلاد، فجرت عدة محاولات لدفع الشعب المقدوني السلافي إلى الاعتقاد أن المسلمين –وفي هذه الحالة كانوا الألبان– هم العدو الرئيسي له.[1]

وسواء كانت هذه الأسطورة قديمة أم جديدة فإنها أثرت سلبياً في العلاقات بين المسلمين والمسيحيين وجعلت هاتين المجموعتين تنغلقا في مجتمعها، كما قللت من أهمية عامل القومية بمقابل عامل الدين[2]، ولعلها أثرت إيجابياً للصحوة الإسلامية في البلاد بتذكير المسلمين بأسباب محاربة غيرهم لهم، وأهمية الإسلام وقوته حيث يخاف منه الأعداء. كما رأينا انعكاس هذه الأسطورة بين عامي عام 2001م – 2002م حينما قامت الدولة المقدونية بحرب شرسة بمساعدة اليونان وبلغاريا وصربيا ودعم روسي وألماني أيضاً ضد مواطنيها المسلمين وبالأخص الألبان تحت تأثير هذه السياسة بالضبط.

وعموماً فإن نظرة المقدونيين إلى الإسلام كنمط حياة وإلى المسلمين كمجموعة دينية هي نظرة سلبية، فأي نهضة من التدين الإسلامي تترجم من قبل المقدونيين السلاف

1- Gaber, p. 106.

2- Najcevska , et al, p.88

ومن الدوائر الحكومية بأنها بداية "أصولية إسلامية" أو أنه "التحاق بألبانيا". و من جهةٍ أخرى يعمد كل من القادة السياسيين المقدونيين و الصحافة المقدونية إلى اتهام الألبان و سياسييهم بالسيطرة على الأقلية السلافية المسلمة (أي الطوربيشي أو المسلمين من أصل مقدوني) في مقدونيا من أجل إدخالها في الدوائر الإنتخابية الألبانية لزيادة عدد المسلمين فيها،(1) بينما جرت عدة محاولات سياسية لحض المسيحيين المقدونيين على القبول بهذه الأقلية السلافية المسلمة كشريكة معهم في الوطن كون أفرادها ينطقون اللغة المقدونية، لكن هذه المحاولات باءت بالفشل لأن المسحيين المقدونيين يعتبرون أن "الأرثوذكسية" هي شرط من شروط الهوية و الثقافة المقدونية،(2) كما يستعملون في كثيرٍ من الأحيان كلمة "تركي" للإشارة إلى كل ما هو "مسلم" لأنهم ما زالوا يحملون فكرة منذ أيام العثمانيين بأن لا فروق عرقية أو أثنية في الإسلام.(3)

---

[1] - Fraenkel, Eran , “Turning a Donkey into a Horse: Paradox and Conflict in the Identity of Makedontsi Muslimani” in **Balkan Forum**, *An International Journal of Politics and Culture*, Vol. 3 No. 4 (13), December 1995, pp. 157-161.

[2] - المصدر السابق، ص 154.

[3] - المصدر السابق، ص 156.

8. الباب الثامن

علاقة الدولة بالإسلام والمسلمين في مقدونيا

تدار العلاقات بين الطوائف الدينية و الحكومة في مقدونيا من خلال مؤسسة رسمية تدعى "لجنة العلاقات مع الطوائف الدينية". من أبرز مهمات هذه المؤسسة هي القيام بالإتصالات الرسمية مع هذه الطوائف و التوسط في أي نزاعات قد تنشا بينها[1]. أما من الناحية القانونية فإن دستور الدولة المقدونية وقوانينها تنظم العلاقات بين الحكومة والطوائف الدينية، وحسب هذا الدستور فإن مقدونيا دولة "مدنيّة" يفصل فيها الدين عن الدولة و جميع أفراد طوائفها الدينية يتساوون أما القانون[2]. و حسب قانون "الطوائف و المجموعات الدينية" الذي أقر عام 1997 قسمت الجماعات الدينية في مقدونيا إلى قسمين: 1) طوائف و 2) مجموعات، الطوائف الدينية حسب

1- Najcevska , et al, p.76.
2- المصدر السابق، ص 76.

هذا القانون هي مِلة مُنظمة لا تبغي الربح ينتمي أتباعها إلى نفس العقيدة، أما المجموعة الدينية فهي أيضاً مِلة مُنظمة و لا تبغي الربح ينتمي أتباعها إلى نفس العقيدة لكنها لا تنتمي إلى أي طائفة دينية مسجلة في سجلات الدولة، والحقوق معطاة لكل مجموعة أو مؤسسة تمثل تلك الملل قانونياً، لذلك فإن أي شخص يريد أن يمارس دينه فهو حر إذا كان منتمياً إلى إحدى تلك المجموعات التي هي مسجلة ومعترفة عند الدولة. وهذه المجموعات كذلك يحق لها أن تؤسس مدارس أو مؤسسات أخرى خيرية بالطرق والنهج الذي نص عليه القانون(1). وإلى جانب المستوى الوطني هناك لجان أخرى في المستوى البلدي (أي لكل بلدية) تتعاطى مع المسائل الدينية، وإن كانت تعمل عادة على قوانين خاصة لها(2).

تراعي الدولة المقدونية حقوق مواطنيها المسلمين داخل أراضيها بعدة اتجاهات. أولاً فإن الممارسات الدينية للمسلمين ليست ممنوعة من قبل الدولة. ثانياً فالمحطات التلفزيونية الخاصة تبث برامج دينية إسلامية، كما أن طباعة ونشر المواد الدينية لا تواجه مشاكل هناك. ثالثاً فإن المؤسسات الدينية الإسلامية ليست لها عراقيل في إيراد الكتب الإسلامية بالرغم من وجود قانون موروث من أيام الحكم اليوغسلافي

1- Kionova, Maria, **Minorities in Southeast Europe: Muslims of Macedonia,** www.greekhelsinki.gr 2005,

2- Najcevska, Mirjana, "The legal position of the Muslim community in the Republic of Macedonia", **Balkan Fourm: An International Journal of Politics, Economics and Culture,** (June 1994), vol 2, No.2, p.164.

يحق للشرطة بموجبه مصادرة أي مواد مطبوعة مصدرها الخارج، وقد طبق هذا القانون بين عامي 1997 و 1998 على افراد من طائفة شهود يهوه[1] وناشطين من حقوق الإنسان.[2]

ولكن هناك بعض العقبات الإدارية التي تحول دون التطور العادي للمسلمين في مقدونيا، وهي:

1) مشاكل في تسجيل بعض الجمعيات الإسلامية.

2) فقدان القانون لإعادة الأوقاف إلى أصحابها من المؤسسات الدينية فبغياب هذا القانون الذي يلغي تأميم الأراضي تتمكّن الدولة من فرض عوائق كثيرة إدارية على المؤسسات الإسلامية فيما تتعلق بعائدات الأوقاف الإسلامية. وخلال فترة حكم تيتو صودرت كل الأوقاف الإسلامية أراضي سواء مباني أو مساجد التي حول بعضها إلى متاحف وأخرى مخازن، وفي بدايات التسعينات وافق مجلس النواب على قانون إعادة الأملاك الخاصة للمواطنين لكنه لم يشمل الأوقاف الدينية، كما أنه لم يستفد منه كل المواطنين المستحقين.[3]

---

[1]- فرقة مسيحية تأسست في الولايات المتحدة عام 1870 تتخذ من العهد القديم دليلاً روحياً للإيمان و تطيع أمر النبي موسى عليه السلام. و هذه الفرقة منبوذة من عدة فرق مسيحية و خاصة الأرثوذكس.

[2]- Kionova, Maria, **Minorities in Southeast Europe: Muslims of Macedonia,** www.greekhelsinki.gr 2005,

[3]- رجب، سليمان (رئيس العلماء في مقدونيا)، مقابلة مع "مركز التوثيق و المعلومات للأقليات في أوروبا CEDIME"، أجريت في سكوبيا بتاريخ 12 شباط 1999.

3) فقدان الإرشادات الدينية في المدارس الحكومية التابعة للبلديات، فعدم التعليم الديني في المدارس العمومية هو مظلمة أخرى للمشيخة الإسلامية. و حسب الشيخ سليمان رجب[1] رئيس العلماء في مقدونيا فإن التعليم الديني يجب أن يحل مكان التعليم الماركسي الذي طغى أيام النظام الشيوعي ليتركز موضوع "الدين" على الإسلام والأرثوذكسية بشكل منفصل فيدرس أولاد المسلمين موضوع الإسلام من قبل دعاة من المشيخة الإسلامية، ويدرس أولاد الأرثوذكس موضوع الأرثوذكسية على يد لاهوتيين لأولاد الأرثوذكس. إلا أن الشيخ رجب لا يستبعد احتمال تدريس مادة "الأديان مقارنة" لكن من دون شمول كل أديان البشر.

من ناحية أخرى هناك كلام كثير بين الذي تدعيه الدولة وبين الذي يحدث في الواقع، فالأرثوذكسية في مقدونيا قد استعادت حريتها في التعبير والشعارات كما أن الرموز الأرثوذكسية موجودة الآن في جميع أنحاء مقدونيا وهي تعتبر من معظم المقدونيين كمرادفات للهوية المقدونية، بينما ليس الأمر كذلك مع الرموز الإسلامية. فالمجتمع الإسلامي هناك يشكو من كثرة وضع الصلبان على واجهات المباني الحكومية في بعض المدن و ينتقد وضع الآثار المسيحية كالكنائس والصليب على

[1]- المصدر السابق.

العملة الوطنية، كذلك يُلاحَظ تواجد رجال الدين الأرثوذكس في المناسبات الوطنية أكثر من رجال الدين المسلمين.[1]

1- Kionova, Maria, **Minorities in Southeast Europe: Muslims of Macedonia,** www.greekhelsinki.gr 2005,

9. الباب التاسع

المؤسسات الإسلامية في مقدونيا

9.1 الفصل الأول: المشيخة الإسلامية.

9.2 الفصل الثاني: المؤسسات الاجتماعية.

9.3 الفصل الثالث: المؤسسات التعليمية.

9.3.1 التعليم الابتدائي

9.3.2 التعليم الثانوي

9.3.3 التعليم العالي (الجامعي)

9.4 الفصل الرابع: المؤسسات الإعلامية.

9.4.1 الإعلام المكتوب

9.4.2 الإعلام المسموع

9.4.3 الإعلام المرئي

9.4.4 الانترنت

9.1 الفصل الأول

المشيخة الإسلامية

تأسست المشيخة الإسلامية المقدونية سنة 1994م، وهي معترف بها ومسجلة في سجلات الدولة المقدونية، ولها أربعة هياكل تنظيمية إدارية أساسية:

1- **مكتب رئيس العلماء**، ورئيس العلماء هو رئيس المشيخة الإسلامية المقدونية وله قوة تنفيذية كبيرة.

2- **مجلس الشورى والتنفيذ:** يتكون من 23 عضواً ويعمل في ستة دوائر رئيسية:

1- التربية والتعليم الديني،

2- العلوم والثقافة،

3- الإعلام والنشر،

4-الإدارة،

5- القطاع المالي،

6- دائرة الأوقاف الإسلامية.

يتألف هذا المجلس من جميع المفتين ومن مدير المدرسة الثانوية الشرعية ومن عميد كلية الشريعة الإسلامية ومن مدير جمعية الهلال الخيرية ومن مدراء الدوائر الست المذكورة فوق ومن رئيس اتحاد أئمة المساجد ومن خمسة أشخاص عاديين من غير رجال الدين مختارين شخصياً من رئيس العلماء. هؤلاء اختصاصيون في القانون والاقتصاد والعلوم الاجتماعية والسياسة والقضايا الإنسانية.

3- **المجلس المالي والقانوني.** يتألف من 13 عضواً كلهم من المدنيين محترفين في كل من المجال الاقتصادي والقانوني. هؤلاء مختارون من مكاتب المفتين الثلاث عشر في مقدونيا[1].

4- **مكتب المفتين:** يمنح قانون المشيخة الإسلامية لأي من أعضاء المشيخة ولاية مدتها 5 أعوام بعضها غير قابلة للتجديد. ويتم اختيار هؤلاء الأعضاء بالطريقة التالية:

---

[1]- **"المشيخة الإسلامية ومؤسساتها" (منشور المشيخة)**، (شكوب [سكوبيا] : مطابع آلبينا غولد، 1997م)، ص 67 من النسخة الألبانية.

أولاً يبدأ بمجالس المساجد التي تكون الصلة بين المصلين وأئمة تلك المساجد.

ثانياً يتم اختيار مفتي المدينة من مجلس المساجد في تلك المدينة (مجلس المساجد يتكون من أئمة المساجد ومن رؤساء مجالسها، أي إذا كانت في المدينة 10 مساجد فمجلس المساجد يتألف من 20 شخصاً) وتتم الموافقة على مفتي المدينة من رئيس العلماء. ويتم اختيار رئيس العلماء (وهو بمثابة المفتي في الدول الإسلامية) من مجلس الاختيار الذي يتألف من 41 شخصاً: (4) منهم هم مفتو الدياسبورا (الشتات في سويسرا وألمانيا والبلاد الاسكندنافية والولايات المتحدة) و (13) منهم هم مفتو المدن في مقدونيا والباقي هم مدنيون من غير رجال الدين. ورئيس العلماء يختار لمدة خمس سنوات غير قابلة للتجديد[1].

عدد دور العبادة تحت إشراف المشيخة (مساجد، تكايا، زوايا) هو 470، وأكثر المساجد في مقدونيا تم تشييدها بين القرن الخامس عشر والسادس عشر أيام الدولة العثمانية. أشهر المساجد هي "جامع عيسى بيك"، و "جامع مصطفى باشا"، و "جامع السلطان مراد"، في العاصمة شكوب، و "جامع الآدجا" في تيتوفا، والمسجد التكية للطريقة الخلوتية في ستروغا[2].

[1]- المصدر السابق، ص 67 – 70.

[2]- المصدر السابق، ص 79.

9.2 الفصل الثاني

المؤسسات الاجتماعية

نعني بالمؤسسات الاجتماعية "جمعية الهلال الخيرية"، وهي تعمل تحت إشراف إدارة المشيخة الإسلامية. تأسست "جمعية الهلال الخيرية الإسلامية" سنة 1991م باسم "الاتحاد الإسلامي" ثم تحولت إلى جمعية خيرية باسمها الحالي في شهر ديسمبر عام 1993م (وهي شبيهة بـ "صندوق الزكاة" في بعض الدول الإسلامية).

تعمل هذه الجمعية في توزيع المساعدات الخيرية، وتدعم النشاطات الثقافية، وتقوم برعاية اللاجئين والأيتام، وتقدم مساعدات مالية للأولاد المعوزين مالياً لمتابعة الدراسة.

هجرت حرب البوسنة والهرسك لاجئين كثيرين إلى مقدونيا، فغطّت جمعية الهلال مساعدة 70% من اللاجئين البوسنيين (من أصل 30000 لاجئ) بإيوائهم في أماكن

حكومية وخاصة، وتزويدهم بالمواد الغذائية والملابس ومواد الصحة الشخصية والعامة، والمواد الطبية إلى حين رجوعهم إلى البوسنة.

وفي مجال التعليم ساعدت جمعية الهلال الخيرية في توزيع المواد الدراسية كالكتب والدفاتر التي أتت كمساعدة من مؤسسات تعليمية وفاعلي خير من أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية[1].

---

[1] - **"المشيخة الإسلامية ومؤسساتها" (منشور المشيخة)، ص** 10 – 30.

9.3 الفصل الثالث

المؤسسات التعليمية

9.3.1 التعليم الابتدائي:

ليس هناك تعليم ابتدائي إسلامي ولا مسيحي ولا لأي دين آخر في الجمهورية المقدونية، وقد حاولت الكنيسة الأرثوذكسية المقدونية كثيراً أن تدخل تعليمها الديني في المدارس العمومية ولكن بلا جدوى.(1)

1- Kionova, Maria, **Minorities in Southeast Europe: Muslims of Macedonia,** www.greekhelsinki.gr 2005,

9.3.2 التعليم الثانوي:

المدرسة الثانوية الشرعية "عيسى بيك" هي المدرسة الإسلامية الوحيدة التي تقدم تدريس العلوم الشرعية الإسلامية في مقدونيا حالياً، هذه المدرسة تقع في قرية "كوندوفو" ستة كيلومترات خارج العاصمة سكوبيا.(1)

تعمل هذه المدرسة تحت إشراف إدارة المشيخة الإسلامية، ولكن ليس لها وضع قانوني محدد بعد. تبلغ مرحلة الدراسة فيها 4 سنين ولا يقبل التسجيل فيها إلا لمن أنهى ثماني سنين من التعليم الابتدائي والمتوسط. هذه المدرسة تقدم بجانب المواد الشرعية مواد علمية أيضاً (مثل ثانوية الأزهر في لبنان)، لذلك يستطيع الطلاب بعد التخرج أن يتابعوا دراساتهم الجامعية في كليات أخرى غير كلية الشريعة.

هناك 29 مادة دراسية في "عيسى بيك". المواد الشرعية هي: قراءة وحفظ القرآن الكريم، تفسير، حديث، أخلاق إسلامية، فقه، فلسفة إسلامية، تاريخ إسلامي ومواد أخرى. والمواد العلمية هي: رياضيات، كيمياء، فيزياء، تاريخ مدني، جغرافيا، علم اجتماع، علم اقتصاد، منطق، بيداغوجيا (علم أصول التدريس أو طرق التدريس)،

[1]- و قد وصفها لنا شخص فقال أنها من أجمل وأنظف المدارس الإسلامية التي رآها وأكثرها ترتيباً، ومعظم الطلاب فيها من الألبان.

لغة، بلاغة ومواد أخرى. وهناك خمس لغات تدرّس في هذه المدرسة: المقدونية، الألبانية، التركية، وهذه تدرس كلغات أساسية، واللغة العربية والإنكليزية تدرس كلغات أجنبية.[1]

التعليم في مدرسة "عيسى بيك" مجاني و استيعاب هذه المدرسة هو 270 طالب، وكان عدد الطلاب المتفرغين فيها سنة 1997م بين 250 و 270 طالب، وحوالي 300 طالب منتسب. عدد الطلاب المتفرغين المتخرجين من هذه المدرسة من تأسيسها سنة 1988 / 1989م إلى غاية 1996 / 1997م هو 384 و 85 طالباً منتسباً. وجدير بالإشارة هنا إلى أن أكثر المنتسبين كان من البنات.[2]

9.3.3 التعليم العالي (الجامعي):

إلى جانب مدرسة "عيسى بيك" الثانوية في كوندوفو، هناك كلية شرعية، وهذه الكلية الشرعية تابعة أيضاً للمشيخة الإسلامية في مقدونيا. هدف هذه الكلية هو تزويد الطلاب الذين يتخرجون من المدرسة الثانوية الإسلامية بتعليم شرعي إضافي. تأسست هذه الكلية سنة 1997/ 1998م. قبل هذا التاريخ كان الطلاب المقدونيون

1- المصدر السابق، بزيادات من "**المشيخة الإسلامية ومؤسساتها**"، ص 69.
2- "**المشيخة الإسلامية ومؤسساتها**"، ص 69.

يتابعون دراساتهم الجامعية الشرعية في المملكة العربية السعودية والكويت وليبيا والأردن وسوريا ومصر ولبنان.

# # #

9.4 الفصل الرابع

المؤسسات الإعلامية

9.4.1 الإعلام المكتوب:

الإعلام الإسلامي عموماً متطوراً في مقدونيا، في الحقيقة ليس هناك إعلام خاص للمسلمين في هذا البلد. أما الإعلام المكتوب فهو يتمثل في جريدة وحيدة للمشيخة الإسلامية المقدونية وهي "جريدة الهلال الإسلامية".

تأسست "جريدة الهلال الإسلامية" سنة 1987م، وهي تصدر مرتين في الشهر بـ 4000 نسخة باللغة الألبانية ومرة واحدة في الشهر باللغتين التركية والمقدونية بـ 1500 نسخة لكل من اللغتين. الجريدة تقدم معلومات ومناقشات دينية وعلمية واقتصادية وثقافية وأخلاقية بثوب إسلامي، كما تغطّي أحداث ونشاطات المشيخة

والاحتفالات الإسلامية وافتتاح المواقع الإسلامية الجديدة في مقدونيا والمستجدات الجارية في الساحة الإسلامية.(1)

وهناك بعض الجرائد الأخرى أيضاً تغطي أحياناً قضايا إسلامية، نذكر منها "جريدة الشعلة (Flaka)" و "جريدة الحقيقة (Fakti)" الألبانيتين، و "جريدة برليك (Birlik)" التركية. وتغطي كذلك أحياناً "جريدة زمان – مقدونيا (Zaman – Macedonia)" التي هي فرع لـ "جريدة الزمان" التركية في استانبول الأعياد الإسلامية مع أنها جريدة علمانية.(2)

9.4.2 الإعلام المسموع:

ليست هناك محطة إذاعية إسلامية في مقدونيا. القانون المقدوني يحظر تأسيس إذاعات دينية لأي دين كانت. مع ذلك فإن برامج دينية إسلامية تبث في أيام الأعياد والمناسبات الإسلامية من الإذاعة الحكومية والإذاعات الخاصة التابعة للمجموعات الإثنية المختلفة. وهناك شُعَبٌ داخل الإذاعة الحكومية الرسمية تبث باللغة الألبانية

---

[1]- "المشيخة الإسلامية ومؤسساتها"، ص 78-79.

[2]- Kionova, Maria, **Minorities in Southeast Europe: Muslims of Macedonia,** www.greekhelsinki.gr 2005,

والتركية والغجرية. بالإضافة إلى ذلك هناك إذاعات خاصة مستقلة ألبانية تبث تلك البرامج، نذكر منها هذه المحطات:

إذاعة "Vati" وإذاعة "Fama" وإذاعة "24" في سكوبيا، وإذاعة "Visar" وإذاعة "Fama" في تيتوفو، وإذاعة "Art" وإذاعة "Emi" وإذاعة "Pro FM 92" وإذاعة "Rumeli FM" وإذاعة "Rekaton" في غوستيفار، وإذاعة "Arbana" في كومانوفا، وإذاعة "Merilin" في ديبار، وإذاعة "Rinia" في بريلب، وإذاعة "Flora" في كروشيفو، وإذاعة "Uskana" في كيشيفو. وهناك إذاعة "Cherenia" في شتيب التي تذيع باللغة المقدونية ولكن أحياناً تذيع باللغة الغجرية أيضاً، وإذاعة "Spektra" تذيع باللغة المقدونية خصوصاً للمسلمين المقدون (السلاف).[1]

9.4.3 الإعلام المرئي:

ليست هناك محطات تلفزيونية إسلامية خاصة في مقدونيا، فهي أيضاً ممنوعاً بالقانون. المناسبات والأعياد الإسلامية تغطى من الشعب الإثنية في التلفزيون الحكومي باللغة الألبانية والتركية والغجرية، ومن التلفزيونات الخاصة. هناك محطات ألبانية كثيرة ومحطتان غجريتان بينما ليس هناك ولا محطة تركية. المحطات الألبانية هي:

[1]- المصدر السابق.

تلفزيون "TV ERR" في سكوبيت، و "TV ART" و "TV KOHA" في تيتوفو، و "TV GLOBUS " و "TV ZERI GRACENT" و "TV2" في غوستيفار، و "TV FESTA" و "TV HANA" في كومانوفا، و "TV KALTRINA" في ستروغا، و "TV GURA" و "TV USKANA" في كيشيفو، والمحطتان الغجريتان هما: تلفزيون "SHUTEL TV" و "RADIO TV BTR" في شكوب. والتلفزيون المقدوني الخاص "TV ZORA" في كومانوفا يبث أحياناً باللغة الغجرية.(1)

9.4.4 الأنترنت Internet:

يوجد موقع إسلامي للمسلمين في مقدونيا هو:www.bim.org.mk و هو باللغة الألبانية.

1- المصدر السابق.

الخلاصة

المسلمون في جمهورية مقدونيا الحديثة متنوعون إثنياً، وهم كذلك متنوعون نوعاً ما دينياً. أما تنوعهم من الناحية الإثنية فلأنهم من أصول ألبانية وهؤلاء يشكلون أكثرية المسلمين في مقدونيا، كما هناك مسلمون من أصول تركية، ومقدونية (سلافية)، وبوسنية، وغجرية. وأما تنوعهم من الناحية الدينية فلأن منهم مسلمون سنة وهؤلاء أيضاً يشكلون أكثرية المسلمين في مقدونيا، كما هناك مجموعات من ست فرق أخرى وهناك فرقة أخرى من أصول شيعية وهم البكتاشية وحقيقتهم باطنية، ومعظم المسلمين في مقدونيا يقطنون في غرب وفي شمال البلاد.

المسلمون في مقدونيا منظمون ولهم مؤسسة كبيرة تدير شؤونهم وهي المشيخة الإسلامية، كما هناك مؤسسات أخرى بعضها معترفة من قبل الدولة وبعضها الأخرى ليست كذلك. كما هناك بعض الاختلافات بين المسلمين من الناحية الإدارية، وذلك بسبب استيلاء الألبان على زمام الأمور في المشيخة الإسلامية وأكثر المؤسسات الأخرى كما أن اللغة المستعملة في المساجد والتكايا هي اللغة الألبانية. وهناك سرٌّ مجهور به وهو أن المشيخة وباقي المؤسسات هي تابعة للألبان بشكل

خاص وأكثرها على صلة وطيدة بالأحزاب السياسية الألبانية في مقدونيا، خصوصاً الحزب الألباني للازدهار الديموقراطي.

علاقات المسلمين بالمسيحيين في مقدونيا سلبية، وهناك اتهامات ضد المسلمين بأنهم أصوليون أو حتى متمردون، وظهر ذلك جلياً في الحرب التي حدثت سنة 2001 – 2002م، وكشفت هذه الحرب قناع الدولة التي كانت تدّعي بأنها تحمي جميع مواطنيها على اختلاف أعراقهم وأديانهم بشكل متساوٍ، ولم تكن الحال كذلك، بل كان ينظر إلى المسلمين بأنهم مواطنون من الدرجة الثانية بعد الأرثوذكسيين.

يتمتع المسلمون حالياً بحرية جيدة نسبيّاً، فهم يؤدون واجباتهم الدينية من صلاة وصيام واشتراك في الأعياد الإسلامية بحرية تامة، ويلبسون ثياباً إسلامية تقليدية بلا مشكلة وحقوق أخرى، لكن لا تزال هناك عقبات كثيرة تضعها الدولة أمام المسلمين من الناحية الإدارية، ومسألة الأوقاف الإسلامية في مقدونيا هي أكبر قضية يجب حلها.

الناحية التعليمية الإسلامية في مقدونيا ليست في موقع حسد، فهناك مدرسة ثانوية شرعية واحدة وكلية شرعية واحدة فقط، والناحية الإعلامية أضعف بكثير، فلا يوجد

في مقدونيا ولا أي مؤسسة إعلامية إسلامية أصيلة بتاتاً، عدا جريدة "الهلال" الإسلامية التي تصدر مرتين في الشهر، والدستور المقدوني لا يسمح بتأسيس تلفزيون أو إذاعة إسلامية خاصة.

وفي الختام نريد أن نبين أن كل ما كتب في هذا البحث حول الإسلام والمسلمين في مقدونيا ما هو إلا فيض من غيض من القضايا الكثيرة التي تتعلق بالبلقان، وأظن أن من واجب كل باحث، بل من واجب كل مسلم أن يتوسع وأن يكتشف أجزاء أخرى من قضايا المسلمين الحضارية والثقافية والسياسية في مقدونيا، والبلقان والعالم الإسلامي كله عموماً، وحاولنا في هذا البحث على عجالة ذكر أهم الموضوعات المتعلقة بحاضر الإسلام والمسلمين في مقدونيا ، ونسأل الله تعالى أن يجعله مقدمة للأبحاث الأخرى باللغة العربية عن إسلام البلقان والحمد لله أولاً وآخراً.

# # #

المراجع

باللغة الألبانية:

Basha, M. Ali. **Islami në Shqipëri përgjatë shekujve**. Tiranë, 2000

[باشا، م. علي. "**الإسلام في ألبانيا عبر القرون**". تيرانا: د. ن، 2000.]

Frashëri, Mehdi. **Shqipëria dhe Shqiptrët në historinë e lashtë**. botimi II. Tiranë, 2000.

[فراشيري، مهدي. **ألبانيا والألبان في التاريخ القديم.** ط2. تيرانا: د. ن، 2000].

Muhedin, Ahmet. **Rreth përhapjes së Islamit tek Shqiptarët**, Shkodra: Klubi Kulturor "Drita", 1997.

[محيي الدين، أحمد. "**حول انتشار الإسلام عند الألبان**". شكودرا: النادي الثقافي "نور"، 1997].

باللغة البلغارية:

Zhelyazkova, Antonina. (1997). "Formirane na myusyulmanskite obshnosti i kompleksite na balkanskite istoriografii". **Myusyulmanskite obshtnosti na Balkanite i v Bulgariya. Istoricheski eskizi.** Sofia: International Centre for Minority Studies and Intercultural Relations Foundation.

[جليازكوفا، أنطونيا. " تكوين المجتمعات الإسلامية و تأريخ البلقان". **المجتمعات الإسلامية في البلقان و بلغاريا: مقتطفات تاريخية**. صوفيا: المركز الدولي لدراسة الأقليات و مؤسسة العلاقات بين الثقافات.]

<u>**باللغة العربية:**</u>

<u>المطبوعة:</u>

القرآن الكريم

بروكلمان، كارل. **تاريخ الشعوب الإسلامية**. نقله إلى العربية نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي. بيروت: دار العلم للملايين، 1997.

حسون، علي. **العثمانيون والبلقان.** بيروت : المكتب الإسلامي، 1986.

خوند، مسعود. **الموسوعة التاريخية الجغرافية.** جونية: دار رواد النهضة، 1994.

شاكر، محمود. **المسلمون تحت السيطرة الشيوعية.** بيروت: المكتب الإسلامي، 1979.

"المشيخة الإسلامية ومؤسساتها" (منشور المشيخة). (شكوب [سكوبيا]: مطابع آلبينا غولد، 1997م).

موسوعة عالم الأديان. بيروت: دار نوبليس، 2004.

<u>الإلكترونية:</u>

"الأقليات المسلمة: مائة مليون .. فقر وتهميش اجتماعي وسياسي". <u>الجزيرة نت: المعرفة.</u>

.www.aljazeera.net
.2004/10/3

الحوالي، سفر بن عبد الرحمن، **الملامتية**.
.http://www.alsoufia.com/s/articles.php?id=365
21.10.2005

المهدي، علي، "المسلمون في مقدونيا: مأساة كبيرة"، **الإسلام اليوم**، 2003/2/9.
http://www.islamtoday.net/articles/show_articles_content.cfm?id=37&catid=105&artid=1805
20.9.2005

"الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية ".
.14.2.2006 ، http://www.daraleman.org/tarika/Al-Tareef.htm

مقابلات:

رجب، سليمان (رئيس العلماء في مقدونيا)، مقابلة مع "مركز التوثيق و المعلومات للأقليات في أوروبا CEDIME"، أجريت في سكوبيا بتاريخ 12 شباط 1999.

In English:

Print:

Alexander, Stella. **Church and State in Yugoslavia since 1945**. Cambridge: Cambridge University Press, 1979.

Census 1994. **Data on the Present and the Future: First Results**. Skopje: Republic Statistic Office, 1994.

Central and Southeastern Europe. 2006. 6th ed. London: Europa Publications, 2005.

Central and Southeastern Europe. 2005. 5th ed, London: Europa Publications, 2004.

Eminov, Ali. **Turkish and other Muslim Minorities in Bulgaria**.London: Hurst & Company, 1997.

Fraenkel, Eran. “Turning a Donkey into a Horse: Paradox and Conflict in the Identity of Makedontsi Muslimani” in **Balkan Forum**, *An International Journal of Politics and Culture*, Vol. 3 No. 4 (13), December 1995, pp. 157-161.

Friedman, Francine. **The Bosnian Muslims: Denial of a Nation**. Boulder, Colorado: Westview Press, 1996.

Gaber, Natasha. "The Muslim Population in FYROM (Macedonia): Public Perceptions", In Hugh Poulton & Suha Taji-Farouqi (Eds), **Muslim Identity and the Balkan State**. London: Hurst & Company (In association with the Islamic Council).

Inalcik, Halil (ed.) with Donald Quataert. **An Economic and Social History of the Ottoman Empire 1300-1914.** Cambridge: Cambridge University Press, 1994.

Lampe, John R. **Yugoslavia as History: Twice there was a country.** Cambridge: Cambridge University Press, 2005.

Magocsi, P. R. **Historical Atlas of Central Europe**. Revised and expanded edition. Seatle: University of Washington Press, 2002.

Melton, J. G. & Baumann, M. (eds). **Religions of the World: A Comprehensive Encyclopedia of Beliefs and Practices**. Santa Barbara: ABC Clio, 2002.

Najcevska, Mirjana. “The legal position of the Muslim community in the Republic of Macedonia”. **Balkan Fourm: An International Journal of Politics, Economics and Culture,** (June 1994), vol 2, No.2, p.164.

Najcevska, M. & Simoska, E. & Gaber, N. "Muslims, state and society in the Republic of Macedonia: the view from within". **Muslim Communities in the New Europe,** Gerd Nonneman & Tim Niblock, and Bogdan Szajkowski (Eds). Reading: Ithaca Press

Norris, H. T. **Islam in the Balkans: Religion and Society between Europe and the Arab World**. Columbia, South Carolina: University of South Carolina Press, 1993

Ortakovski, Vladimir. **Minorities in the Balkans**. Ardsley, New York: Transnational Publishers, 2000.

Poulton, Hugh & Taji-Farouki, Suha (Eds.). **Muslim identity and the Balkan state.** Washington : New York University Press, 1997.

Poulton, Hugh. **Who are the Macedonians.** 2nd ed. London: Hurst & Company, 1995.

Ramet, Sabrina P. **Balkan Babel.** 4th ed. Boulder, Colorado: Cambridge Westview Press, 2002.

Electronic:

Kionova, Maria. **Minorities in Southeast Europe: Muslims of Macedonia,** 2005 , www.greekhelsinki.gr.

The World Factbook, "Macedonia". 20.10.2005. http://www.cia.gov/cia/publications/factbook/geos/mk.html.

القسم الرابع:

تاريخ العلاقات الإسلامية اليونانية

و

أحوال المسلمين في اليونان

تأليف

سعيد إبراهيم كريديه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يعود الوجود الإسلامي في اليونان للقرن الرابع عشر الميلادي، ومع ذلك يعتبر هذا الوجود من القضايا التي يجهلها الكثير من مسلمي العالم، حتى أن بعضهم لا يعلم أن في هذا البلد جالية إسلامية تعاني من عدة مشاكل تهدد وجودها و استمراريتها في هذه المنطقة من جنوب شرق أوروبا. وهنا يقع اللوم على المسلمين أنفسهم بسبب فرقتهم و قلة اهتمامهم بالإعلام وعلومه ومن ندرة دراساتهم التي تتابع أوضاع الأقليات الإسلامية في العالم. ومن جهةٍ أخرى دأبت الحكومات اليونانية المتعاقبة خلال القرن الماضي إلى إنكار ونفي أي مواقف سلبية تجاه المسلمين لديها، و خاصة أن السواد الأعظم من هؤلاء المسلمين هم أتراك، لذلك فإن أي تسرب لأخبار سيئة عنهم سوف ينعكس على العلاقات بين اليونان والجارة الشرقية تركيا التي يجمع بينهما تاريخ طويل وقديم من الحروب والكراهية. كذلك تحرص اليونان على أن لا تقحم الوجود الإسلامي لديها في أي اتصالات مع العالم العربي وخاصة دول الخليج لما تمثله من مصادر مربحة في مجالات الاستثمار و السياحة و حتى فرص العمل للشعب اليوناني.

ومنذ العقد الأخير للقرن العشرين قدم إلى اليونان مهاجرون مسلمون من ألبانيا والعراق ومصر وباكستان ونيجيريا وشمالي إفريقيا بهدف العمل في هذا البلد مستفيدين من عضويته في الإتحاد الأوروبي. وقد تركز سكن معظم هؤلاء المهاجرين في أكبر تجمع سكاني مُدني في اليونان وهو العاصمة أثينا وضواحيها، فظهر تحدٍ جديد للمجتمع اليوناني لم يألفه من قبل، فهو مجتمع منسجم و متجانس ديمغرافياً في العِرق و الدين و اللغة، فاللغة اليونانية والديانة المسيحية-الأورثوذكسية هما الحجر الأساس لشخصية و هوية المواطن اليوناني. وإذا علمنا أن عدد كبير من هؤلاء المهاجرين دخلوا البلاد بطريقة غير شرعية أضف على ذلك تداعيات أحداث 11 أيلول 2001 وما تبعها من كراهية للمسلمين نستطيع أن نعلم كم وضع المسلمين في اليونان حرجاًُ.

هدف هذا البحث هو دراسة أوضاع المسلمين في اليونان من خلال تسليط الضوء على مشاكلهم و معاناتهم، وهي مشاكل يجهلها الكثير في العالم العربي، وربما هي أيضاً مشاكل ينفرد بها مسلمو اليونان إذ لا توجد مع مسلمين في مناطق أخرى من العالم، فلعل من خلال استعراض هذه المشاكل يأتي الحل لأن معرفة المشكلة هي أول الطريق لحلها.

لقد كانت أول صعوبة واجهتها في هذا البحث هي ندرة المراجع العربية المتعلقة بهذا الموضوع، فمعظم المعلومات صادرة إما باللغة التركية أو اليونانية أو باللغات الأوروبية الأخرى، فكم حري بنا نحن العرب الذين تكلم لغة القرآن الكريم أن تكتب عن هذا الموضوع و بتجرد و حياد. ومن هنا كانت فكرة هذا البحث.

قسم البحث إلى ستة أقسام، القسم الأول يتناول التعريف بدولة اليونان، والقسم الثاني نبذه تاريخية عن دولة اليونان الحديثة، أما القسم الثالث فيسرد تاريخ العلاقات الإسلامية اليونانية منذ فجر الإسلام وحتى الحرب العالمية الأولى، أما عدد المسلمين وتواجدهم في اليونان فسَيُبْحث في القسم الرابع، والقسم الخامس يعرض

الأوضاع القانونية و الاقتصادية لمسلمي اليونان، وسيعالج القسم السادس التحديات و المشاكل التي يواجهها المسلمون في اليونان مع إبراز بعض الحلول لهذه المشاكل، وأخيراً ينتهي البحث بثبت المراجع.

آمل من الله سبحانه و تعالى أن يجعل هذا البحث لما فيه خير المسلمين و تكون الإفادة منه كبيرة، كما أتمنى أن يكرر هذا العمل الباحثون والمؤرخون العرب كي لا يكون هذا العمل يتيماً ومن دون تكمله،

وفي الختام

الله ولي التوفيق

سعيد إبراهيم كريديه

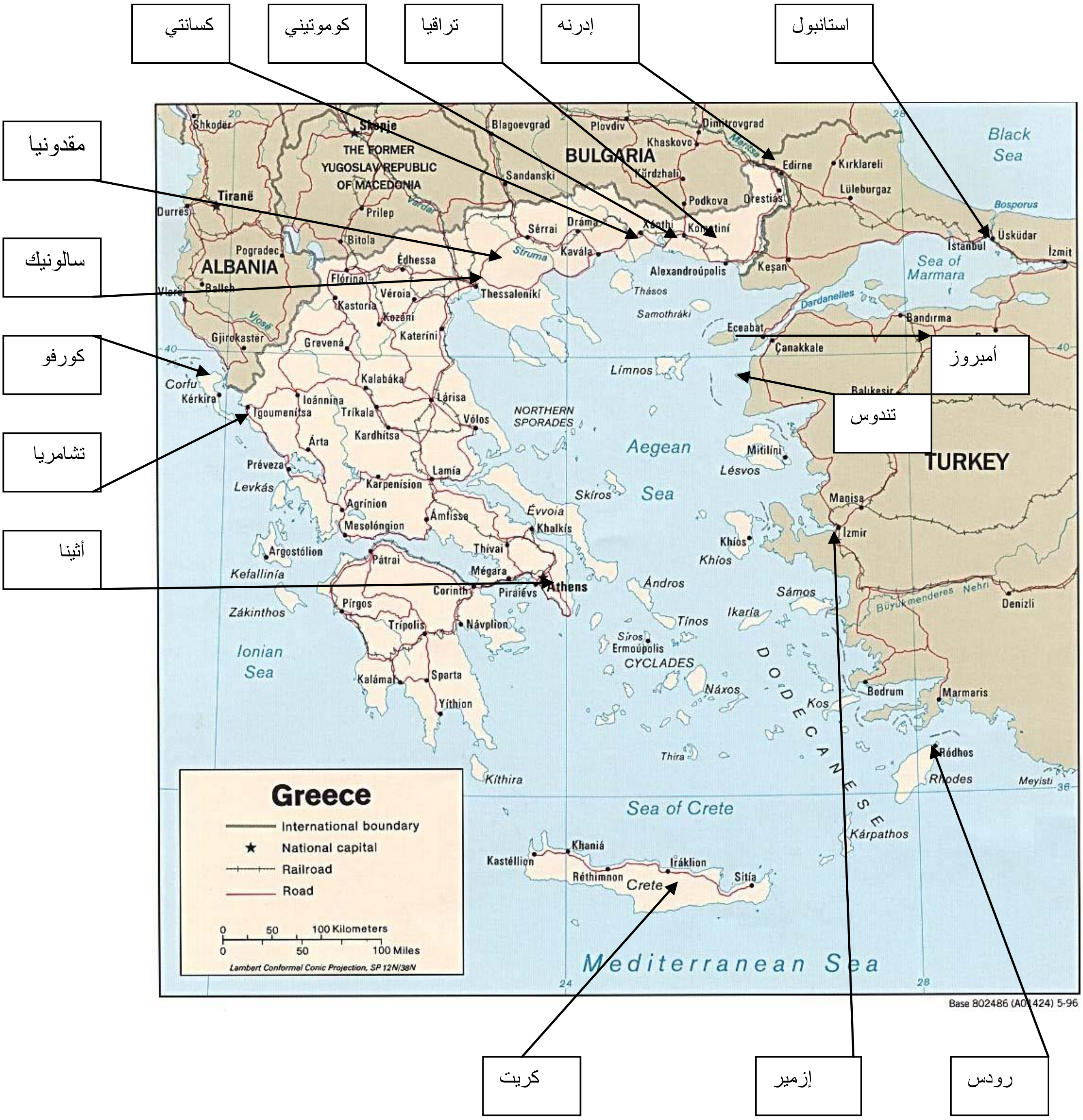
كسانتي
كوموتيني
تراقيا
إدرنه
استانبول
مقدونيا
سالونيك
كورفو
تشامريا
أثينا
أمبروز
تندوس
كريت
إزمير
رودس
Greece
International boundary
National capital
Railroad
Road
0 50 100 Kilometers
0 50 100 Miles
Lambert Conformal Conic Projection, SP 12N/38N
BULGARIA
ALBANIA
TURKEY
THE FORMER YUGOSLAV REPUBLIC OF MACEDONIA
Black Sea
Sea of Marmara
Aegean Sea
Ionian Sea
Sea of Crete
Mediterranean Sea
Athens
Thessaloníki
Crete
Rhodes
Base 802486 (A01424) 5-96

1. دولة اليونان

اليونان جمهورية تقع في جنوبي شرق القارة الأوروبية و يحدها من الجنوب البحر الأبيض المتوسط ومن الشرق تركيا وبحر إيجه الذي يفصلها عن آسيا الصغرى، أما من في الشمال فيحدها ثلاث دول هي بلغاريا ومقدونيا وألبانيا، وفي الغرب يحدها البحر الأيوني. تبلغ مساحة اليونان 131,957 كلم^2 (أي أنها أكبر من لبنان بحوالي 13 مرة تقريباً) وتتألف من شبه جزيرة كبيرة وعشرات الجزر المبعثرة في بحري إيجه و المتوسط و الأيوني أهمها جزيرة كريت وهي أكبر الجزر اليونانية وتقع في البحر الأبيض المتوسط (مساحتها 8,336 كلم^2) وتبعد 97 كلم عن الساحل اليوناني، وجزر رودوس ولسبوس وكيوس وساموس في بحر إيجة و جزيرة "كورفو" في البحر الأيوني. (أنظر إلى الخريطة في نهاية المقدمة).

يبلغ عدد سكان اليونان حسب إحصاء عام 2003 حوالي 11,018,400 نسمة (الكثافة السكانية 83.5 في الكلم²)، أكبر المدن أثينا وهي العاصمة وتعتبر من أقدم مدن الدنيا، عدد سكانها حوالي 748,000 نسمة ومع الضواحي حوالي 3,1 مليون بما فيها مدينة بيروس Piraeus التي تعد المرفأ الرئيس لأثينا، ثم هناك مدن سالونيك أو تسالونيكي Thessaloniki (363,987) و لاريسا Larisa و فولوس Volos و هراكليون (عاصمة كريت) Iraklion و باتراس Patras و كلها أكثر من 100,000 نسمة.

يؤلف اليونانيون حوالي 95% من السكان، والباقي أقليات منها 1,5% مقدونيون و 0.9% أتراك و 0.6% ألبان. أما الدين فهناك 98% من الشعب أورثوذكس و 1,3% مسلمون و 0,7% آخرون (يهود و كاثوليك و بروتستانت).(1) أما اللغة الرسمية فهي اليونانية، والعملة هي اليورو.

---

(1) **The 21st Century World Atlas**. Naples, Florida: Trident Press International, 1998, p 589.

2. نبذه تاريخية عن دولة اليونان الحديثة

في عام 1832م أُعلنت اليونان دولة ذات سيادة نظام الحكم فيها ملكي و مستقلة عن الإمبراطورية العثمانية. ومنذ ذلك الوقت وحتى اندلاع الحرب العالمية الأولى (1914–1918) تمددت هذه الدولة إقليمياً على حساب جيرانها فكبرت مساحتها وزاد عدد سكانها. وفي السنوات الثلاث الأولى للحرب بقيت على الحياد، لكن في عام 1917 تغير الحكم في اليونان ودخلت البلاد الحرب إلى جانب فرنسا وبريطانيا وإيطاليا والولايات المتحدة والذين عرفوا بالحلفاء ضد ألمانيا والنمسا وبلغاريا والدولة العثمانية الذين عرفوا بالدول الوسطى. وخلال العامين 1919 و 1920 خاضت اليونان حرباً مع تركيا انتهت بتوقيع معاهدة لوزان عام 1923م التي نصت على تبادل سكاني بين البلدين و اعتراف ضمني لليونان بتخليها عن التمدد إلى الأناضول و تراقيا الشرقية. في عام 1935 عادت الملكية إلى البلاد بعد أن كانت قد أُلغيت عام 1914. وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية ظلت اليونان حيادية إلى أن هاجمتها إيطاليا عام 1940 عبر الحدود الألبانية. تمكن الجيش اليوناني من صد الهجوم فتدخلت ألمانيا النازية واجتاحت اليونان عام 1941، فهرب الملك إلى لندن ومن ثم إلى القاهرة. في عام 1944 انسحب النازيون من اليونان إثر اندلاع عمليات

مقاومة يونانية مدعومة من بريطانيا وفي عام 1946 اندلعت حرب أهلية في اليونان بين الشيوعيين والحكومة اليمينية المدعومة من بريطانيا والولايات المتحدة انتهت عام 1949 بدحر الشيوعيين. وفي عام 1952 أصبحت اليونان عضواً في حلف شمال الأطلسي، و بين عامي 1967 و 1974 حكم اليونان طغمة عسكرية كان لها دور في وقوع انقلاب عسكري في قبرص عام 1974 ضد رئيسها الأسقف مكاريوس، و قد أدى هذا الانقلاب إلى تدخل عسكري تركي في الجزيرة قضى باحتلال 37% من أراضيها (و مازال الوضع كذلك حتى الآن). انهارت الحكومة العسكرية في نفس العام وعادت الحياة السياسية المدنية إلى البلاد. والآن اليونان عضو في الإتحاد الأوروبي التي انضمت إليه عام 1981 و لها علاقات مع معظم الدول العربية والإسلامية وإسرائيل.

3. لمحة موجزة عن تاريخ العلاقات الإسلامية اليوناني

تعود العلاقات الإسلامية اليونانية إلى فجر الإسلام حين كان المسلمون العرب يواجهون الروم البيزنطيين أسلاف الشعب اليوناني الحالي. وقد تميزت هذه العلاقات بالفتور و التوتر، واستمرت كذلك مع المسلمين السلاجقة والعثمانيين الذين استلموا دفة الصراع مع البيزنطيين فيما بعد. ويمكن القول أنه بعد توقيع معاهدة لوزان عام 1923م بين تركيا واليونان لم يعد هناك علاقات رسمية بين العالم الإسلامي والعالم الأرثوذكسي اليوناني، فبعد ذلك التاريخ تخلت تركيا أكبر جارة مسلمة لليونان عن الخلافة الإسلامية وتحولت إلى دولة علمانية، أما اليونان فلم تعد حامية الأرثوذكس كما كانت أيام الأمبراطورية البيزنطية فأخذ النزاع بين تركيا و اليونان شكله القومي أي نزاع تركي–يوناني يخص هذين البلدين فقط. لذلك يمكن تقسيم مراحل العلاقات الإسلامية اليونانية إلى فترتين:

1- الفترة العربية: وتشمل عصر صدر الإسلام والعهدين الأموي والعباسي.

2- الفترة التركية: وتشمل الحقبتين السلجوقية والعثمانية.

3.1 الفترة العربية

لم تكن هذه الفترة على وتيرة واحدة بل تميزت بأوقات سلام وحرب و أحياناً تفاعل تقافي بين المسلمين و المفكرين اليونان، وقد انتهت هذا الفترة مع سقوط بغداد بأدي التتار عام 1258م. تقسم هذه الفترة إلى العصور التالية:

3.1.1 عصر صدر الإسلام:

خلال أيام البعثة النبوية أنزل الله سورة "الروم" حين كان المسلمون مازالوا في الحجاز والروم في بلاد الشام[1]. أما أسباب نزول هذه السورة فهي وصول الأخبار إلى مكة حوالي عام 614–615م عن انتصار الفرس على الروم في الشام، إذ كان الفرس والروم في ذلك الوقت من أقوى دول الأرض و بينهما من الحروب والقتال ما يكون بين الدول المتوازنة. وكان الفرس مشركين يعبدون النار، والروم أهل كتاب ينتسبون إلى التوراة والإنجيل وهم أقرب إلى المسلمين من الفرس، فكان المؤمنون في مكة

(1) آلم ۞غُلبتِ الروم ۞ في أدنى الأرض و هم من بعد غَلَبِهم سَيَغْلِبون۞ في بِضْعِ سنين لله الأمرُ من قبلُ و من بعدُ و يومئذٍ يفرحُ المؤمنون۞ (الآيات 1–4)

يحبذون غلبتهم و انتصارهم على الفرس، وكان المشركون . لاشتراكهم والفرس في الشرك . يحبذون انتصار الفرس على الروم.

لكن في ذلك العام ربح الفرس المعركة ضد الروم فغلبوهم غلبا لم يحط بملكهم بل بأدنى أرضهم، ففرح بذلك مشركو مكة وحزن المسلمون. فقام المشركون يجادلون المسلمين كيف أن أصحاب الكتاب قد غُلبوا وأن المشركين سيغلبون المسلمين أصحاب الكتاب كما غلب الفرس الروم، فنزلت هذه السورة وكان بها تنبأ بإنتصار الروم على الفرس في بضع سننين و يومئذٍ يفرح المسلمون لذلك، وهذا ما حدث.

وفي العام السابع الهجري (629م) أرسل النبي محمد ﷺ رسالة إلى قيصر الروم "هرقل" يدعوه فيها للإسلام، وقد أرسلت هذه الرسالة بواسطة رسول اسمة "دحية الكلبي"، لكن هرقل رفض اعتناق الإسلام. وبالإضافة إلى سورة الروم والرسالة التي حملها "دحية" أشار النبي محمد ﷺ بطريقة غير مباشرة إلى الروم وعاصمتهم القسطنطينية في الحديث الشريف:" لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش".(1)

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في **المسند** الجزء 4، ص 335، و الحاكم في **المستدرك على الصحيحين**، الجزء 4، ص 422.

وفي عهد الخلفاء الراشدين عرفت العلاقات الإسلامية اليونانية توتراً شديداً و خاصة اثر معركة اليرموك (636م) التي دارت في فلسطين بين الجيش المسلم بقيادة خالد بن الوليد و الجيش البيزنطي بقيادة ثيودوروس وذلك خلال خلافة عمر بن الخطاب. وكان من نتائج هذه المعركة أن طرد المسلمون البيزنطيين من قلب بلاد الشام ووصلوا إلى تخوم جبال "طوروس" بعدما طردوا الفرس من العراق قبل عام في معركة القادسية. أما في البحر فقد غزا المسلمون جزيرة قبرص عام 648م أيام الخليفة عثمان بن عفان حين كان معاوية بن أبي سفيان والياً على الشام، و قد صالح معاوية أهل قبرص على أن يدفعوا سنوياً جزية مقدارها 7200 ديناراً و يتعهدوا بإبلاغ المسلمين عن أية استعدادات يقوم بها الروم ضدهم. وقد اشترك في هذا الغزو عدد من الصحابة منهم "أبو ذر" و "أبو الدرداء" و "شداد بن أوس" و "عبادة بن الصامت" الذي اصطحب معه زوجته "أم حِرام" و كان من نصيبها أن توفيت و دفنت في تلك الديار و لا يزال لها ضريح هناك.[1] وبعد عام من هذه الغزوة انتزع المسلمون من الروم جزيرة أرواد و عم الإسلام فيها، كما تمكنوا من مهاجمة جزيرة رودس عام 654م من دون النزول فيها.

(1) شاكر، محمود، **المسلمون في قبرص**، بيروت: منشورات العصر الحديث، 1974، ص 14-15.

أخل أهل قبرص بشروط الصلح مع المسلمين فهاجمهم معاوية مرة أخرى عام 654م و سيطر على جميع الجزيرة وأسكن فيها 12,000 من الجند المسلمين وهاجر إليها أهالي بعلبك فنشروا الإسلام وبنوا المساجد.

3.1.2 العصران الأموي و العباسي:

عرفت الفترتين الأموية و العباسية هدوءاً نسبياً بين المسلمين والبيزنطيين تخللها مناوشات متفرقة على الحدود بين العراق و بلاد الشام من جهة و آسيا الصغرى من جهةٍ أخرى. وخلال تلك الفترتين حاول المسلمون احتلال القسطنطينية عاصمة البيزنطيين الجاثمة على الضفة الغربية للبسفور. فقد جرت محاولتين في عهد الأمويين الأولى أيام معاوية والثانية في عهد الوليد بن عبد الملك، كما جرت محاولتين أخربتين خلال الفترة العباسية في عهدي المهدي و الرشيد، لكن جميع هذه المحاولات باءت بالفشل.

أما في البحر فقد تكررت غزوات الأموين لقبرص كلما نقض أهلها عهداً، و ذلك عامي 726م و 743م، إذ لم تكن الجزيرة تحت الحكم الأموي المباشر بل كانت إحدى القواعد التي حيدها الأمويون واعتمدوا على فرض الجزية على أهلها بسبب

انشغالهم بقمع الثورات المتكررة و المطالبة بالحكم من قبل فئات عديدة.[1] وإلى الشمال الغربي من قبرص انتزع المسلمون جزيرة رودس من الروم عام 672م ولم يدم الحكم الإسلامي فيها لأكثر من ثماني سنوات إذ أن قوتهم البحرية لم تتكامل بعد رغم حصارهم للقسطنطينية، ثم عادوا إليها أيام عمر بن عبد العزيز وبقي بها لمدة عام (717م–718م) حين دخلها البيزنطيون وبقوا بها إلى أن غزاها العثمانيون عام 1522م أيام السلطان سليمان القانوني.[2] وإلى الغرب من رودس ضرب المسلمون الأمويون حصاراً بحرياً على جزيرة كريت عام 655م (التي سماها المسلمون "أقريطش")[3] لكنهم لم يتمكنوا من فتحها بسبب ضعف قوتهم البحرية وانشغالهم بجبهات أخرى فبقيت بيد البيزنطيين حتى عام 825م حين وصلت جماعة من عرب الأندلس المسلمين إلى الجزيرة قادمين من الإسكندرية بمصر هرباً من الاضطهاد الذي لاقوه في هذين البلدين، ولم تجد هذه الجماعة مقاومة من السكان إذ لم يكن في كريت قوة كبيرة من البيزنطيين بسبب معاركهم مع الدولة العباسية. وبعد فتح الجزيرة هناك حفر المسلمون خندقاً كبيراً كي يتمكنوا من الدفاع عن المنطقة السهلية التي نزلوا بها واتخذوا من ذلك المكان عاصمة لهم فعرفت باسم "كانديا" المشتقة من كلمة "خندق"، وتُعرف اليوم بمدينة هراكليون و مازالت هي عاصمة الجزيرة.[4] وخلال تلك

---

(1) المصدر السابق، ص 18.

(2) شاكر، محمود، **المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية**، ط2، بيروت: المكتب الإسلامي، 1979، ص 22.

(3) شاكر، محمود، **التاريخ الإسلامي: التاريخ المعاصر: الأقليات الإسلامية**، ط2، بيروت: الكتب الإسلامي، 1995، ص 449

(4) شاكر، محمود، **المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية**، ص 19-20.

الفترة قام المسلمون العرب ببناء المدارس و المساجد في الجزيرة، كما اعتنق قسم كبير من سكان الجزيرة الإسلام بينما بقي قسم آخر على المسيحية و فضلوا سكن الجبال والمناطق البعيدة عن النفوذ الإسلامي الذي زال عن الجزيرة عام 960م بسبب الهجوم البيزنطي عليها.(1) ولما جاء البيزنطيون بدؤوا بحرب إبادة وتهجير وتنصير حتى لم يبق للمسلمين أي أثر.(2)

وفي الجانب الفكري شهدت الحقبة العباسية أول احتكاك ثقافي بين المسلمين والفكر اليوناني. ففي القرن التاسع الميلادي أنشأ الخليفة العباسي المأمون "بيت الحكمة" وجمع فيه المفكرين المسلمين واليونان كي يترجموا أمهات الكتب الفلسفية والعلمية من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية. وكان من أهم نتائج هذه الخطوة هي الحفاظ على المئات من المخطوطات اليونانية المهمة التي انتقلت فيما بعد إلى أوروبا وساهمت في نشوء حركة النهضة في القرن 14 الميلادي. وجدير بالذكر أنه بالإضافة إلى العلاقات الفكرية و الثقافية كانت هناك علاقات تجارية بين العالم الإسلامي و الإمبراطورية البيزنطية.

3.2 الفترة التركية

(1) بكراكي، علي إبراهيم، **تاريخ جزيرة كريت و المهاجرين**، طرابلس [لبنان]: دار المنى، 2004، ص 22.

(2) شاكر، محمود، **التاريخ الإسلامي: التاريخ المعاصر: الأقليات الإسلامية**، ص 449.

لم تبق الحدود الجنوبية لبيزنطة مع العراق و الشام هي منطقة الاحتكاك الوحيدة بين العالمين الإسلامي و الأورثوذكسي البيزنطي، بل ظهر عدو مسلم جديد للبيزنطيين في الشرق و هو الأتراك بفرعيهم السلاجقة و العثمانيين. وقد تميزت هذه الفترة بالعداوة و الحروب بين المسلمين و البيزنطيين ولم يتخللها أي تفاعل ثقافي أو حضاري كما حصل بين المسلمين العرب و البيزنطيين. كما تميزت هذه الفترة بسقوط مناطق حيوية جداً للبيزنطيين بأيدي المسلمين كانت قمتها سقوط كل الأناضول والقسطنطينية.

3.2.1 الحقبة السلجوكية

ينتسب السلاجقة إلى "سلجوق بن دقاق"، وهو زعيم دولة تركية كبيرة كانت تقطن في منطقة واسعة في آسيا الوسطى عرفها المسلمون باسم بلاد ما وراء النهرين أي نهر سيحون (سر داريا Syr Darya)[1] و جيحون (آمو دريا Amu Darya)[2] وتُعرف الآن بغرب تركستان. وفي عام 1037م آلت زعامة هذه القبيلة إلى "طغرلبك" حفيد "سلجوق" فاجتاز بقبيلته منطقة ما بين النهرين متوجها نحو المشرق و استولى على خراسان والري وهمذان وكلها في فارس وأزال عنها الحكم الغزنوي وأقام فيها دولة لقومه عرفت بدولة السلاجقة. في عام 1040 استولى على مناطق واسعة في جنوب

---

(1) و يسمى أيضاً Jaxartes

(2) و يسمى أيضاً Oxus

القوقاز فامتدت دولته إلى بحر قزوين، وفي عام 1054 استنصره الخليفة العباسي "القائم بأمر الله ودعاه إلى بغداد لينقذه من وزيره "البساسيري" الذي كان قد استولى على السلطة واستبد بها، فاستجاب "طغرلبك" لدعوته وزحف إلى بغداد و قضى على "البساسيري"، ثم استولى على مدينة الموصل و آذربيجان و تمت له السيطرة على البلاد الإيرانية من شاطئ نهر سيحون إلى ساحل البحر الأسود ومن شواطئ بحر قزوين إلى خليج عُمان الذي يصل سواحل فارس و الجزيرة العربية بالمحيط الهندي .

وفي الوقت الذي كانت الخلافة العباسية عاجزة عن حماية حدودها بسبب عداوتها مع الخلافة الفاطمية في القاهرة انتهزت الدولة البيزنطية هذه الفرصة وأخذت تغير على الحدود الإسلامية المتاخمة لها وتتوغل في شمال الشام، وفي عام 1063م توفي "طغرلبك" وآلت خلافته إلى ابن أخيه "ألب أرسلان" فتابع مسيرة عمه وتوجه سنة 1071 على رأس جيش لفتح الأناضول الذي كان تحت سيطرة البيزطيين فاستولى على أرمينيا في نفس العام بعد معركة ضارية مشهورة جرت معهم في "ملاذكرت" هزم فيها الجيش البيزنطي وأسر ملكهم "رومانوس الرابع". ونتيجة لهذه المعركة طرد المسلمون السلاجقة البيزنطيين الأرثوذكس من القسم الأكبر من الأناضول وأنشأوا فيما بعد دولة في تلك المنطقة عرفت باسم دولة سلاجقة الروم عاصمتها مدينة "نيقيا Nicaea" أو "إزنيق" Iznik بالتركية -المطلة على بحيرة أزنيق أيضاً غرب الأناضول- و التي فتحوها عام 1078م، و قد ترافق إنشاء هذه الدولة

مع هجرات للترك المسلمين إلى تلك البلاد فعم الإسلام معظم بلاد آسيا الصغرى لأول مرة و صارت تعرف باسم بلاد الأناضول الإسلامية.

3.2.2 الحقبة العثمانية

بعد إنشاء دولة السلاجقة الروم قامت بعض القبائل التركية في آسيا الوسطى و التي اعتنقت الإسلام بعمليات غزو لتكسب أراضي ومغانم. ولكي يتفادى السلاجقة في الأناضول النزاع معها عمدوا إلى إرسالها إلى الشرق لمحاربة البيزنطيين، من هذه القبائل قبيلة أسسها قائد أسمه "عثمان" تمكن من إنشاء إمارة له في شمال غرب الأناضول. و في مطلع القرن الرابع عشر الميلادي انهارت دولة سلاجقة الروم تحت ضغط المغول، فانتفض عثمان ووسع إمارته واستولى في الشرق على مناطق كانت تحت حكم السلاجقة من جانب و مناطق أخذها من البيزنطيين في الغرب، وجعل مدينة "بورصه" عاصمته عام 1326. توسعت هذه الإمارة مع خلفاء عثمان الذين عرفوا باسم "العثمانيين" فاخترقوا العمق البيزنطي وعبروا مضيق الدردنيل إلى البر الأوروبي و احتلوا مدينة "غاليبولي" عام 1354م ليكونوا أول جيش إسلامي يطأ أرض البلقان. و في عام 1361 سقطت بأيديهم مدينة "أدرينوبل" التي أصبحت تعرف باسم "إدرنه" بالتركية(1) ونقلوا العاصمة إليها، وفي عام 1382م فتح العثمانيون صوفيا عاصمة بلغاريا وفي عام 1430 دخلوا مدينة سالونيك وفي عام

(1) لمعرفة موقع هذه المدينة راجع الخريطة في المقدمة.

1389م انتصر العثمانيون على الصرب في معركة كوسوفو التي دارت في قلب البلقان. وكانت قمة العداء بين المسلمين و البيزنطيين حين احتل العثمانيون مدينة القسطنطينية عاصمة البيزنطيين عام 1453م على يد محمد الفاتح و القضاء على الإمبراطورية البيزنطية تماماً وتحويل عاصمتها إلى عاصمة للدولة العثمانية بعد تغيير اسمها إلى "استانبول" التي اعتبرت من أهم المدن الإسلامية في العالم في ذلك الوقت.

تغلغل المسلمون العثمانيون فيما بعد إلى داخل البلقان و أوروبا الشرقية بما فيها الأراضي ذات الأغلبية اليونانية الأرثوذكسية، و أخذت الممالك و المدن المسيحية هناك تتهاوى واحدة تلو الأخرى فسقطت أثينا عام 1456م و بلغراد عاصمة صربيا عام 1521م، وفي عام 1529م وصل العثمانيون الأتراك إلى أسوار فينا كحد أقصى لفتوحاتهم في أوروبا لكنهم لم يدخلوا تلك المدينة بالرغم من محاولتهم مرة أخرى عام 1683م التي انهزموا فيها أمام الجيش النمساوي المدعوم من الجيوش الأوروبية. و جدير بالذكر أنه خلال احتفال الجيوش الأوروبية المسيحية بالانتصار اخترع أحد الطهاة في مدينة فينا خبزاً على شكل هلال مثل الذي كان مرسوماً على علم العثمانيين كي يتسنى للمنتصرين أكل شعار أعدائهم إمعاناً في إذلالهم، فانتشر بعد ذلك هذا الخبر في معظم الأراضي الأوروبية و خاصة فرنسا التي جعلته أحد

أصناف مطبخها التراثي تحت اسم "كراوسان Croissant". وفي عام 1687 و خلال اندلاع الحرب بين الدولة العثمانية و دولة البندقية نزلت قوات من الأخيرة في أثينا و قصفوا جبل الأكروبوليس لوجود مخزن ذخيرة تركي فيه، فتضرر من جراء ذلك معبد "البارثِنون Parthenon" الذي بنا بداخلة العثمانيون مسجد(1). لكن الأتراك تمكنوا في العام التالي من استرجاع الأراضي التي احتلتها البندقية.

أما في البحر فقد سقط في أيدي العثمانيين عام 1523م جزيرة رودس و الجزر المجاورة لها، و في عام 1571م سقطت جزيرة قبرص، أما كريت فقد تأخر فتحها لغاية العام 1669م.

وفي الواقع على ما يؤكده أكثر المؤرخين أنه و على رغم فارق الدين فإن الملة اليونانية لم تشعر أن الحكم العثماني هو قيد خانق عليها. فالعثمانيون قد أدوا لهذه الملة خدمة تاريخية بوصولهم إلى أبواب فينا في الغرب الكاثوليكي، فأخذ اليونان الأورثوذكس بثأر القسطنطينية عاصمة الأورثوذكسية التي كان الصليبيون نهبوها في حملتهم الرابعة على الشرق عام 1204م، كما أن الملة اليونانية كانت تحتل بعد المسلمين المرتبة الثانية في الدولة العثمانية و كان بطريرك القسطنطينية الأورثوذكسي يشغل بعد السلطان و شيخ الإسلام المرتبة الثالثة في هرم الدولة

(1) ما يزال التدمير في هذا المكان قائما حتى الآن بسبب صعوبة الترميم، أما المسجد فقد أزيل تماماً بعد استقلال اليونان عن الدولة العثمانية.

الرسمي. وفضلاً عن ذلك كانت اللغة اليونانية هي لغة السياسة والثقافة والتجارة في القسم الغربي من الإمبراطورية العثمانية وهذا ما دفع بالعديد من الناطقين بالسلافية أو الألبانية أو الرومانية أن يتعلموا و ينطقون اليونانية إضافة إلى أن الأرستقراطية البيزنطية القديمة التي كانت تقطن حي الفنار في استانبول كانت ذات نفوذ اقتصادي وثقافي هائل وكان سكان هذا الحي يشعرون بتفوق حضاري كبير عند مقارنة أنفسهم بفلاحي البر اليوناني.[1]

ومع حلول القرن السابع عشر بدأ النفوذ الإسلامي العثماني يضمحل في أوروبا الشرقية حتى انحسر عنها خلال العقد الأول للقرن العشرين باستثناء بقعة تشمل مدينتي استانبول و إدرنه و مضيقي البسفور و الدردنيل، وقد خلّف هذا التقهقر العثماني التدرجي إعادة ظهور معظم الدول المسيحية التي قهرها العثمانيون بما فيها دولة اليونان التي استقلت عن الأتراك عام 1832م. بدأت ثورة الاستقلال اليوناني عام 1821 حين كانت الدولة العثمانية منهمكة في إخماد ثورة علي باشا في ألبانيا وفي مواجهة التحديات و التهديدات الروسية و الفارسية. قام الثوار اليونان في ذلك العام بقتل 20,000 مسلم في منطقة "بِلوبونِّس Peloponnese"[2] و تدمير قراهم و

---

(1) الخوند، مسعود، **المسلمون في الفضاءات غير العربية و غير الإسلامية: الأقليات المسلمة في العالم**، بيروت: الشركة العالمية للموسوعات، 2005، ص 255.

(2) تقع في جنوب اليونان.

هدم مساجدهم و تسميم و إغلاق آبار الماء التي يشربون منها.[1] رد الأتراك على هذه المجزرة بإعدام البطرك اليوناني في استانبول و تسهيل حملة قتل ضد اليونانيين في الدولة العثمانية. إلا أن قتل اليونانيين داخل الدولة العثمانية لم يكن له مفعول سلبي على مجرى الثورة في اليونان حيث تمكن الثوار من إخراج الجيش العثماني من منطقة بِلوبونِّس عام 1822م و تأليف حكومة يونانية بعد قتال داخلي بين اليونانيين أنفسهم على اختيار أعضاء هذه الحكومة. في هذه الأثناء فرغ العثمانيون من القضاء على ثورة علي باشا في ألبانيا وانتقلوا إلى إخماد الثورة في اليونان. فطلبوا المساعدة من حاكم مصر "محمد علي باشا" الذي لبى النداء وأرسل ابنه إبراهيم إلى اليونان فنجح في غزو منطقة بِلوبونِّس وهزم القوات اليونانية التي عجزت عن مضاهاة الجيش المصري المدرب تدريبا جيداً فاستعاد البِلوبونِّس في عام 1826م. إلا أن هذا الانتصار لم يرح الدول الأوروبية فأرسلت كل من روسيا و فرنسا و بريطانيا إنذاراً إلى التحالف التركي المصري بالتدخل العسكري في حال لم يوقف القتال وتوقع هدنة بين الطرفين. لم تتوقف المعارك ونفذت الدول الأوروبية الثلاث تهديدها واشتبك أسطولها عام 1827 مع الأسطول العثماني في معركة "نافارينو Navarino" في خليج "بيلو Pylos" جنوب غرب البِلوبونِّس. انسحب المصريون من البِلوبونِّس وسلموها للفرنسيين الذين بدورهم أعطوها لليونانيين. و في

(1) "Mani: A guide and history: Modern history, 1821-", http://users.macunlimted.net/maniguide/indmod.html, 23/5/2005.

ظل الحماية الفرنسية تمكن اليونانيون من تجميع قواهم و تأليف حكومة جديدة، كما تقدموا ميدانياً لأخذ أكبر عدد من الأراضي قبل أن تصدر القوى الأوروبية الثلاث قراراً يقضي بوقف إطلاق النار، فأخذوا أثينا. وفي تموز من عام 1832 عقدت معاهدة القسطنطينية بين هذه الدول الأوروبية الثلاث و الدولة العثمانية حيث اعترفت الأخيرة بسيطرة اليونانيين على كامل البِلوبونِّس و أثينا في إطار دولة مستقلة بالرغم من بقاء مابين ثلثي و ثلاثة أرباع الشعب اليوناني خارج حدود تلك الدولة.[1] ومنذ تلك الفترة و حتى عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى طبقت اليونان نواحٍ عدة من "الفكرة الكبرى Megali Idea"[2] فخاضت حربي البلقان الأولى (1912) [3] و الثانية (1913م) [4] و تمددت على حساب جيرانها و خاصة الجارة المسلمة الدولة العثمانية فاستعاد اليونانيون مناطق واسعة جداً وصولاً إلى مدينة سالونيك (عام 1912) ومنطقة "تشامريا Çamëria"[5] (عام 1912) وجزيرة كريت (عام 1913) و منطقة مقدونيا بالإضافة إلى عدد كبيرمن جزر بحر إيجه، فزادت مساحتها بنسبة 68% وتضاعف عدد سكانها تقريباً،[6] و جميع هذه المناطق كانت تحوي على أقليات إسلامية لا بأس بها مما جعل رعايا مسلمين خاضعين لدولة

---

(1) "Migali Idea", Wikipedia, **http://en.wikipedia.org/wiki/Megali_Idea**, 25.6.2006.

(2) "الفكرة الكبرى Migali Idea" مفهوم قومي يوناني يقوم على إنشاء دولة يونانية كبيرة تضم كل الإثنيات اليونانية في جنوب البلقان و آسيا الصغرى و جعل القسطنطينية عاصمة لهذة الدولة لإسترجاع أمجاد الأمبراطورية البيزنطية)

(3) وقعت هذه الحرب بين صربيا و اليونان و رومانيا و الجبل الأسود و بلغاريا من جهة و الدولة العثمانية من جهةٍ أخرى.

(4) وقعت هذه الحرب بين صربيا و اليونان و رومانيا و الجبل الأسود و الدولة العثمانية من جهة و بلغاريا من جهةٍ أخرى

(5) تقع هذه المنطقة الآن على الحدود الجنوبية لليونان مع ألبانيا قبالة جزيرة كورفو. (راجع الخريطة في المقدمة)

(6) "The Balkan Wars, 1912-13", **http://www.gogreece.com/learn/history/balkanwar_1912.html,** 1.6.2006

يونانيـة مسـيحية بعـد أن كـان اليونـان خاضـعين للدولـة الإسـلامية. وعنـدما اسـتقلت اليونان بدأت تمارس ضغوطاً عنيفة ضد المسلمين وخاصـة فـي مدينـة سالونيك و فـي مقدونيا،[1] كمـا طـردت المسلمين الألبـان مـن منطقـة تشـامريا إلـى داخـل ألبانيـا، و نتيجـة لهـذه الضـغوط غـادر اليونـان حتـى انـدلاع الحـرب العالميـة الأولـى حـوالي 1,200,00 مسلم.[2]

انـدلعت الحـرب العالميـة الأولـى فـي آب 1914 فدخلتها الدولـة العثمانيـة إلـى جانـب معسكر الدول الوسطى الذي ضم ألمانيا و النمسا–المجر ضـد معسكر الحلفـاء الذي ضم عدة دول أوروبية منها فرنسا و بريطانيا و روسيا و صـربيا و بقيت اليونـان علـى الحيـاد حتـى العـام الأول للحـرب. ففـي أواخـر أيلـول مـن عـام 1915 أعلنـت بلغاريـا التعبئـة العامـة ضـد الحلفـاء فردت كل من فرنسـا و بريطانيا علـى هذه الخطوة بإنزال قواتهما إلى مدينة سالونيك في شمال اليونـان وذلك لمواجهـة أي هجوم بلغاري باتجـاه صربيا و لحمل اليونان على دخول الحرب إلى جانب الحلفاء. لكن الحكومـة اليونانيـة برئاسـة "إليـوثروس فنيزلـوس Eleutherios Venizelos" والمواليـة للحلفـاء كانـت قـد عُزلت من قِبل الملك "قسطنطين" الأول بحوالي أربـع سـاعات قبل نـزول الحلفـاء فـي

---

(1) لمزيد من المعلومات عن هذه الضغوط أنظر المرجع التالي:
Mazower, M, **Salonica City of Ghosts: Christians, Muslims and Jews, 1430-1950**, London: HarperCollins Publishers, pp: 332-355.

(2) شاكر، محمود، **التاريخ الإسلامي: التاريخ المعاصر: الأقليات الإسلامية**، ص 450.

مرفأ سالونيك.[1] وكان الملك "قسطنطين" الأول قد تعلم في ألمانيا وتدرب في جيشها و تزوج من الأميرة صوفيا أخت قيصر ألمانيا وليم الثاني فكان منحازاً عند اندلاع الحرب العالمية الأولى لمعسكر الدول الوسطى أكثر من الحلفاء. وفي عام 1916 ألف فنيزلوس رئيس وزراء اليونان السابق حكومة مؤقتة في مدينة سالونيك معادية للنظام الحاكم في أثينا. وفي عام 1917 تعاون فنيزلوس رئيس وزراء اليونان مع بريطانيا و فرنسا على إقصاء الملك "قسطنطين" فنُصِّب مكانه ولده الثاني "إسكندر" و ما كان من فنيزلوس الذي تبوأ مركز رئاسة الوزراء إلا أن انضم إلى الحلفاء في الحرب فوعدوه مقابل ذلك بتحقيق "الفكرة الكبرى"[2] من خلال السماح لليونان باحتلال أجزاء واسعة من غربي الأناضول بما فيها مدينة إزمير بالإضافة إلى منطقة تراقيا الشرقية و جزيرتي "إمفروس Imvros" (تدعى غوكجِه آدا Gökçeada باللغة التركية) و جزيرة "تِنِدوس Tenedos" (تدعى بوزجاآدا Bozcaada باللغة التركية) [3] اللتين تقعا على مدخل مضيق الدردنيل،[4] و كل هذه الأراضي تابعة للدولة العثمانية ومعظمها بها نسبة عالية من المسلمين.

---

(1) Forster, Edward S., **A Short History of Modern Greece: 1821-1956**, 3rd ed revised and englarged by Doulas Dakin, London: Methuen & Co. Ltd, 1958, p. 89.

(2) Hirschon, Renée (Ed). **Crossing the Aegean: An Appraisal of the 1923 Compulsory Population Exchange Between Greece and Turkey**. New York: Berghahn Books, 2004, p 4.

(3) “Greco-Turkish War (1919-1922)”, **http://en.wikipedia.org/wiki/Greco-Turkish_War_(1919-1922)**, 2.6.2006.

(4) راجع الخريطة في المقدمة.

وفي مؤتمر الصلح الذي افتتح في باريس بعد الحرب في 18 كانون الثاني عام 1919 طالب فنيزلوس في شباط من ذلك العام باحتلال مدينة إزمير[(1)] (أو سميرنا Smyrna) الميناء التركي على بحر إيجه[(2)] و التي تحوي على جالية يونانية كبيرة. وقد رأى لويد جورج Lloyd George رئيس الوزراء البريطاني في هذا الطموح اليوناني منفعة لبلاده من خلال استبدال العثمانيين باليونانيين لحماية الطريق البحري إلى الهند، كما اعتبر الرئيس الأميركي "ولسون Wilson" أن الاحتلال اليوناني لإزمير سيحد من نفوذ الإيطاليين في تلك المنطقة. وفي أيار من نفس العام أعطى المجلس الأعلى للحلفاء الإذن لليونان باحتلال إزمير، وفي الخامس عشر من ذلك الشهر نزلت قوة يونانية في المدينة قوامها 20,000 جندي يوناني مدعومة من السفن الحربية البريطانية و الفرنسية و الأميركية. وقد رحبت جماهير غفيرة من اليونانيين المقيمين في ازمير بالقوات اليونانية الغازية واعتبرتها قوات أتت لتحريرهم من نير الحكم العثماني الذي بدأ منذ قرون.[(3)]

في بادئ الأمر لم يستوعب الشعب التركي نزول القوات اليونانية المعادية على أرض الأناضول، فكان وقع هذا الاحتلال على نفوس الأتراك أسوأ من لو قامت به أي قوى

---

(1) Forster, Edward S., **A Short History of Modern Greece: 1821-1956**, 3rd ed revised and englarged by Doulas Dakin, London: Methuen & Co. Ltd, 1958, p. 135.

(2) راجع الخريطة في المقدمة.

(3) Barber, Noel, **The Lords of the Golden Horn: From Suleiman the Magnificient to Kamal Ataturk**, London: MacMillan, 1973, pp. 240-241.

غربيـة أخـرى معاديـة لهـم خصوصـاً أن اليونـانيين كـانوا إحـدى الشـعوب التـي كانـت خاضعة بشكل مباشر لحكم الدولة العثمانيـة،[1] كما شكّل الاحتلال اليونـاني لإزمير ضـربة قاسية و مؤلمـة جداً لهم و خاصـة عنـدما قـام اليونـانيون فـي إزمير وجوارهـا بـاقتراف مجازر رهيبـة ضـد المسلمين. عندئذٍ تحركت العناصـر الوطنيـة التركيـة فـي الأناضـول و أنشأت مجموعات من المجاهدين أعلنت الثورة علـى القوات اليونـانيـة، و سرعان ما انضمت إلى هذه المجموعات قوات نظامية على رأسـها ضـباط من هيئة أركـان الحـرب، و قد ترأس هذه الحركة المقاومـة القائد مصـطفى كمـال. [2] وفـي عـام 10 آب 1920 وقعت الدولـة العثمانيـة معاهـدة "سِـفر Sèvres" مـع الحلفـاء و التـي اعتبرها الأتراك مذلة حيث تقاسم الحلفاء معظم الأراضـي العثمانية مثلما تقسم الكعكة في المناسبات السعيدة، إذ كـان من بنود هذه المعاهدة إعطـاء اليونـان تراقيا الشرقية ووضـع مدينـة إزميـر تحـت الإدارة اليونانيـة لمـدة خمـس سـنوات يـتم بعـدها اسـتفتاء يعرف بموجبة ما إذا كان سكان هذه المدينة ينوون الإنضمام كلياً إلـى اليونـان أم لا، كمـا أعطـت هـذه المعاهدة اليونـان أيضـاً جزيرتـي "تنـدوس" و "أمفرس" وبعض جزر بحر إيجه. وفي هذه الأثناء رفض القائد التركي "مصطفى كمال" بنود هذه المعاهدة و عمد إلى محاربة اليونـان. وفي تشرين الأول من عام 1920 تقدم الجيش اليونـاني داخل الأناضـول وراء مدينة إزمير بالرغم من وقوف الحلفاء علـى الحياد الذين سحبوا

(1) المصدر السابق، ص241 ، و أنظر أيضاً:
Lenczowsky, George, **The Middle East in World Affairs,** 3rd ed., Ithaca: Cornell University Press, 1962, p.102-103.

(2) أصبح فيما بعد رئيس الجمهورية التركية تحت اسم "أتاتورك" أي أبو الأتراك.

تأييدهم لليونان في مهاجمة الأناضول بعد سقوط حليفهم فنيزلوس في الإنتخابات. إلا أن الأتراك بقيادة مصطفى كمال استعادوا المبادرة ومع حلول أيلول من عام 1920 تمكنوا من طرد فلول الجيش اليوناني الذي عاد مهزوماً إلى بلاده تاركاً غربي الأناضول كله للأتراك الذين هجّروا إلى دولة اليونان كل اليونانيين المسيحيين تقريباً منه ومن إزمير انتقاما للهجوم اليوناني على غربي الأناضول، مع العلم أن الحلفاء وخاصة بريطانيا و فرنسا لم يحركوا ساكناً لنجدة اليونان إخوانهم في الدين بالرغم من وجود أساطيلهما في مياه مدينة إزمير. وفي عام 1923م انتهت الحرب بهزيمة نكراء لليونان فوقعت مع تركيا في 24 تموز من ذلك العام معاهدة "لوزان Lausanne " التي تقدي بتغيير الحدود التي رسمت في معاهدة "سفر" و تعديلها لصالح تركيا بما فيها إعادة كل تراقيا الشرقية للأتراك، كما أقرت هذه المعاهدة ما سُمي بالتركية "Nüfus Mübadelesi" أي بتبادل سكاني بين البلدين بحيث تم تهجير نصف مليون مسلم من اليونان إلى تركيا و ترحيل مليون ونصف يوناني من تركيا إلى اليونان،(1) إذ اعتبرت هذه الإتفاقية "الدين" و ليس "العرق" كمعيار لتبادل السكان.

وهكذا و بالرغم من توقيع المعاهدة بين الدولة التركية والدولة اليونانية إلا أنه تم ترحيل المسلمين غير الناطقين بالتركية من اليونان إلى تركيا بما في ذلك السلاف

---

(1) للإطلاع بمعمق عن التبادل السكاني بين تركيا و اليونان راجع:
Hirschon, Renée (Ed**). Crossing the Aegean: An Appraisal of the 1923 Compulsory Population Exchange Between Greece and Turkey**. New York: Berghahn Books, 2004.

والألبـان، وفـي المقابـل تـم إرسـال عـدد كبيـر مـن المسـيحيين الأرثـوذكس النـاطقين بالتركيـة من تركيا إلـى اليونـان لجرد كونهم مسيحيين. وقد استثني من هذه الإتفاقيـة حوالي 110,000 يوناني مسيحي أورثوذكسي بقوا في تركيا 30,000 منهم في مدينـة اسـتانبول منحـوا الجنسـية التركيـة[1] و البـاقي معظمهـم فـي جزيرتـي "إمفـروس Imvros" (و تـدعى غوكجِـآدا Gökçeada باللغــة التركيــة) و جزيــرة "تِنِــدوس Tenedos" (و تـدعى بوزجـاآدا Bozcaada باللغـة التركيـة) علـى مـدخل مضـيق الدردنيل،[2] و قد حصلت هاتان الجزيرتان حسب المعاهدة على وضع محدود من الاستقلالية الذاتية[3]. أما في اليونان فقد بقي في المقابل عدد قليل من المسلمين في منطقة تشامريا[4] ومنطقة تراقيا الغربية التي كانت تحت السيطرة البلغارية من عام 1913 وحتـى عـام 1919 إذ فـي ذلـك العـام وقعـت بلغاريـا المهزومـة فـي الحـرب معاهدة "نويي Neuilly" مع الحلفاء و كان من بنودها سلخ منطقة "تراقيا الغربية" (التي تحوي على عدد كبيرة من المسلمين الأتراك و المسلمين البلغار و التي تقع على الحدود الغربية للدولة العثمانية) وإعطاءها لليونان، و بالرغم من تشكيل حكومة مستقلة للمسلمين فيها في نفس العام فإنها لم تدم أكثر من شهرين و بقيت المنطقة تحت الإدارة البلغارية حتى عام 1918، ثم دخلت لفترة قصيرة تحت الاحتلال

---

(1) "The Greek minority of Turkey", , 3/3/2005
http://www.hri.org/MFA/foreign/bilateral/minority.htm

(2) راجع الخريطة في المقدمة.

(3) Christidis, Yorgos, “The Muslim Minority in Greece”, in Gerd Nonneman & Tim Niblock & Bogdan Szajkowski, **Muslim communities in the New Europe**, Reading: Garnet Publishing Limited, 1996, p. 153.

(4) تقع هذه المنطقة الآن على الحدود الجنوبية لليونان مع ألبانيا تجاه جزيرة كورفو. (راجع الخريطة في المقدمة)

الفرنسي وأخيراً سلمت لليونان اعتباراً من عام 1920.[1] وقد قدر عدد المسلمين الذين بقوا في اليونان بعد عملية التبادل السكاني بحوالي 106,000 نسمة[2] مُنِحوا الجنسية اليونانية، وربما لأنهم مواطنون جدد في الدولة اليونانية فقد بقوا خارج لعبة تبادل السكان، وهؤلاء المسلمون الذين بقوا في اليونان هم معظم مادة هذا البحث.

---

(1) أرن، خالد، "المسلمون في تراقيا الغربية – اليونان" ، **الأقليات المسلمة في العالم: ظروفها المعاصرة، آلامها، و آمالها**، الرياض: الندوة العالمية للطباعة و النشر و التوزيع، 1999، مج3 ، ص 1080.

(2) http://www.hrw.org/reports/1999/greece/Greec991-04.htm , 3/3/2005

4. عدد المسلمين و تواجدهم في اليونان

4.1 فئات المسلمين في اليونان:

ينقسم المسلمون في اليونان حالياً إلى قسمين:

4.1.1 **القسم الأول** و هم المواطنون اليونان الأصليون وينقسمون إلى ثلاثة فئات و هي:

الفئة الأولى و هم الأتراك،

و**الفئة الثانية** هم البوماك (Pomak) وهم البلغاريون السلاف الذين أسلموا عندما دخل العثمانيون المسلمون إلى منطقة البلقان،

و**الفئة الثالثة** هم: الغجر.

وهذه الفئات الثلاثة (أي الأتراك و البوماك و الغجر) هم ما بقي من المسلمين في اليونان بعد توقيع معاهدة لوزان لتبادل السكان مع تركيا عام 1923 والذين كانوا تحت حكم بلغاريا بين عام 1913 و 1918، وجميعهم من أهل السنة تقريباً باستثناء عدد قليل جداً من الشيعة القزلباش.

أما عن العلاقة بين هذه الفئات الثلاث فقد لوحظ تقارب بين الأتراك و البوماك من الخلال التزاوج أو العلاقات الاجتماعية إلا أن هذا التقارب شبه معدوم بين هاتين الفئتين و الغجر الذين يعيشون في جماعات منفصلة و يتعرضون إلى عدة أنواع من التمييز و الكراهية من كل الأطراف.[1]

4.1.2 أما **القسم الثاني** فهم المهاجرون الجدد الذين أتوا إلى اليونان للعمل منذ الثمانينات للقرن العشرين، وهم ينتمون إلى أكثر من 30 دولة موزعة على أوروبا و آسيا و إفريقيا و على رأس هذه الدول: ألبانيا – باكستان – مصر – سوريا – بنغلادش – العراق – نيجريا[2] و أكراد من تركيا و العراق.

---

(1) Poulton, Hugh & Taji-Farouki, Suha, (Eds), **Muslim Identity and the Balkan State**, London: Hurst & Company, 1997, p. 85.

(2) لمزيد من المعلومات عن أسماء الدول التي ينتمي إليها المهاجرون المسلمون في اليونان أنظر الجدول رقم (ج1).

4.2 عدد المسلمين في اليونان

إن أول مشكلة يصادفها أي شخص يدرس وضع المسلمين في اليونان هي عدم وجود إحصاء رسمي و دقيق يعول عليه لمعرفة عدد المسلمين في هذا البلد، لذلك فإن عددهم يختلف من مصدر إلى آخر. فحسب المراجع اليونانية فإن عدد المسلمين في تلك الدولة تراوح عام 1981 بين 112,000 و 120,000 نسمة تتراوح نسبة الأتراك منهم بين 45% و 50% و نسبة البوماك بين 34% و 36% ونسبة الغجر بين 16% و 18%،[1] مع العلم أنه كان عدد المسلمين في اليونان بعد عملية تبادل السكان التي نصت عليها معاهدة لوزان عام 1923م حوالي 106,000 نسمة، أي أن المسلمين زادوا 26,000 نسمة فقط في غضون 58 عاماً؟؟

---

(1) أنظر المصدر السابق و انظر أيضاً:

Hugh, Poulton, "The Turks and Pomaks", http://www.turkishforum.com/thrace/turks_pomaks.html, 3/3/05.

و انظر أيضاً:

Antoniou, Dimitris, A, “Islam In Greece” , **http://www.interkultureller-rat.de/Themen/Archiv/Arbeit_auf_dem_Lande/Islam_auf_dem_Lande/Antoniou.shtml**, 3/3/2005.

غير أن انضمام اليونان إلى الاتحاد الأوروبي سنة 1986 قلب موازين العلاقة بين بلاد الإغريق والمهاجرين رأسا على عقب، فبعد أن كانت اليونان بلدا مصدرا للمهاجرين أصبحت اليوم من أكثر الدول الأوروبية استقبالا لهم، ومما زاد أوضاعها تعقيدا الموقع الجغرافي المتميز بين الشرق والغرب والحدود البحرية والبرية الشاسعة؛ وهو ما جعلها ممر عبور لأنواع عدة من المهاجرين واللاجئين، ناهيك عن الراغبين في الاستقرار فيه بشكل نهائي.

وسواء أتعلق الأمر بمهاجرين اقتصاديين قدموا بهدف الاستقرار المؤقت أو الدائم أم بلاجئين ومهاجرين سريين ينوون اتخاذ البلد محطة عبور انتقالية إلى بقية دول أوروبا الغربية، فإن الثابت أن 80% على الأقل -بحسب مصادر المنظمات غير الحكومية- من مهاجري اليونان ينحدرون من دول إسلامية وعربية، تأتي في مقدمتها ألبانيا المجاورة، ثم دول أخرى كالعراق وإيران ومصر وسوريا وأفغانستان وتركيا(1).

وهكذا فإن الأرقام المذكورة في الأعلى عن عدد المسلمين في اليونان ليست قديمة فقط و لكن لا تشمل عدد المهاجرين المسلمين، فبالرغم من عدم وجود أرقام تحصي

---

(1) شوكت، خالد، "مسلمو اليونان و تحديات الزرق"، اسلام أون لاين نت، 2003/12/10، **www.IslamOnline.net**

هؤلاء إلا أنه بلغ عدد المهاجرين إلى اليونان من دول إسلامية الذين قدموا طلب "البطاقة البيضاء"[1] لعام 1998 حوالي: 272,323 من أصل 371,641[2] يتوزعون حسب الجدول التالي (ج 1) :

جدول ج**1**:

اسم الدولة	عدد المهاجرين منها إلى اليونان
ألبانيا	241,561
باكستان	10,933
مصر	6,231
سوريا	3,434
بنغلادش	3,024
العراق	2,833
نيجريا	1,746
المغرب	408
كازاخستان	297
لبنان	246
الجزائر	230
السودان	210
تونس	178
أوزبكستان	156
تركيا	149

(1) البطاقة البيضاء هي إجازة مؤقتة و غير قابلة للتجديد يسمح بموجبها للمهاجرين غير الشرعيين بالبقاء في البلاد لمد ستة أشهر، و هي أول خطوة للحصول على البطاقة الخضراء و التي تخول صاحبها من البقاء ثلاث سنوات في البلاد و ربما أكثر.

(2) Migration Information Source, **http://www.migrationinformation.org/GlobalData/charts/greece1.cfm,** 3/3/2005.

الأردن	146
إيران	137
اندونيسيا	91
إرتريا	87
فلسطين	85
آذربيجان	33
ليبيا	26
أفغانستان	21
الصومال	15
السنغال	12
غينيا	11
غامبيا	8
اليمن	6
تشاد	3
مالي	3
موريتانيا	3

المجموع: **323,272**

وهذا الرقم معظمه من المسلمين إذا أخذنا بعين الاعتبار أن ألبانيا و لبنان و مصر و سوريا و العراق وبعض الدول الإفريقية قد يكون من بين مهاجريها غير المسلمين، لذلك سنفترض أن عدد المسلمين من هذا الرقم هو 200,000 وعدد المسلمين اليونان هو 120,000 بذلك يكون عدد المسلمين في اليونان عام 1998 حوالي **320,000** على الأقل و إذا اعتبرنا أن عدد سكان اليونان آنذاك هو 10,500,000

فإن نسبة المسلمين تكون حوالي **3%** من مجموع السكان. هذا العدد يشمل المهاجرين الذين صرحوا بدخولهم إلى اليونان لكن عدد الذين دخلوا البلاد بطرق غير شرعية غير معروف ومن المعتقد أنه يكون نفس عدد الذين صرحوا أو أكثر.

أما موقع مجلة **النبأ** على الإنترنت العدد 56 نيسان 2001 فيذكر أن "المجتمع الإسلامي في اليونان لا يقتصر على المسلمين اليونانيين الموجودين شمالاً فقط، بل هناك العديد من الجاليات العربية والآسيوية الإسلامية الذين يأتون من مصر والسودان وسوريا وفلسطين وباكستان وبنغلادش والعراق والمغرب العربي ويتمركزون في المدن الكبرى خاصة العاصمة أثينا. ويبلغ عدد المسلمين في اليونان حالياً أكثر من 250 ألف نسمة ويزداد عددهم يوماً بعد يوم".(1)

وهناك مرجع باللغة العربية على الإنترنت أيضاً أعطى في 2003/10/20 رقماً لعدد المسلمين في اليونان فقدره بحوالي 140,000 نسمة.(2) ويضيف هذا الوقع أن نسبة المسلمين من سكان اليونان عام 1930 بلغت 25% حيث بلغ عددهم 40,000 و انخفض العدد إلى 133772 مسلماً عام 1940 و إلى 120,000 في الوقت

---

(1) "إنشاء أكبر مسجد و مركز إسلامي في اليونان"، http://www.annabaa.org/nba56/almuslmon.htm, 3/3/2005

(2) المسلمون حول العالم: نقطة ضوء: اليونان الصحوة تبشر بخير. www.islamtoday.net/articles ، 5/7/2004

الحاضر. وهنا نقع في حيرة من إعطاء أرقام متضاربة!! هل عدد المسلمين في اليونان الحالي هو 140000 أم 120000؟ وهل يشمل هذا عدد المهاجرين؟

4.3 مناطق وجود المسلمين في اليونان

أين يتواجد المسلمون في اليونان وما هي أوضاعهم؟ لتسهيل الإجابة على هذا السؤال بطريقة مستفاضة ينبغي معالجة الموضوع حسب فئات المسلمين أي في شقين، الشق الأول هو ذكر مناطق المسلمين اليونانيين الأصليين أي أبناء الأرض اليونانية و الشق الثاني هو تسليط الضوء على أماكن المسلمين المهاجرين.

4.3.1 مسلمو اليونان الأصليين

يتواجد مسلمو اليونان الأصليين في منطقة تراقيا الغربية التي تقع في شمالي شرقي اليونان على الحدود مع تركيا و بلغاريا و يقطنون في ثلاث مقاطعات موزعة على 400 قرية[1]، أما المقاطعات فهي:

1- مقاطعة "رودوبي Rodopi" و مركزها مدينة "كموتيني Komotini" (و تُسمى بالتركية كومولجينه) [2] و يسكنها حوالي 30,000 مسلم و 107,618 مسيحي، وتحظى بنشاطات دينية أكبر وفيها عدة مؤسسات إسلامية هي:

---

(1) المصدر السابق.

(2) راجع الخريطة في المقدمة.

دار الإفتاء و هيئة الوعظ و الإرشاد الديني و إدارة الأوقاف، كما بها 19 مسجداً ومصلى و ثلاث جمعيات إسلامية.

2- مقاطعة "كسانتي Xanthi"[1]

ومركزها مدينة كسانتي (و تسمى بالتركية اسكجه) ، وفيها محكمة شرعية وإدارة الأوقاف وخمس مساجد.

3- مقاطعة "إورو Evro:

" ومركزها مدينة ألكسندوربولي Alexandropoli (و تسمى بالتركية ده ده آغاج) [2] ويسكنها 10,000 مسلم و 141,000 مسيحي و فيها مسجد واحد وإدارة أوقاف.

هذا ويوجد في جزيرة رودس 4,000 مسلم[3] وحوالي 300 عائلة مسلمة في مدينة خانيا في جزيرة كريت.[4]

4.3.2 المهاجرون المسلمون في اليونان

يتواجد المهاجرون المسلمون في اليونان بشكل أساسي في العاصمة أثينا و ضواحيها، وهناك عدد قليل منهم في المدن الكبرى، كما يفضل البعض منهم العيش

(1) راجع الخريطة في المقدمة.

(2) راجع الخريطة في المقدمة.

(3) الخوند، ص 255.

(4) المسلمون حول العالم: نقطة ضوء: اليونان الصحوة تبشر بخير. **www.islamtoday.net/articles** ، 5/7/2004

في الجزر النائية بعيداً عن رقابة الأجهزة الأمنية.[1] وهكذا تبلغ المسافة بين التجمعيين الإسلاميين الرئيسيين في اليونان حوالي 600 كلم (أي المسافة بين أثينا و ضواحيها والمقاطعات التي يسكنها المسلمون في شمالي شرقي اليونان)، وليست المسافات الجغرافية وحدها التي تفصل بين هذين التجمعين ولكن هناك الفارق في اللغة والعادات والتقاليد، فالمسلم من نيجريا أو باكستان لا يجمعه مع المسلم اليوناني إلا الدين فقط فلا التاريخ ولا نمط الحياة من الأمور المشتركة بينهما و خصوصاً أن معظم المهاجرين هم غير شرعيين مما يجعلهم في وضع حرج وأحياناً غير قانوني في البلاد.

---

(1) شوكت، خالد، "مسلمو اليونان و تحديات الزرق"، اسلام أون لاين نت، 2003/12/10، **www.IslamOnline.net**

5. الأوضاع القانونية و الاقتصادية لمسلمي اليونان

للمسلمين في اليونان ثلاث دور إفتاء ومحاكم شرعية يرأسها المفتي الذي يعتبر قاضياً وحاكماً شرعياً، فهو يشرف على الشؤون الاجتماعية (كالزواج و الطلاق والصداق والنفقة) ويقوم بتعيين أو عزل أئمة المساجد ومسؤولي الأوقاف، وله حق الإشراف على المدارس وأموال الأوقاف.

يتم انتخاب المفتي حسب القانون وأصوات المسلمين ويعد مسؤولاً حكومياً برتبة عالية ولا تمنعه الحكومة من استلام الضرائب و الزكاة حيث توزع على موظفي دار الإفتاء وبعض الأئمة لأنهم يعتبرون موظفين حكوميين. ويتقاضى المفتي أيضاً راتبه من هذه الأموال لأن الراتب الحكومي يسير جداً. ويعتبر ما يصدره المفتي من فتاوى و أحكام نافذة في حالة التراضي بين المدعي والمدعى عليه، وإلا فالمحاكم الرسمية هي التي تقرر تنفيذه أو تجميده.[1]

---

(1) المصدر السابق.

أما من الناحية الاقتصادية فهناك تمييز حاد ضد تشغيل المسلمون في منطقة غربي تراقيا في الإدارات العامة الرسمية و البلديات،[1] لذلك يعمل معظمهم بالزراعة وخاصة زراعة التبغ و بتربية الماشية أو أعمال حرة مثل المحاماة والطب و الهندسة.

أما المهاجرون فمعظمهم يعمل في العاصمة أثينا و هناك عدد أقل يعمل في بعض المدن الكبرى، ويتركز عملهم في أعمال يدوية لا تحتاج إلى مهارات، وهي أعمال قليلة الأجور وخالية من الضرائب، إذ أن معظمهم لا يملؤون قسائم الضرائب وغير مسجلين في نظام الخدمة الاجتماعية اليوناني، أما الذين يشتغلون في ضواحي العاصمة و خاصة في القرى الريفية المجاورة فيعملون في مواسم الحصاد وخاصة التبغ والقطن والكرمة والزيتون.

وعلى الرغم من ذلك فقد أشارت دراسة أصدرها البنك الأهلي اليوناني في عام 2003 إلى أن المهاجرين المسلمين أصبحوا يشكلون ما يقارب 10% من القوة العاملة في اليونان، وأن إيداعاتهم في البنوك قد تكون تجاوزت 2.5 مليار يورو، موزعة على ما يزيد عن 200 ألف حساب مصرفي. ويشكل حجم الإيداعات

---

(1) "The Turks of Western Thrace: Continuing Violations", **www.hrw.org/reports/1999/greece/Greec991-06.htm**, 15/3/2005

المصرفية لمسلمي اليونان، بحسب الدراسة نفسها ما يعادل 50% من الدخل القومي الخام لبلد كألبانيا، أو 5% من الناتج الخام لدول كبلغاريا أو رومانيا، وكافة الدول المذكورة تعتبر من الدول الأكثر فقرا في أوروبا. وتؤكد دراسة البنك الأهلي اليوناني على عجز المهاجرين المسلمين في اليونان عن استثمار إيداعاتهم المصرفية بشكل جيد ومجدٍ، حيث تنحصر معاملاتهم المالية عادة على الإيداع أو تحويل مبالغ إلى عائلاتهم وذويهم في الدول الأصلية؛ وهو ما يعني اقتصار ربحهم على ما تسنده المصارف من فائدة على ودائعهم، ضمن نسب تظل محدودة جدا، قياسا بالاستثمار المباشر للأموال. (1)

وقد لعبت التشريعات اليونانية المنظمة لإقامة الأجانب –والمتخلفة قياسا بما هو سائد في باقي دول الاتحاد الأوروبي– دورا في عرقلة النمو الاقتصادي للمسلمين، حيث كانت هذه التشريعات تحظر على الأجانب حتى سنة 1997 –وهو تاريخ اعتماد الحكومة ما يعرف بنظام "البطاقة الخضراء"– حقوق الملكية وإنشاء الشركات. وقد ساهم نظام "البطاقة الخضراء" المذكور –الذي يشبه إلى حد كبير النظام المعتمد في الولايات المتحدة الخاص بشئون إقامة الأجانب– في إفساح

---

(1) شوكت، خالد، "مسلمو اليونان و تحديات الزرق"، اسلام أون لاين نت، 2003/12/10، www.IslamOnline.net

المجال أمام العديد من المبادرين من أبناء الأقلية المسلمة لإقامة مشاريع اقتصادية مملوكة لهم بالكامل، وتتراوح غالبيتها بين الحجمين الصغير والمتوسط.(1)

تتوزع غالبية المشاريع الاقتصادية للمسلمين في قطاعات التجارة والسياحة والخدمات، حيث أصبحت المطاعم المصرية واللبنانية ظاهرة لافتة في جل المدن اليونانية الكبرى، كأثينا وسالونيك، كما أنشأ العديد من المهاجرين المسلمين محلات "سوبر ماركت" و"كافيتريات" ومحلات لبيع الملابس الجاهزة المصنوعة عادة في كل من مصر وتركيا، بالإضافة إلى إنشاء البعض لمدارس خاصة لتدريس اللغة العربية والدين الإسلامي، تعمل على أساس ربحي، إذ تقدم خدماتها التربوية والتعليمية في مقابل رسوم مالية.

ومع ازدياد عدد المهاجرين المسلمين في اليونان خلال السنوات الأخيرة فقد أقدم عدد من التجار المسلمين على إنشاء محلات خاصة بتركيب وصيانة أجهزة "الدش"، لتعلق غالبية العائلات المسلمة بمتابعة القنوات التلفزيونية لبلدانها الأصلية، كما ظهرت الأفران والمخابز التي تصنع الخبز على الطريقة المعتادة في بعض الدول العربية والإسلامية، بالإضافة إلى ظهور صحف ومؤسسات إعلامية خاصة مملوكة

(1) المصدر السابق.

لمهاجرين عرب ومسلمين، على غرار جريدة "بانوراما" نصف الشهرية التي توزع في مختلف المدن اليونانية، وجريدة "الضفتان" وهي صحيفة نخبوية نسبيا.[1]

سياسياً انخرط المسلمون اليونانيون في كل الأحزاب اليونانية من العام 1927 فحصلوا على نائبين في البرلمان. لكن في أواخر الثمانينات قام بعض المسلمين بإنشاء أحزاب للمسلمين الأتراك، فضاعت الأصوات و لم يستطع نتيجة ذلك أي مسلم من دخول البرلمان. لكن منذ العام 2000 عاد المسلمون إلى "التكتيك" القديم وانخرطوا في جميع الأحزاب و تخلوا عن فكرة إنشاء أحزاب سياسية خاصة بهم. ولهم الآن نائبين في البرلمان.[2]

أما المهاجرون المسلمون فلا تمثيل سياسي لهم لأنهم يحملون جنسيات دول أخرى وهذه الدول لديها سفارات في أثينا فيصبح أي نشاط سياسي تدخل في أمور اليونان الداخلية.

---

(1) المصدر السابق.

(2) Antoniou, Dimitris, A, “Islam In Greece” , **http://www.interkultureller-rat.de/Themen/Archiv/Arbeit_auf_dem_Lande/Islam_auf_dem_Lande/Antoniou.shtml**, 3/3/2005.

وللمسلمين في اليونان علاقات قوية مع العالم الخارجي سواء كان ذلك من خلال العمل أو من خلال العلاقات العائلية أو من خلال السفر لإقامة فريضة الحج.[1]

---

(1) المصدر السابق.

6. التحديات و المشاكل التي يواجهها المسلمون في اليونان

بما أن المسلمين في اليونان فئتين: الفئة الأولى و هم المواطنون اليونان و الفئة الثانية هم المهاجرون فان مشاكل كل منهم تختلف عن الأخر. لذلك سوف نعالج مشكلة كل منهما بالتفصيل.

6.1 مشاكل المسلمون اليونانيون

يواجه المسلمون في اليونان تحديات تؤثر على وجودهم وهويتهم وثقافتهم، و مع ذلك لا يعلم عن هذا التحديات إلا النذر القليل في العالم العربي، ربما لإنشغال العرب وإعلامهم بالصراع مع إسرائيل أو ربما ضعف من الإعلام المسلم اليوناني نفسه الذي لا ينقل مشاكله إلى كافة العالم الإسلامي بل يحصرها في منطقته وفي تركيا فقط. فالمسلمون اليونانيون لا ينقلون أخبار أوضاعهم و مشاكلهم إلى وسائل الإعلام في بقية العالم الإسلامي المجاور لهم وخاصة مصر ودول الخليج، مع العلم أن بعض المصادر الغربية أشارت عام1991 إلى وجود شكل معين من التمييز الاقتصادي والاجتماعي ضد الأقلية المسلمة في تراقيا الغربية بدولة اليونان مما أثار حفيظة الحكومة اليونانية على هذه التقارير.[1] وهكذا فان الصحافة الإسلامية في تراقيا الغربية تتحدث بين الحين و الآخر عن تذمر المسلمين هناك من بعض الصعوبات التي تضعها في وجههم الحكومة اليونانية في أمور تتعلق بالحصول على

Christidis, p. 154. (1)

رخص لبناء أو حتى ترميم المنازل والمساجد أو الحصول على عمل وطلب قروض أو ديون وحتى رخص القيادة لكافة و سائل النقل بما فيها الجرارات،(1) كما تتصاعد شكاوى مسلمي تراقيا أنهم بخلاف المسيحيون الأورثوذكس اليونان لا يستطيعون شراء العقارات باستثناء عدة أشخاص متعاونين مع السلطات اليونانية. (2) كما منعت الحكومة اليونانية بيع المسلم أملاكه إلى مسلم آخر، وفي حال الاضطرار إلى البيع فلا بد أن يكون إلى المسيحيين الأورثوذكس فقط. وفي الأشهر الأخيرة من عام 1984 فرضت على أرباب المهن من المسلمين غرامات مالية كبيرة بدون أي سبب يذكر، كما فرضت عليهم ضرائب تزيد على رؤوس أموالهم بكثير.(3)

وعلى الصعيد الثقافي قامت السلطات اليونانية عام 1984 بإغلاق "رابطة إتحاد أتراك تسانتي" التي تزاول أعمالها في مدينة تسانتي منذ عام 1927 وأغلقت كذلك عام 1998 "إتحاد كومتيني للشباب الأتراك" الذي يزاول نشاطه منذ عام 1928 و"إتحاد الأساتذة الأتراك في تراقيا الغربية" الذي تأسس عام 1936 و ذلك لمجرد كلمة "اتراك" على أسماء هذه الجمعيات.

---

(1) أرن، ص 1086–1087.

(2) Christidis ص 154. و أنظر أيضاً:

Poulton, Hugh, "Turks and Pomaks", www.armory.com/~thrace/back.htm, 15/3/2005.

(3) أرن، ص 1087.

ويعتبر عام 1967 من العلامات الفارقة في تاريخ الوجود الإسلامي في اليونان. ففي ذلك العام قامت مجموعة من الجنرالات بالاستيلاء على الحكم إثر انقلاب عسكري وفرضوا نظام صارم على البلاد، وقد كان لهذا التطور نتائج سلبية جداً على و ضع المسلمين في تراقيا الغربية على عدة صعد. وقد دامت الطغمة العسكرية في الحكم حتى عام 1974 عادت بعدها البلاد إلى الحكم المدني، و مع ذلك بقيت معظم التشريعات التي وضعها الجنرالات بحق المسلمين سارية لما بعد ذلك التاريخ.

ولعل أكثر المشاكل تعقيداً التي يواجهها المسلمون في تراقيا الغربية الآن هي:

أولاً: مشكلة حيازة الأراضي،

ثانياً: قضية الأوقاف،

ثالثاً: مشكلة اختيار المفتي،

رابعاً: مسألة التربية و التعليم.

وخامساً وأخيراً: انعكاس علاقات اليونان مع الدول التي ينتمي إليها المسلمون.

سنعالج كل من هذه المواضيع بالتفصيل في الأسطر التالية.

6.1.1 مشكلة الأراضي:

يتذمر المسلمون في تراقيا الغربية من تقليص ملكيتهم للأراضي في تلك المنطقة و التي انخفضت من 67% عام 1923[1] إلى 20% عام 1979[2]. ويعود سبب الإنخفاض هذا لسببين:

1- مصادرة الحكومة اليونانية لأراضي المسلمين تحت اسم المصالح العامة.

فقد تم عام 1978 مصادرة 4000 دونم من قرى إسلامية هي "أمارانـدا Amaranda" و "فـاكوس Vakos" و "تريوريـون Triorion" و "بـامفورون Pamforon" (و كلها تقع بالقرب من مدينة كوموتيني) من أجل بناء مواقع صناعية. كما تم مصادرة 4300 دونوم في منطقة "ياكا Yaka" إلى الشمال الغربي من كومتيني و 3000 دونم أخرى من أجل إنشاء جامعة ديموكريتوس Dimocritos. وقد كان للمصادرة الأخيرة وقع سيئ جداً في نفوس مسلمي المنطقة لأن تلك الأراضي كانت زراعية من الدرجة الأولى، كما اشتكى المسلمون من أن مساحة الأراضي التي صودرت كانت أكبر مما يحتاج إليه بناء هذا الجامعة إذ بلغت مساحة الأراضي المفروزة لجامعة سالونيك 640 دونم فقط.[3]

---

(1) Karakasidou, Anastasia, “Vestiges of the Ottoman past: Muslims under siege in contemporary Greek Thrace”, Cultural Survival, Issue 19.2, July 31 1995, **www.culturalsurvial.org**, 15/3/2005.

(2) Christidis, p. 154.

(3) المصدر السابق، ص 155.

ومن ناحية أخرى فقد هُدم مسجد "طبق خانة" الذي بني عام 1650م في مدينة كسانتي بأمر من السلطات اليونانية يوم الجمعة 22 كانون الأول/ديسمبر عام 1972م و كان سبب هدم هذا الجامع هو الرغبة في إنشاء منتزه عام.(1)

2- <u>سوء توزيع الأراضي:</u>

طبقت الحكومة اليونانية منذ عام 1967 قانوناً يسمح لها بدمج الأراضي المجاورة لتحويلها إلى وحدات اقتصادية كبيرة مقابل تعويض أصحاب هذه الأراضي بأخرى في مكانٍ آخر، وقد احتج المسلمون بأن قيمة الأراضي التي أعطيت لهم هي أقل من قيمة الأراضي التي أخذت منهم فأصابهم الضرر من هذا الإجراء خصوصاً أن الأراضي الجيدة التي أخذت من المسلمين قد تم توزيعها على المسيحيين.

وبالرغم من تخفيف تلك القيود في مطلع التسعينات فإن الكثير من الشبان المسلمين هاجروا إلى أوروبا بحثاً عن أرزاقهم بينما استثمر العديد من العائلات المسلمة في تركيا أو قاموا بتصفية أعمالهم واستقروا في تركيا أيضاً.(2)

---

(1) أرن، ص 1086.
(2) Karakasidou

6.1.2 قضية الأوقاف:

في عام 1967 وفي خطوة اعتبرت خرقاً لمعاهدة لوزان قامت الطغمة العسكرية الحاكمة في اليونان بطرد المشرفين على الأوقاف والذين تم انتخابهم من مسلمي اليونان واستبدلهم بموظفين حكوميين، وفي عام 1973 عينت مشرف غير مسلم على إحدى دوائر الأوقاف.

وفي عام 1979 قدمت حكومة رئيس الوزراء "كرامنلس" المدنية مشروع قانون يحد من نشاط الأوقاف و يعيق حق الأقلية التركية في إدارتها، وقد صادقت الحكومة على هذا المشروع في العام التالي. إلا أن الاحتجاجات القوية التي أطلقها المسلمون هناك حالت دون تطبيق هذا القانون.

وفي عام 1991 أصدرت الحكومة مرسوم جمهوري يخف من سيطرة المسلمين على الأوقاف و ذلك من خلال تعين مدراء حكوميين عليها في حال لم تجري الأقلية الإسلامية انتخابات لاختيار مدراء أوقاف.[1]

---

(1) "The Turks of Western Thrace: Continuing Violations", **www.hrw.org/reports/1999/greece/Greec991-06.htm**, 15/3/2005

6.1.3 مسألة اختيار المفتي:

قبل وصول الجنرالات إلى الحكم عام 1967 كانت الأقلية المسلمة في تراقيا الغربية هي التي تنتخب المفتين فيها. إلا أن الجنرالات خرقوا معاهدة لوزان عندما غيروا هذا الترتيب واستعاضوا عنه بتدبير آخر يقضي بإعطاء وزارة التربية والشؤون الدينية الحق في تعيين المفتين مما أثار موجة غضب عارمة لدى مسلمي المنطقة وخاصة بعد تعيين تلك الوزارة لمفتي غير كفؤ عام 1973.(1)

وفي عام 1984 توفي مفتي كوموتيني الحاج حسن مصطفى أفندي نتيجة نوبة قلبية فعينت الحكومة مكانه نائباً للمفتي من دون استشارة المسلمين. وفي عام 1990 أجرت الأقلية الإسلامية في تراقيا الغربية انتخابات غير رسمية وانتخبت مُفتِيّين أحدهما لمدينة كومتيني و الآخر لمدينة تسانتي. وفي نفس العام أصدرت الحكومة اليونانية قانوناً جديداً يسمح لأمين عام الدولة المُعين في تلك المقاطعة بتأليف لجنة مؤلفة من 11 عضواً تشمل موظفي دين مسلمين يحملون الجنسية اليونانية بالإضافة إلى شخصيات بارزة من الأقلية المسلمة في المنطقة، أما رئيس هذه اللجنة فيكون حاكم المنطقة اليوناني. مهمة اللجنة هي تقديم لائحة بأسماء المرشحين التي ترسلها فيما بعد للأمين العام والذي يحولها بدوره إلى وزارة التربية و الشؤون الدينية فتقوم

---

(1) Christidis, p. 156.

الأخيرة بالتعيينات النهائية. عارضت الأقلية المسلمة هذا الإجراء ودعت إلى دعم المفتي المنتخب بدلاً من المفتي المُعَيّن و اعتبرت هذه الخطوة انتقاصاً للديمقراطية ولحرية التعبير. أما تبريرات الحكومة لهذه الإجراءات فتتمحور حول فكرة تقول أن المفتي يُعين لأنه يتقاضى أجراً من الدولة و بالإضافة إلى مهامه الدينية فإنه يمارس أيضاً مهام رسمية تابعة للدولة. كما تدعي الحكومة أنها تستشير الجالية الإسلامية في تراقيا الغربية قبل تعيين أي مفتي. كذلك فإن مفتي كوموتي المعين السيد "جمالي" يرى أن قانون الحكومة لتعيين المفتي هو أنجح بكثير من القانون القديم القائم على الانتخاب لأنه يعتبر أنه منذ عام 1400 لم ينتخب أي مفتي في العالم الإسلامي وهذا يعني بنظرة أن الانتخابات لم تكن كلها نزيهة لذلك يفضل قانون التعيين. ومع ذلك تمنع الحكومة اليونانية المفتين من استعمال لقب "مفتي" و كل من يستعمله تؤخذ ضده إجراءات صارمة كالسجن أو دفع غرامة مالية.(1)

6.1.4 التربية و التعليم

استطاع المسلمون في اليونان من خلال التعليم أن ينشئوا جيلاً جديداً واعياً يستطيع التعبير عن معاناة و مشاكل الأقلية المسلمة، فمن خلال التعليم استطاع المسلمون ان يغيروا وضعهم الاجتماعي و يتكلموا بحرية أكثر، ومع ذلك ما زال هناك الكثير

---

(1) "The Turks of Western Thrace: Continuing Violations", **www.hrw.org/reports/1999/greece/Greec991-06.htm**, 15/3/2005

من المشاكل في قطاع التعليم التي تخص السواد الأعظم من المسلمين، و من هذه المشاكل:

6.1.4.1 وضع المدارس: يوجد في اليونان الآن بين 230 و 300 مدرسة ابتدائية ومدرستين ثانويتين ومدرستين دينيتين.[(1)] وضع المدارس الابتدائية مزري جداً فهي صغيرة و التسهيلات والمعدات الموجودة بها غير ملائمة مما يؤثر سلباً على نوعية التعليم.[(2)]

6.1.4.2 مشكلة اللغة: لا تنظر الحكومة اليونانية إلى مواطنيها المسلمين على أساس عرقي أو قومي، أي أنها لا تعترف بوجود أتراك أو بوماك بل تعتبرهم أقلية إسلامية فقط و لكن من أصل تركي، لذلك تؤمن لهم تعليم باللغة التركية بالرغم من أن البوماك يتكلمون السلافية القريبة جداً للبلغارية.

وفي عام 1984 أقرت الحكومة إجراء يجعل امتحانات الثانوية العامة للمدارس التركية تجري باللغة اليونانية.[(3)] وقد يبدو هذا أمراً صعباً لأن مدارس الأقليات في اليونان تعلم اللغة اليونانية كلغة ثانية و بشكل ضعيف جداً فيجد الطالب نفسه غير قادر على متابعة دراسته في أي مدرسة أو جامعة يونانية لأن لغة التدريس في الجامعة هي اللغة اليونانية. و يبدو أيضاً أن مدارس الأقلية المسلمة في تراقيا

---

(1) أنظر المرجع السابق و: Karakasidou و Christidis, p. 158 و Poulton

(2) Christidis, p. 158.

(3) Poulton

الغربية فقيرة لدرجة أنها لا تستطيع تأمين أساتذة لغة يونانية لطلابها و الحكومة لا تقوم بأي مبادرة فيقع الطلاب ضحية هذا الوضع.

<u>6.1.4.3 قضية الكتاب المدرسي:</u> بعد عام 1953 سحبت الحكومة اليونانية كل الكتب المترجمة خصيصاً للأقلية المسلمة واستعاضت عنها بالكتب المستوردة من تركيا،[1] ولشرعنة ذلك تم توقيع بروتوكول عام 1968 بين تركيا واليونان تقوم بموجبه كل دولة بنشر الكتب المدرسية المقررة لأقلياتها في البلد الأخر الذي تنتمي إليه الأقلية شرط أن لا يكون في تلك الكتب ما يعكر العلاقات بين البلدين، وهكذا فإن اليونان تنشر الكتب التركية في تركيا و تنشر الأخيرة الكتب اليونانية في اليونان.[2] فنتج عن ذلك تأخير في وصول الكتب إلى اليونان، إذ كانت تصل أحياناً هذه الكتب و يكون قد مر أكثر من نصف العام الدراسي.[3]

وبالإضافة إلى المشاكل المذكورة سابقاً تعاني مدارس المسلمين في تراقيا الغربية أيضاً من ضعف مستوى الأساتذة و خاصة بعد توقف قدوم الأساتذة العرب للمدارس الدينية و الأساتذة الأتراك للمدارس العادية. كما تواجه هذا المدارس مشكلة تدخل

---

(1) Christidis, p. 158

(2) "The Turks of Western Thrace: Continuing Violations", **www.hrw.org/reports/1999/greece/Greec991-06.htm**, 15/3/2005

(3) أنظر: Christidis, p. 158 و أنظر أيضاً: Karakasidou

الدولة بشؤونها مع العلم أن معاهدة لوزان أعطت الحق الحصري لكل أقلية بإدارة شؤون مؤسساتها التربوية.(1)

ونتيجةً لهذه المشاكل فضّل كثير من الأهالي إرسال أولادهم إلى تركيا للتعلم هناك. فالتعليم هو الوسيلة الوحيدة لمسلمي اليونان كي يُغَيِّروا وضعهم الاجتماعي. وهناك الكثير من المحامين والأطباء ورجال الأعمال المسلمين من تراقيا الغربية تخرجوا من جامعات تركيا والبعض الآخر تعلم اليونانية وتخرجوا من اليونان وكانوا هؤلاء المثقفون صلة الوصل بين جاليتهم والمجتمع اليوناني حيث ساعدوا قومهم في التعامل مع البيروقراطية وموظفي الحكومة اليونانيين.

6.1.5 انتزاع الجنسية

عمدت الحكومة اليونانية بين عامي 1955 و 1998 إلى انتزاع الجنسية من حوالي 60,000 شخص الغالبية العظمى منهم من المسلمين، وكانت التهمة هي: مغادرة البلاد. فطبقاً للمادة 19 من قانون الجنسية اليوناني رقم 1955/3370 فإن كل مواطن يوناني من أصول غير يونانية يترك اليونان بنية عدم العودة يُحرم من الجنسية اليونانية. و يطبق هذا القانون على كل مواطن يحمل الجنسية اليونانية

---

(1) "The Turks of Western Thrace: Continuing Violations", **www.hrw.org/reports/1999/greece/Greec991-06.htm**, 15/3/2005

وأصله غير يوناني ويكون قد وُلِد وعاش في الخارج، ويسري هذا القانون على أولاده.[1]

وفي خطوة حسن نية قامت الحكومة اليونانية عام 1998 بإلغاء هذا القانون إلا أن مفاعيله الرجعية ما زالت سارية، وظل الذين حرموا من الجنسية بوضع "دون دولة" ولا يحق لها استعادة الجنسية بالرغم من عودتهم و مكوثهم في اليونان.

6.1.6 تقلب علاقات اليونان مع دول الجوار

تنسحب علاقات اليونان مع جيرانها على الأقليات الموجودة لديها ففي أوقات التوتر تعتبر اليونان هذا الأقليات عملاء لتلك الدول أو تتهم تلك الدول بأن لديها نوايا توسعية تطبقها من خلال تلك الأقليات، وهذا ينطبق على علاقات اليونان مع ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية و كل من تركيا و بلغاريا بعد هذه الحرب.

أولاً: علاقات اليونان مع ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية: في عام 1941 احتلت ألمانيا النازية اليونان فتعاطف مسلمو تشامريا[2] ذات الأغلبية الألبانية مع الألمان، وعندما انسحبت ألمانيا من اليونان عام 1944 قامت الأخيرة باجتياح منطقة تشامريا فأخضعتها بأكملها للسيادة اليونانية إلى جانب وقوع خسائر كبيرة في

(1) أنظر: المصدر السابق و أنظر أيضاً: Christidis, p. 157

(2) تقع هذه المنطقة الآن على الحدود الجنوبية لليونان مع ألبانيا قبالة جزيرة كورفو. (راجع الخريطة في المقدمة)

الأرواح قدرتها المصادر الألبانية بحوالي 9000 قتيل[1] كما تم اغتصاب 745 فتاة و تدمير 68 قرية ومائة مسجد و إحراق 5800 بيت و تهجير سكانها. وبالرغم من أن هذه الأرقام اصطبغت مع مرور أكثر من نصف قرن بالصبغة التاريخية، فإنها لا تزال تلقي بظلالها على الأوضاع هناك، فالمسلمون في شماريا يطالبون بإعادة منطقتهم إلى ألبانيا، ويشعرون بمرارة الاحتلال اليوناني لأرضهم، ويتهددهم الذوبان الثقافي وسط الأغلبية اليونانية الأرثوذكسية. [2]

ثانيا: مع تركيا: تعتبر اليونان أن تركيا هي عدوها التقليدي بالرغم من اشتراكهما في حلف شمالي الأطلسي. وتتخوف اليونان من التوسع التركي غرباً وخاصة بعد اجتياح تركيا لقبرص عام 1974، لذلك حولت اليونان منطقة تراقيا الغربية ذات الأغلبية المسلمة والمحاذية للحدود التركية إلى مناطق مغلقة و محصورة بحجة الأمن القومي. ونتيجةً لجعلها منطقة عسكرية فقد حُظِّر عل سكانها الابتعاد عن مكان إقامتهم أكثر من 30 كلم، فكان الأثر السيئ لهذه الخطوة على المسلمين.

---

(1) "Çamëria" , **http://home.tiscali.be/albabel/historie-histori/cameria_index/cameria10.htm** 18.6.2006

(2) "الأقليات المسلمة: مائة مليون .. فقر وتهميش اجتماعي وسياسي"، الجزيرة نت: المعرفة، **www.aljazeera.net**، 2004/10/3.

ثالثاً: مع بلغاريا: خلال الخمسينات و عندما كانت الحرب الباردة على أوجها اعتبرت اليونان أن جارتها الشمالية بلغاريا هي دولة معادية بسبب نظامها الشيوعي الموالي للسوفيات. و بما أن البوماك المسلمين ينحدرون من أصل بلغاري و يتكلمون لهجة بلغارية اعتبروا موضع شك من قبل الحكومة اليونانية فانعكس ذلك سلباً على حياتهم.[1]

6.1.7 مراقبة البوليس السري

يشتكي القادة في الجالية التركية المسلمة أنهم وضعوا عدة مرات تحت مراقبة البوليس السري اليوناني، وقد استدعي أحدهم من قِبَل موظفي الشرطة حين شوهد يتكلم مع أعضاء من منظمة "مراقبة حقوق الإنسان Human Rights Watch" ومن منظمة أخرى هي منظمة "مراقب هلسنكي اليوناني Greek Helsinki Monitor" اللتان تهتمان بحقوق الإنسان وذلك في أيلول 1997، ويضيف هذا الشخص أنه يعتقد بشدة أن أجهزة الدولة الأمنية تتنصت على هاتفه. ومن جهةٍ أخرى أفاد مفتي مدينة تسانتي الشيخ "محمد أمين" أنه لديه شعور قوي أن البوليس يراقبه بالرغم من أنه منتخب من قبل الحكومة اليونانية. و قد لمس موظفو كل من المنظمتين منظمة "مراقبة حقوق الإنسانHuman Rights Watch" و منظمة "مراقب هلسنكي اليوناني Greek Helsinki Monitor" أنهم كانوا مراقبون من أجهزة أمن يونانية خلال تواجدهم

---

(1) Poulton, H. & Taji-Farouki, S. (Eds), **Muslim Identity and the Balkan State**, London: Hurst & Company, 1997, p. 83.

في اليونان لأداء عملهم، وقد اعترض هؤلاء الموظفون لدى وزارة الداخلية اليونانية فتوقفت عملية المراقبة.(1)

6.2 مشاكل المسلمون المهاجرون

بعكس وضع المسلمين في تراقيا الغربية فإن المهاجرين المسلمين في أثينا وضواحيها غير ممثلين في أي مؤسسة أو جمعية يونانية، وهذا الوضع ليس وليد سياسة الحكومة اليونانية بل هو "اختيار" ومسار اتبعه المهاجرون أنفسهم، إذ أن الاهتمام الرئيسي لهم هو جمع المال والعودة به إلى الوطن لإنشاء حياة رغيدة فيه، كما أن مشاكل و مستقبل السياسة في بلادهم هي أهم بكثير من قوانين اليونان أو علاقاتها الخارجية أو سياستها الاقتصادية أو الاجتماعية. هذه ألامبالاة بالأوضاع اليونانية جعلت معظم المهاجرين يعزلون أنفسهم عن المجتمع اليوناني في أحياء خاصة شبيهة بالغيتو، يضاف إلى ذلك أن نسبة لا بأس بها من هؤلاء المهاجرين دخلوا اليونان بطرق غير شرعية فسقط بعضهم في عالم الجريمة مما سبب لهم الملاحقة من قبل الشرطة، وقد انعكس هذا على فرص نشر الدعوة الإسلامية في تلك البلاد، كما حُرم هؤلاء المهاجرين من الاستفادة من الخدمات الاجتماعية المقدمة لكافة

---

(1) "The Turks of Western Thrace: Continuing Violations", **www.hrw.org/reports/1999/greece/Greec991-06.htm**, 15/3/2005

الشعب اليوناني مثل الطباعة و التعليم. إلا أنه عندما يتخلى المهاجرون المسلمون عن فكرة العودة إلى أوطانهم كما هي الحال في بعض دول أوروبا الغربية فستكون الاحتمالات الكبيرة لإنشاء جمعيات و مؤسسات للمسلمين عندها وضع المهاجرين الاجتماعي والاقتصادي سيتحسن وستتاح فرص أكثر لنشر الإسلام في ربوع بلاد الإغريق.

7. مسجد أثنيا

بعد جهود كبيرة، بذلها المسلمون في اليونان، حددت الحكومة اليونانية في عام 2001 موقع المشروع الذي سوف ينشأ عليه أول مسجد ومركز ثقافي إسلامي في أثينا و بالتحديد في ضاحية "بيانيا Peania" الواقعة على بعد 15 كيلو متراً غرب العاصمة بالقرب من مطار أثينا الدولي وعلى مساحة 35 فداناً أي ما يعادل 33949 متراً مربعاً. (1)

وقد صرح الشيخ أمين سنيكوغلي مفتي منطقة كسانتي شمال اليونان أنه "لا شك في أن الأقلية المسلمة في اليونان تعيش اليوم في صحوة إسلامية غامرة تتمثل في إنشاء العديد من المساجد في قرى الشمال، وأيضاً بعض دور العبادة التي ينشئها القادرون في أثينا، وبالنسبة لقرار الحكومة اليونانية الأخير كان ولابد من اتخاذه منذ سنوات عديدة لأننا نعتبر المسجد من أهم المؤسسات الإسلامية، حيث يقوم أئمة المساجد بنشر الوعي الديني والمفاهيم الإسلامية بين المسلمين" وتابع أن المجتمع الإسلامي في اليونان لا يقتصر على المسلمين اليونانيين الموجودين شمالاً فقط، بل هناك العديد من الجاليات العربية والآسيوية الإسلامية الذين يأتون من مصر و السودان و

---

(1) "إنشاء أكبر مسجد و مركز إسلامي في اليونان"، http://www.annabaa.org/nba56/almuslmon.htm, 3/3/2005

لبنـان و سـوريا و فلسـطين و باكسـتان و بـنغلادش و العـراق و المغـرب العربـي و بتمركزون في المدن الكبرى خاصة العاصمة أثينا.

يزداد عدد هؤلاء المهاجرين يوماً بعد يوم و هم في أشد الحاجة لإنشاء ذلك المركز الإسلامي والمسجد كي يقيموا شعائرهم الدينية في يسر، وبذلك سوف يتغلب المغترب المسلم على العديد من المشاكل التي كانت تواجهه من قبل، فمثل ذلك المركز سوف يقدم الوعظ و الإرشاد و سوف يجعل المغترب المسلم ملماً بأمور دينه. علماً أن إدارة المركز ستكون لمجلس إدارة مكون من 11 فرداً تقوم الحكومة اليونانية بتعيين 6 أفراد منهم، أما الخمسة الآخرون فيتم اختيارهم من رؤساء البعثات الدبلوماسية في اليونان أو مساعديهم ممن ينيبون عنهم في السفارة التي يمثلونها، ويتم تغييرهم كل ثلاث سنوات.(1) و هكذا سيعود الصوت الذي تردد عبر القرون في البلدان المجاورة والذي لم يسمع في أثينا منذ مائة و سبعين عاما، إنه صوت المؤذن الذي يدعو المسلمين للصلاة.

يتجمع المسلمون الذين يعيشون في أثينا كل يوم في مساجد متنقلة و في المحلات التجارية و الأدوار السفلى و مواقف السيارات داخل البنايات. وتجتذب دور العبادة غير الرسمية هذه و التي تنتشر داخل و حول منطقة وسط المدينة لكنها تتوارى عن أعين المجتمع و المارة آلاف المسلمين مع كل صلاة.

---

(1) المصدر السابق.

وكان مسلمو أثينا وبينهم مهاجرون من تركيا وألبانيا المجاورتين فضلا عن عدد كبير أيضا من العرب والهنود والباكستانيين قد وُعدوا قبل أكثر منذ أوائل ثمانينات القرن العشرين بمنحهم مكانا رسميا للعبادة وكانت هذه أول مرة يقدم لهم فيها مثل هذا الوعد. و لقد تجاهلت الحكومة اليونانية هذا الوعد طويلا و لكن اقتراب موعد إقامة دورة الألعاب الاوليمبية في صيف 2004 أعاده هذا المشروع إلى الحياة من جديد.

ولقد صارت الاستعدادات لإقامة مسجد أثينا في النهاية تحظى بأولوية لكن القرار الخاص بالمكان الذي سيقام فيه المسجد في أثينا الذي تسكنه أغلبية مسيحية ارثوذكسية تحول إلى ورطة سياسية. وهذا أول مسجد يقام في المدينة منذ نهاية الحكم العثماني. لكن الحكومة اليونانية تتوق لتحسين علاقاتها مع الدول الإسلامية المجاورة بافتتاح المسجد ومركز إسلامي ضخم يتكلف عدة ملايين من الدولارات.

ومن جهةٍ أخرى يعيش نحو 12 مليون مسلم في دول الاتحاد الاوروبي التي تألف اليونان أحد أعضائه، وأثينا هي العاصمة الوحيدة في الاتحاد التي لا يوجد بها مسجد واحد، وطالما تعرضت لانتقادات حادة من جانب المفوض الاوروبي لحقوق الانسان لعدم وجود مدفن بها للمسلمين الراغبين في دفن موتاهم حسب الشريعة

الاسلامية. وعلى مدى ردح طويل من الزمان كان ينظر إلى عدم وجود مسجد كأمر غريب في بلد يعتبر نفسه معبرا ثقافيا بين أوروبا المسيحية والعالم الاسلامي.

ومن جهةٍ أخرى طالب البطريرك بارثولوميو Bartholomew بطريرك طائفة الروم الأرثوذكس (مقره استانبول) السلطات اليونانية بسرعة إقامة مسجد في أثينا، والذي يدور جدل حول بنائه منذ أكثر من ثلاثين عاما. وذكرت وسائل الإعلام اليونانية أن البطريرك بارثولوميو، ذكر أن هناك الآلاف من المسلمين في أثينا في حاجة ملحة لمسجد رسمي يؤدون فيه مناسكهم الدينية، مشيرا إلى وجود دبلوماسيين ورجال أعمال ومهاجرين أجانب بجانب المسلمين اليونانيين المنحدرين من الشمال.[(1)]

وفي ردة فعل شعبية في اليونان على هذا القرار قام السكان الغاضبون من المشروع بوضع صليب كبير من الخشب على الأرض المخصصة لبناء المسجد في البلدة وبُنِيَت عليها كنيسة أرثوذكسية صغيرة،[(2)] كما أن "باراسكيفاس باباكوستوبولوس Paraskevas Papakostopoulos" عمدة الضاحية الذي وقع عليها الاختيار لإقامة المسجد فيها مصمم على التصدي للمشروع. يقول عمدة بينيا إننا لا نفهم السبب في إقامة المسجد هنا. فلا يوجد أي مهاجرين مسلمين يعيشون هنا وإننا

---

(1) بركات، عبد الستار، "اليونان: بطريرك الأرثوذكس يطالب بسرعة بناء مسجد في أثينا"، **الشرق الأوسط**، العدد 9871، 7 ديسمبر 2005.

(2) "مسلمو اليونان بانتظار أول مسجد لهم في العاصمة"، 20/4/2005 http://www.annabaa.org/nbanews/54/328.htm

سنبذل كل ما في وسعنا لوقف خطط بناء المسجد هنا وسنعمل على إقناع الحكومة بأن بينيا ليست المكان المناسب لإقامة مسجد. وتابع قائلا: إن المسجد يجب أن يقام بالقرب من وسط مدينة أثينا حيث يعيش غالبية مسلمي المدينة مضيفا أن المجلس البلدي لبينيا سيحيل القضية إلى مجلس الدولة وهو أعلى محكمة إدارية في اليونان. لكن قرب المشروع من المطار صار حجة أخرى في يد المعارضين له. يضيف "بابا كوستوبولوس" ان مئذنة المسجد ستكون أول ما يصافح عين القادم من الخارج بالطائرة وهو يدخل أجواء أثينا ومن ثم سيعتقد أنه دخل بلدا إسلاميا،[1] وتابع أن هذا المسجد سيفسد الصبغة الدينية والثقافية لمنطقتنا ولليونان بأسرها. [2] لكن وزارة الخارجية مصممة على إنجاز المشروع وأعلنت أنها ستتجاهل أي اعتراضات يبديها مجلس بينيا المحلي.

و لكن حتى لو أقيم المسجد الإسلامي الجديد والمسجد في "بينيا" فإنه سيكون بالنسبة لغالبية المهاجرين المسلمين الذين يعيشون بالقرب من وسط مدينة أثينا بعيدا جدا بحيث لا يستطيعون أداء الصلوات اليومية أو حتى صلاة الجمعة فيه. يقول سيد محمد إسماعيل رئيس الجمعية الثقافية الباكستانية أن المسجد أقيم خصيصا من أجل الألعاب الاوليمبية لعام 2004 لا من أجل المسلمين الذين يعيشون في أثينا.

---

(1) "إنشاء أكبر مسجد و مركز إسلامي في اليونان"، http://www.annabaa.org/nba56/almuslmon.htm, 3/3/2005

(2) "مسلمو اليونان بانتظار أول مسجد لهم في العاصمة"، http://www.annabaa.org/nbanews/54/328.htm 20/4/2005

فما من أحد سيذهب هناك على حد قوله. غير أن عبد الله عبد الله سفير السلطة الفلسطينية في أثينا يصر على أن "بينيا" مكان ملائم وهو واثق من أنه مع اكتمال بناء المسجد فإن المواصلات العامة من وسط المدينة ستتطور بشدة. ويقول "بالطبع كل فرد يريد أن يكون المسجد قريبا من بيته لكن هذا غير متاح في الوقت الحاضر. وأعتقد أننا لو أقمناه في أي مكان آخر لما وجدنا المساحة الكافية لاستيعاب أعداد المصلين أو الأنشطة في المناسبات الدينية". وتصر الكنيسة الارثوذكسية التي يتبعها حوالي 97 في المائة من سكان اليونان أنها لا تعارض إقامة مسجد في أثينا و لكن بشروط معينة. وتعتقد الكنيسة أنه لا يتعين إقامة المسجد بالقرب من وسط أثينا لان المواطن اليوناني العادي لا يستطيع تقبل فكرة وجود مئذنة في وسط المدينة وذلك حسبما صرح الأب ابيفانيوس Epiphanos المتحدث باسم الأسقفية لوكالة الأنباء الألمانية ويضيف قائلا أن الكنيسة تعارض إقامة مركز إسلامي تعليمي لأننا نعتقد أنه ليس هناك ما يدعو لإقامة مثل هذا المركز في اليونان.[1]

(1) "إقامة مسجد بأثينا تثير أزمة سياسية" ، http://www.alwatan.com/graphics/2003/07jul/21.7/heads/ft13.htm، 19/5/2005.

8. إعادة مسجد عثماني قديم على سفح الأكروبول

شهدت اليونان في شهر نيسان من عام 2006 جدلا حول اقتراح بإعادة مسجد عثماني قديم من القرن الثامن عشر، يقع في حي موناستيراكي على سفح الاكروبول إلى وظيفته الأصلية كمكان للعبادة، بعد أن كان تم تحويله إلى متحف.

وفيما رفض البعض الاقتراح، أيده البعض الآخر، لكن شرط تحويل آيا صوفيا[1] (في استانبول) إلى البطريركية الأرثوذكسية.

نُشر الاقتراح الذي تقدمت به وزيرة الخارجية الجديدة، ورئيسة بلدية أثينا السابقة "دورا باكويانيس Dora Bakoyannis" في الصحف مباشرة، قبل صدور تقرير تضمن انتقادا لليونان من قبل مفوض حقوق الإنسان في مجلس أوروبا "الفارو جيل روبلز".

وأعرب روبلز في التقرير عن أسفه لاضطرار عشرات آلاف المسلمين من سكان أثينا ومعظمهم من المهاجرين إلى "الاجتماع سرا في أماكن غير مناسبة للصلاة" إذ أن البلد لم يف بعد بالتعهد الذي قطعه خلال دورة الألعاب الاولمبية لعام 2004 بإقامة مسجد في ضاحية بيانيا الكبيرة.

---

(1) آيا صوفيا كاتدرائية بناها البيزنطيون بين عامي 558 و 563م و تحولت إلى مسجد بعد الفتح العثماني للقسطنطينية، و في عام 1935م حول أتاتورك هذا المسجد إلى متحف. و ما يزال هذا المسجد متحفاً حتى الآن.

ومنذ ذلك التاريخ، تقول الحكومة إنه لم يتخذ قرار في هذا الشأن، إلا أن النقاش فتح من جديد في هذا البلد الذي يدين 97 % من سكانه بالمسيحية الأرثوذكسية.

ومن المعارضين للاقتراح، سكرتير الدولة للتربية والعبادات جورج كالوس الذي دعا إلى توخي الحذر: "لعدم إثارة ردود فعل توقظ نزاعات دينية" قديمة. وتعزيزا لوجهة نظره، عرضت قنوات التلفزيون لقاءات مع تجار معارضين للمشروع بحجة الطابع السياحي للحي.

من جانبه، يقول النائب المنتمي إلى الأغلبية المحافظة ستليوس باباثميلس "ليس لدي أي اعتراض على إعادة مسجد موناستيراكي كمكان للصلاة، شرط أن تعيد تركيا مفاتيح آيا صوفيا (في استانبول) إلى البطريركية الأرثوذكسية".

في المقابل، اعتبر ماريوس بيغزوس أستاذ فلسفة الأديان في جامعة أثينا أنه "رغم الأحكام المسبقة والعراقيل، فإن إعادة تأهيل المسجد الإسلامي على سفح الاكروبول إلى جانب الكنائس سيشكل الدليل على تسامح مدينتنا".

كما أشار النائب الليبرالي المستقل ستيفانوس مانوس إلى "وجود عشرات الكنائس العاملة في استانبول"، مبديا استنكاره لرغبة الحكومة في طلب رأي البطريركية

الأرثوذكسية التي أسهمت في تجميد مشروع بيانيا "في حين لم تجر استشارة الجالية المسلمة".[1]

(1) "جدل جديد حول إقامة مسجد لمسلمي اليونان مطالبات بإعادة مسجد آيا صوفيا إلى الكنيسة".
http://www.alarabiya.net/Articles/2006/04/03/22545.htm، 18.4. 2006.

خاتمة و تعليق

من المؤشرات الإيجابية لمسلمي اليونان أن الحكومة و المجتمع هناك بدأوا بالاعتراف بالأقلية الإسلامية في تراقيا الغربية وأن هذه الأقلية هي ضحية التمييز الإداري والسياسي و الاقتصادي، كما هناك بداية تفهم أن الإسلام أصبح أحد الأطراف الداخلية في اليونان و لم يعد ظاهرة خارجية. وما قضية مسجد أثينا إلا أحد القضايا التي ستواجهها البلاد في السنوات المقبلة، فعلى الحكومة و المجتمع أن يقبلوا بتعدد الحضارات أسوة بباقي دول الإتحاد الأوروبي مثل بريطانيا و فرنسا و ألمانيا، والجميع يعرف في اليونان أن هذه الخطوة صعبة وربما تحتاج لوقت طويل خصوصاً أن المجتمع اليوناني متجانس جداً، لكن يستطيع اليونانيون أن يستفيدوا من تجارب الدول الأوروبية في هذا المجال، كما على الحكومة اليونانية أن تراعي مصالحها مع العالم الإسلامي خارج العقدة التركية و العثمانية خصوصاً مع تطور وسائل الإعلام والمواصلات التي تكشف عن الأوضاع الداخلية لأي دولة أو مجتمع بسرعة مذهلة.

أما من جهتنا نحن المسلمين فعلينا أن نهتم بإخواننا في الدين أكثر وأن ندرس أوضاعهم من خلال تطوير فن الإعلام عندنا حيث نقوم بالتعريف عن المسلمين في اليونان وعن مشاكلهم بواسطة الندوات والمنشورات المطبوعة والإلكترونية أو حتى من خلال الدعوة لزيارة هذه الأقلية في موطنها في اليونان للتعرف عن كثب عن مشاكلها و بث هذه الزيارات في أفلام وثائقية تعرض في عدة محطات، كما يجب أن تقدم كل أنواع الدعم والمساعدة لهؤلاء الأخوة و خاصة في مجال التعليم الديني فنرسل لهم منح دراسية ليدرسوا في بلدان إسلامية غير تركيا لكي يتمكنوا من التعريف بوضعهم في دول بعيدة عنهم، وأخيراً يجب القيام باتصالات دبلوماسية مع

الحكومة اليونانية التي تربطها علاقات جيدة بالعديد من الدول الإسلامية الغنية كي تخفف الضغوط القاسية على المسلمين وإلا سينعكس ذلك سلباً على الاستثمارات اليونانية في تلك الدول.

وفي الختام يجب أن لا ننسى الدعاء لإخوتنا المسلمين في اليونان ليفرج الله عن قلوبهم و يحميهم من غدر الأعداء، وأملنا بالله كبير.

ملحق:

المراكز الإسلامية في اليونان[1]:

Athens **أثينا**

Arab-Hellenic Center for Culture & Civilization
Louizis Riankour 31
Athens, Ambelokepi 11523 – Greece
Tel/Fax: 0030-210-6910492
E-mail: ahccc@teledomenet.gr

Association of Muslims in Greece
9 Galaxia str N.Kosmos,
Athens, Greece
Tel/Fax: 210-6916055
E-mail: muslimsofgreece@yahoo.gr

Al-Farouk Mosque
Zagorion 40
Athens - Greece

Al-Gorabaa Islamic Society
K . Batesia Zembrakake 41,
P.O.Box: 23128
Athens – Greece
Tel: 00301-210-8542550
E-mail: Goabaa2@hotmail.com

Masjid Al Jabbar
25 Eschilou street, Psiri
Athens - Greece

Masjed Athina (Gouthih)
87 G. Papandreou-

[1] http://www.islamicfinder.org/cityPrayerNew.php?country=greece, 12.9.2007

Goudih district,

Athens – Greece
Tel: 7758155 210-0030

Al Salam Mosque
6, Galaxia Street, Neos Kosmos,
Athens – Greece
Tel: +3010-7758155
Fax: +3010 7718340

Altawheed Islamic Society
Milearaky 39 Athina,
Athens – Greece
Tel: 003-6974830548
E-mail: altawheed.gre@hotmail.com

Chania خانيا

Masjed Qibaa
Stadium st.
Chania 73120 – Creta – Grecce
Tel: 00306993017150
E-mail: QIBAA@YAHOO.COM

Crete كريت

See: أنظر

Chania خانيا

Iraklion إيراكليون

Didimotichon ديديموتشون:

Mufti of Didimotichon
24, Vrana Street,
Didimotichon, GR-683 00, Greece
Tel: +0553-022266

Hania هانيا

See أنظر:

Chania خانيا

Iraklion إيراكليون:

Masjed Al-Noor

62 Myrtyers-Centre,

Iraklion, GR-71003 – Greece

E-mail: alnoor@yahoo.com
masjedalnoor@yahoo.com

Muslims Association in Crete

See أنظر:

Masjed Al-Noor

Komotini كوموتيني:

Ittihad Islam
35 Antigonou Street
Komotini – Greece

Muftiate of Komotini
Ermou Street 82
Komotini, 69100 – Greece
Tel/Fax: 25310-26771
E-mail: gumulcinemuftulugu@gmail.com
Website: http://www.muftikomotini.com/

Muslim Seminary of Komotini
1, Smirnis Street,
Komotini, GR-691 00, Greece

Tel: +0531-033093

Piraeus بيروس:

Masjid al-Andalus
filonos 98,
Piraeus - Greece
Tel/Fax: 210-6916055
E-mail: naim_elghandour@yahoo.gr

Al-Taqwa Mosque
See أنظر:
Al-Taqwa wa Al-Bir Association

Al-Taqwa wa Al-Bir Association
Karatsene - st. Mareya Skoore 110,
Peiraias 18756 – Greece
Tel: 0030-6949050409
Fax: 00302104328471
E-mail: nilosfon@maktoo.com.com

Xanthi كسانتي:

Masjid Sounnah Mahalla
Old Town of Xanthi,
Xanthi, Xanthi 67100 - Greece

Muftiate of Xanthi
15, Klemanso Street,
Xanthi, GR-671 00, Greece
Tel: +0541-023288, 067858

المراجع

باللغة العربية

المطبوعة:

القرآن الكريم

أرن، خالد. "المسلمون في تراقيا الغربية – اليونان" ، **الأقليات المسلمة في العالم: ظروفها المعاصرة، آلامها، و آمالها**. الرياض: الندوة العالمية للطباعة و النشر و التوزيع، 1999، مج3 ، ص 1079-1091

بركات، عبد الستار. "اليونان: بطريرك الأرثوذكس يطالب بسرعة بناء مسجد في أثينا". **الشرق الأوسط**، العدد 9871، تاريخ 7 ديسمبر 2005.

بكراكي، علي إبراهيم. **تاريخ جزيرة كريت و المهاجرين**. طرابلس [لبنان]: دار المنى، 2004.

حرب، محمد. **الإسلام في آسيا الوسطى و البلقان**. ط2. بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1995.

الخوند، مسعود. **المسلمون في الفضاءات غير العربية و غير الإسلامية: الأقليات المسلمة في العالم**. بيروت: الشركة العالمية للموسوعات، 2005.

شاكر، محمود. **التاريخ الإسلامي: التاريخ المعاصر: الأقليات الإسلامية**. ط2. بيروت: الكتب الإسلامي، 1995.

شاكر، محمود. **المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية**. ط2. بيروت: المكتب الإسلامي، 1979.

شاكر، محمود. **المسلمون في قبرص**. بيروت: منشورات العصر الحديث، 1974.

الإلكترونية:

"إقامة مسجد بأثينا تثير أزمة سياسية" .
19/5/2005 **http://www.alwatan.com/graphics/2003/07jul/21.7/heads/ft13.htm.**.

"الأقليات المسلمة: مائة مليون .. فقر وتهميش اجتماعي وسياسي"، الجزيرة نت: المعرفة،
www.aljazeera.net، 2004/10/3.

"إنشاء أكبر مسجد و مركز إسلامي في اليونان".
http://www.annabaa.org/nba56/almuslmon.htm
3/3/2005.

"جدل جديد حول إقامة مسجد لمسلمي اليونان مطالبات بإعادة مسجد آيا صوفيا إلى الكنيسة".
http://www.alarabiya.net/Articles/2006/04/03/22545.htm
2005/4/18.

شوكت، خالد. "مسلمو اليونان و تحديات الرزق". إسلام أون لاين نت، 2003/12/10، www.IslamOnline.net

"مسلمو اليونان بانتظار أول مسجد لهم في العاصمة"، **http://www.annabaa.org/nbanews/54/328.htm** .20/4/2005

"المسلمون حول العالم: نقطة ضوء: اليونان الصحوة تبشر بخير". **www.islamtoday.net/articles** .5/7/2004.

باللغات الأجنبية:

المطبوعة:

Barber, Noel. *The Lords of the Golden Horn: From Suleiman the Magnificent to Kamal Ataturk*. London: MacMillan, 1973.

Clark, Bruce. *Twice a stranger: The Mass Expulsions that Forged Modern Greece and Turkey*. Cambridge, Mass: Harvard University Press, 2006.

Christidis, Yorgos. “The Muslim Minority in Greece”. In Gerd Nonneman & Tim Niblock & Bogdan Szajkowski (Eds), *Muslim communities in the New Europe*. Reading: Garnet Publishing Limited, 1996.

Forster, Edward S. *A Short History of Modern Greece: 1821-1956*. 3rd ed revised and enlarged by Doulas Dakin. London: Methuen & Co. Ltd, 1958

Hirschon, Renée (Ed). *Crossing the Aegean: An Appraisal of the 1923 Compulsory population Exchange Between Greece and Turkey*. New York: Berghahn Books, 2004.

Lenczowsky, George. *The Middle East in World Affairs*. 3rd ed. Ithaca: Cornell University Press, 1962

Magocsi, P. R. *Historical Atlas of Central Europe.* Revised and expanded edition. Seattle: University of Washington Press, 2002.

Mazower, M. *Salonica City of Ghosts: Christians, Muslims and Jews, 1430-1950*. London: HarperCollins Publishers

Poulton, Hugh & Taji-Farouki, Suha, (Eds). *Muslim Identity and the Balkan State*. London: Hurst & Company, 1997.

Stone, Tom. *Greece: An illustrated history*. New York: Hippocrene books, 2000.

The 21st Century World Atlas. Naples, Florida: Trident Press International, 1998.

الإلكترونية:

Antoniou, Dimitris, A. "Islam In Greece". **http://www.interkultureller-rat.de/Themen/Archiv/Arbeit_auf_dem_Lande/Islam_auf_dem_Lande/Antoniou.shtml**. 3/3/2005.

"The Balkan Wars, 1912-13". **http://www.gogreece.com/learn/history/balkanwar_1912.html**. 1.6.2006

"Çamëria" . **http://home.tiscali.be/albabel/historie-histori/cameria_index/cameria10.ht** 18.6.2006.

"Demographics". **http://www.hrw.org/reports/1999/greece/Greec991-04.htm**. 3/3/2005.

European Monitoring Centre on Racism and Xenophobia. "Muslims in the European Union: Discrimination and Islamophobia". **http://eumc.europa.eu/eumc/material/pub/muslim/Manifestations_EN.pdf.** 12.2.2007.

"Greco-Turkish War (1919-1922)". **http://en.wikipedia.org/wiki/Greco-(Turkish_War_(1919-1922).** (2.6.2006).

"The Greek minority of Turkey". **http://www.hri.org/MFA/foreign/bilateral/minority.htm**. 3/3/2005.

Hugh, Poulton. "The Turks and Pomaks". .**http://www.turkishforum.com/thrace/turks_pomaks.html.** 3/3/2005

http://www.islamicfinder.org/cityPrayerNew.php?country=greece (12.9.2007)

Karakasidou, Anastasia, "Vestiges of the Ottoman past: Muslims under siege in contemporary Greek Thrace". Cultural Survival, Issue 19.2, July 31 1995.
www.culturalsurvial.org. 15/3/2005.

"Mani: A guide and history: Modern history, 1821-". **http://users.macunlimted.net/maniguide/indmod.html.** 23/5/2005

"Migali Idea". Wikipedia. **http://en.wikipedia.org/wiki/Megali_Idea** 25.6.2006.

Migration Information Source. **http://www.migrationinformation.org/GlobalData/charts/greece1.cfm.** 3/3/2005.

Onsounoglou, Ibrahim. "The Closing of the Associations of the Turkish Minority". **http://cyprus-imc-english.nysindy.org/newswire/display_printable/710/index.php**. 3/3/2005.

"The Turks of Western Thrace: Continuing Violations". **www.hrw.org/reports/1999/greece/Greec991-06.htm**. 15/3/2005

المحتويات

المقدمة ... ص 3

القسم الأول

تتار الفولغا: تاريخ و حضارة **... ص 6**

مراجع القسم الأول ... ص 57

القسم الثاني

تتار القرم **... ص 62**

مراجع القسم الثاني ... 115

القسم الثالث

الاسلام و المسلمون في مقدونيا: الماضي والحاضر **... ص 120**

مراجع القسم الثالث ... ص 202

القسم الرابع

تـــاريخ العلاقـــات الاســـلامية و اليونانيـــة و أحـــوال المسلمين في اليونان **... ص 208**

مراجع القسم الرابع ... ص 269